أحداث النكبة

أو

نكبة فلسطين

تأليف

محمد نمر الخطيب

*

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

الطبعة الثانيــة
١٩٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية للمؤلف

صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب بدمشق سنة ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م بإسم « من اثر النكبة » ... واليوم تصدر طبعته الثانية في بيروت سنة ١٣٨٧ هـ سنة ١٩٦٧ م بإسم « أحداث النكبة » ... وقد أقدمت على إعادة طبعه نظراً لنفاد نسخه من زمن بعيد ، ولإلحاح القراء العرب من شتى النواحي والأقطار ولعلمي أن مثل هذا الكتاب خير حافز وأعظم دافع لدفع مسيرة العرب نحو أهدافهم وغاياتهم ، ولتبصير العرب بما حصل في فترة من الزمن ينبغي أن تثار وتثار حتى يقوم العرب والمسلمون بأخذ ثأرهم ودفع عارهم واستخلاص البلاد المقدسة من ايدي من ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله .

ولكن حصل في أثناء الطبع ما لم يكن في الحسبان... . ففي صبيحة يوم الاثنين الواقع في ٥ من حزيران سنة ١٩٦٧ قامت عصابات اليهود تؤيدها أمريكا وبريطانيا بما لهما من قوى حربية .... بأكبر عدوان وأخس جريمة عرفها العالم فشنت هجوماً غادراً صاعقاً على كل من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية

وقد أصيب الناس بما يشبه أهوال القيامة ... وكانت أحداث واحداث مما يحتاج إلى أضعاف هذا الكتاب لشرح بعضها وبيان قليل منها

وكان مما حصل أن ارتفعت اسعـــار الورق أو اختفى الورق من الأسواق فكان لا بد من ختم الكتاب ودفع ما طبع منه باسم الجزء الأول من أحداث النكبة ، على أن يتبعه جزء ثان يتممه ، ويتبعه أجزاء أخرى لبيان النكبة الجديدة التي فاقت أخبار النكبـة الأولى ضخامة وهولاً وبشاعة وفظاعة والتي قضت على ما تبقى من فلسطين فسقط ما تبقى من طول كرم وقلقيلة ، وجنين ، ونابلس ، ورام الله ، والقدس الشريف وأصبح الأقصى والحرم الشريف ، وكنيسة القيامة وبقية المقدسات تحت يد اليهود ورحمة الصهاينة كما سقطت غزة وسيناء حتى أصبح جيش المتحدة يدافـع عن غربي السويس

وتراجع الجيش السوري إلى خطه الثاني وكانت الحرب في الشوارع والطرقات والمنازل في مدينة القنيطرة في داخـــل الأراضي السورية ، وضربت دمشق عدة مرات

وانتهى القتال وتوقفت الجبهات عن اطلاق الرصاص ولم تمض خمسة أيام على ابتداء الهجوم الغادر الذي أعدته اسرائيل ورسمته بريطانيـا وأمريكا

والآن ماذا أريد أن أقوله في هذه الطبعة الثانية بعد الذي حصل... وبعد أن أصبح كثير من الأسرار معلوماً لدى العامة والخاصة

أريد أن أضع أمام القارىء الكريم الحقائق الآتية

١ - إن كل شيء تحدثنا عنه في هذا الكتاب ، مما كان يظنـــه الناس مبالغة أو تجاوزاً أو خيالاً أصبح حقيقة واقعة

٢ - كنا نحذر العرب والمسلمين من وقوع القدس وكافة المقدسات الإسلامية والمسيحية بيد اليهود وكان كثير من النـاس لا يتخيل وقوع هذا أو بعضه فأصبح الآن حقيقة ملموسة عند الناس حتى أطلقها رئيس

وزراء اسرائيل صيحة مجلجلة فقال « اليوم ضممنا أجزاء أورشليم إلى بعضها البعض ودخلنا أورشليم ولن نخرج منها إلى الأبد »

٣ – لقد طفنا بلاد العرب وأقطار المسلمين من أقصاها الى اقصاها نحذرهم من هـذا اليوم الأسود والمصير المشؤوم ونقول لهم بلسان عربي مبين إن المسألة ليست مسألة لاجئين ، وإن القضية ليست قضية فلسطين وإنما هي قضية كل عربي ومسلم وبلد كل عربي ومسلم وإن اسرائيل خطر على العالمين الإسلامي والعربي بأكثر مما تتحمل هذه العبارات من معاني الخطر

٤ – لقد مضى على النكبة الأولى عشرون سنة عشرون سنة قضاها اليهود بالعمل الجدي المتواصل فأنتجت هذا الانتصار الساحق وهذه المؤامرة الغادرة الماكرة

عشرون عاماً قضيناها نحن العرب دولاً وشعوباً وأفراداً بالنوم العميق والكيد المتواصل إلى آخر سلسلة الانقلابات والمؤامرات .

فـلا عجب إذا كنا الآن نجني حصاد تلك الغفلة من نكسات وقضية لاجئين أخرى وسقوط بلدان وقرى وانتهاء فلسطين بأجمعها .

وها أنذا أدفع هذه الورقة فهل من معتبر

وها أنذا أدفع هذه الورقة الأخيرة إلى المطبعة في أشد الأيام عبوساً على أمة العرب جمعاء وعلى كافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

أدفع هذه الورقة الأخيرة ولا أجد كلمة تعبر عن الأسى ولا جملة تظهر هول الفاجعة التي أصابتنا والتي ستكون نتائجها أبلغ وأشد مما كان في سنة ١٩٤٨

أدفع هذه الورقة الأخيرة ولا أجد شيئاً أقوله بعد أن أوقفت جيوش الدول العربية القتال نتيجة للغدر والخيانة بعد أيام معدودات

أدفع هذه الورقة الأخيرة وكأني اسمع أنين القتلى وأرى الأشلاء هنا وهناك على كافة حدود البلاد العربية

أدفع هذه الورقة الأخيرة ولم يبق شيء من فلسطين نتحدث عنه ...
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ولكن هل انتهت المعركة ؟

إننا على يقين أننا نحن العرب ، نحن أمة الإسلام ، أمة المعجزات، أمة الخلود ، أمة اختارها الله لتنقذ العالم ولتخرج الناس من الظلمات إلى النور

لقد طرق العرب أبواباً كثيرة وفاتهم أن يطرقوا باب الله .

لقد حالف العرب دولاً كثيرة ظنوها تنجيهم يوم الحساب ... وفاتهم أن يمدوا أيديهم إلى الله وأن يتحالفوا مع قيوم السماوات والأرض .

لقد جرب العرب نظماً كثيرة اعتقدوا أنها سبيلهم إلى النجاة والسعادة وفاتهم أن يلجأوا إلى نظام الله الخالد وإلى طريقه القويم وصراطه المستقيم

أيها المسلمون !

أيها العرب !

ابنوا أنفسكم بناء جديداً على نور من الله ، وهدى من رسوله ..

ايها المسلمون ايها العرب ان يوماً ينتظركم اما ان يكون اسود كالليل ، مراً كالعلقم ، قاتلا كالسم

واما ان يكون الفجر الصادق .. والبشرى الكاملة والنصر المؤبد

نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون

بيروت الاثنين في ٤ ربيع الاول سنة ١٣٨٧
١٢ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧

محمد نمر الخطيب

الإهداء

مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدوا ٱللهَ عَلَيه ، فَمِنْهُم مَنْ قَضَى نحبَهُ ، ومِنهُم مَنْ يَنْتظِر ، وما بَدَّلُوا تَبْديلا

الى هذا النفر العزيز ...
الى الذين شرفوا بدمائهم الطاهرة أرض الوطن ...
الى أولئك الذين عقدوا العزم على إنقاذ فلسطين ...
الى أولئك الذين سينالون هذا الشرف ويتوجون رؤوسهم بهذا الفخار ...
الى الشباب المؤمن القوي ...
الى الذين هاجروا وأوذوا في سبيل الله ...

أهدي هذا الكتاب



يا بلادي فداء (قدسك) نفسي | وحرامٌ عليّ غير هواك
دلّه الناس حب سلمى وسعدى | وغرامي بأن أموت فداك

محمد نمر الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة معالي الاستاذ يوسف السيد هاشم الرفاعي

وزير دولة الكويت

لما كانت فلسطين حقاً للعرب والمسلمين قد ضاع فقد صار من الواجب أن يعرفوا كيف ضاع ومن أضاعه ؟ كما صار واجباً على كل من شهد أو علم شيئاً عن ذلك أن يبينه ويسجله للحقيقة والتاريخ وعملاً بقوله تعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) .

ولما كانت قضية فلسطين منذ نكبة العرب والمسلمين بها في أيار سنة ١٩٤٨ ، ولا زالت ، العامل الأساسي الفعال وراء معظم الأحداث السياسية الهامة التي أثرت على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في اغلب الدول العربية التي كانت لها علاقة قريبة أو بعيدة بتلك القضية — المأساة فإن المكتبة العربية في حاجة ماسة إلى أن تروي ظمأ النشء والمخضرمين على السواء ، إلى حقائق الأحداث التي سبقت ولحقت تلك المأساة من مصدر أمين عاصر تلك الأحداث وعاشها يوماً بيوم بل ساعة بساعة

وحيث إنه – لأسباب عدة – بدأ كل من الضباب والغبار والنسيان تسدل أستارها الكثيفة على القضية في السنوات الأخيرة فتكاد تضيع حقائقها تماماً كما تخوف الأستاذ المؤلف عند الطبعة الأولى للكتاب على أثر النكبة لتصبح قضية لاجئين فقط لا غير

فقد وفق الله ، إلى إدراك هذا كله ، فضيلة العالم المجاهد الأخ الشيخ محمد نمر الخطيب ، فكان له قصب السبق إلى أداء هذا الواجب فألف هذا السفر القيم وأصدره منذ سنوات خلت وها هوذا يعيد طبعه اليوم

ولما كان التسجيل للتاريخ أبهى وأروع ما يكون عندما يتوفر له صدق الراوي والرواية ، فإن من فضل الله أن تتوفر هاتان الميزتان الجليلتان في شخص المؤلف الكريم

والمطلع على هذا السفر القيم يلمس أن مشاعر ابن النكبة الذي خاض المعارك بروحه وجسده حتى سقط مثخناً بجراحه ، قد تجلت بين سطوره بكل ألم ومرارة وهذه المشاعر هي أيضاً – في نظري – جزء لا يتجزأ من وثائق وحقائق القضية التي يجب أن تلمس وتسجل

فالله أسأل أن يجزي المؤلف الفاضل خير الجزاء ويوفقه لما يحبه ويرضاه حيثما حل وارتحل ، وأن لا يحرم من نفع هذا الكتاب كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

يوسف السيد هاشم الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الاستاذ عاطف نور الله

ما شهدنا الا بما علمنا

تناولت الهاتف محوقلاً متسائلاً فاذا بالمجيب غير الذي توقعت واذا بصوت محبب طالما انست اليه بل طالما طرق الاسماع في حيفا ويافا وانحاء الارض المقدسة والاقطار العربية مدوياً مجلجلاً واذا به صوت الاخ المؤمن المجاهد الجالد الاستاذ محمد نمر الخطيب يقول

علمت بان لديك صوراً وذكريات عن المجاهدين الفلسطينيين السابقين والشهداء الاحياء الضائعين وعن الذين هم عند ربهم يرزقون ... فهل لك ان تبعث لي بها ؟ لأني عازم على وضع كتاب جديد يتضمن ما اشرت اليه فأجبته يؤسفني يا استاذ ان لم استطع تلبية طلبك كما تريد وانا

قد فرطت بما كان لدي رغم حرصي على الامانة سنوات طـوالا لأني كنت قد اعرت مجموعة من الصور التاريخية لمن خلتهم اجدر مني بنشرها (فأضاعوها) وهي مهداة لي من الشهداء الذين اوصوا بنشرهـا متنبئين لانفسهم بنعمة الاستشهاد – اوصوا بنشرها لا حباً بالفخر الكاذب كما قالوا وفي استشهادهم اعظم فخر وانما ليتعظ الخوالف ويقتدي بهم الآخرون او لينسج على منوالهم البنـون ولا ريب ان في تلك الصور الحق المعلوم للمتسائل والمحروم بل ان في نشرها عبرة كبرى وموعظة بالغـة وفيها لمشوهي الحقـائق وكذبة التأليف والتصنيف البراهـين القاطعة والحجج الدامغة على ان اللاحقين المتخاذلين ليسوا بأفضل من السابقين المتنافسين

اما صورتي المتواضعة فإنها متوفرة في جميع المراحل واما الذكريات ويا للذكريات الحافلات فانها كثيرة متراكمة لا تستوعبهـا القراطيس وتنوء بها المجلدات ... ان فيها لكل مجاهد اسطورة ولكل شهيد ملحمة انها تاريخ مسلسل الاجزاء متتابع الحلقات واني لأفضل ان تظل تلك الذكريات دفينة في القلوب حبيسة الصدور لا في السطور الى أن يـأتي حينها او الى يوم النشور حيث يؤدي الحساب بمكيال الذرات والقسطاس المبين عند مليك عظيم اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة .

وأما شهادتي التي التزم بأدائها فانهـا لن تفي اخي العلامة الصابر المصابر حقه وهي كما اعرفه وازكيه لا تختلف عن شهادات ابناء بـلده وعارفيه الا بميزة ما ورثت عن أبي وأمي وعمي وجدي الذين كانوا من اخلص اصدقاء آل الخطيب الاكارم وأقربهم الى والديه الصالحين الفاضلين اللذين اورثاه الفضل والعلم كابراً عن كابر واعتلى بعدهم المنـابر فأضحى واعظاً ومرشداً واصبح قائداً ومنذراً وله في جامع الاستقلال مواقف خالدة

ذلك الجامع الذي لم يرتق منبره قبله سوى استاذنا الأكبر الشيخ عز الدين القسام الذي كان علامة زمانه وأول من جابه الاستعمار بالحديد والنار في سوريا وفلسطين وخر شهيداً ورفاقه الميامين في جبال « يعبد » ملقناً المستعمرين درساً البسهم الخزي والعار ومعلماً الابطال اروع آيات الجهاد والاستشهاد ..

حقاً أن الشيخ نمر بالإضافة لمواقفه الوطنية التاريخية ومآثره الاجتماعية التي لا تحصى ما زال يكافح كما عرفته في حيفا مناضلاً في مختلف الميادين وعلى جميع الجبهات واني لأذكر يوم شاطرته بعض الاعمال في رعـــاية الشباب وكشافة (الوحدة العربية) في جمعية الاعتصام وعلى غرار فتيان الجزيرة وعصبة المجاهدين وفتيان محمد الاباة أولئك الفتية الذين زادهم الله تعــالى هدى وسقط معظمهم في ساحات البطولة كما تسقط الأسود وفي اعمار الورود ...

ولكن كيف خرج الشيخ نمر الخطيب من حيفا وقد كان مسؤولاً فيها مشرفاً على الامن والدفاع وفي اللجنة القومية فإن لذلك قصة مفجعة انها قضية كل مجاهد مخلص يطعن من خلفه ويرغم على ترك المعركة مضرجاً بدمائه مغلوباً على امره ذلك ان لم يفز بالشهادة في ارضه المقدسة في تربة الآباء والاجداد

وهكذا خرج الشيخ نمر من حيفا محمولاً على نقالة وكان اول جريح فلسطيني سنة ١٩٤٨ استقبله لبنان الشقيق بوجهين كريمين هما سماحة مفتي الجمهورية الشيخ عبد الله خالد والمغفور له رياض بك الصلح اللذين اهتما به اهتماماً بالغاً وامنا سلامته في مستشفى المقاصد الاسلامي حيث عني بـه وسهر على جراحاته الطبيب الانساني المؤمن محمد خالد صاحب الايادي البيضاء الغراء ولم تكن جراحات الشيخ كغيرها او لا يؤبه لها انه

تلقى سيلا من رصاص الغدر والخيانة وهل يحصى رصاص رشاشات الصهيونيين الجبناء الأنذال !

واني لاذكر جلده وشجاعته وصبره يوم كنا نتفقده في مستشفى المقاصد واذكر نصحه وإرشاده لاخوانه المجاهدين الذين لم ينقطعوا عن زيارتـه وفيهم أولئك الابرار محمد بك الحنيطي قائد حيفا العسكري والشهيد الكبير ابو محمود برهم سرور والشهيد الكشاف البطـــل فخري البرد وغيرهم من الذين هبت عليهم رياح الجنـة وواكبوه واحبوه ورائحة العطر كما يقال دليل عليه

هذه كلمة موجزة ارفقها ببعض الصور والنشرات التاريخيـة مساهمة مني بقسط يسير في كتاب فضيلة الاستاذ الحافل بالقيم الكثيرة .

والله تعالى وحده المسير والميسر لما هو افضل واجدى ومنير السبيل .

عاطف نور الله

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامين والرسول الكريم وعلى آله وأصحابه أهل الجهاد واليقين

أما بعد ، فهذا كتاب أسميته (من أثر النكبة) تحدثت فيه عن حالة اللاجئين وبؤسهم وشقائهم ، ووصفت ما خبرت من أحوالهم ثم تحدثت عن فلسطين وكيف ضاعت مدنها ، وكيف سقطت قراها مستقياً ما كتبته عن مشاهدات ومرئيات ، وعمن أثق به ممن خاضوا المعارك ووقفوا على دخائل الامور .

كتبته بمداد الدمع ولفحة القلب وما اكثر ما كلفني من دموع ودماء واحزان ... ولهذا الكتاب قصة طريفة ينبغي ان تسجل لتعلم

لقد كان اصل هذا الكتاب تقريراً لا يتجاوز العشرين ورقة ، رفعته لصاحب الفخامة السيد شكري بك القوتلي ، على أثر تلك الرحلة الرسمية

التي رحلتها مع نفر من اخواني وأسعدنا الحظ فاطلعنا فيها على حقائق ووثائق وأسرار وأخبار مـا كانت لتتاح لغيرنا ، وكان ذلك التقرير الرسمي اول تقرير من نوعـه قُدِّمَ الى المراجع الرسمية وإلى امانـة الجامعة العربية

وقد أحدث ضجـة كبيرة في المحافل الرسمية والمنتديات الشعبية ، ولدى كبار رجال وهيئات العالم العربي والاسلامي .

كما كان حديث الصحف والناس فـترة من الزمن وكان من حسن حظي ان احتفظت بكثير من الحقائق والوثائق التي عثرت عليها والتي ابقيتها بين أوراقي الخاصة .

وأخذ الزمن يدور وأخذت قضية فلسطين تنتقل من سيء الى أسوأ ، وأخذ الناس بعد ان كانوا يتحدثون عن معركة التحرير والانقاذ اخذوا يتحدثون عن قضية اللاجئين وإرجاع المشردين ، وأصبحت البلاد العربية وصحفها ومجلاتها وكبار ساستها لا يتحدثون إلا هذا الحديث المبتذل الرخيص عن قضية اللاجئين وإعادتهم وإعاشتهم وتسكينهم او توطينهم وتشغيلهم أو التعويض عليهم فكان لزاماً على اصحاب الرسالات وعلى ذوي الاقلام ان يعيدوا القصة من أولهـا ألا وهي قصة الانقـاذ وقضية التحرير

واني لأعتقد ان هناك اموالا تصرف من اكثر من دولة لإشغـال المسلمين والعرب وصرف اذهانهم وتفكيرهم عن قضيتهم الحقيقية

وقضية فلسطين هي قضية الصراع بين الحق والباطل وبين العدل والظلم وهي قضية إخراج اهل البلاد بقوة الظلم ومنطق الحراب والمدفع .

فهي بهذا الاعتبار قضية انسانية عامة ينبغي ان يشتغل بها وأن ينتصر لها أولئك الانسانيون من دعاة الحق والفضيلة ...

ومن ناحية اخرى فقضية فلسطين هي قضية المسلمين والعرب جميعاً لا لأنها قد احتوت على مهوى افئدة المسلمين، ولا لانها القبلة الاولى واسراء الرسول صلوات الله عليه

ولا لأنها بلد المسيح عليه السلام وفيها القدس، والمسجد الأقصى، وكنيسة القيامة، والناصرة، وبيت لحم، والخليل. بل لانها مع ذلك مفتاح بلاد العرب جميعاً، إذ هي نقطة الارتكاز التي منها ستمتد اسرائيل من الفرات الى النيل.

ولقد أدرك العرب والمسلمون جميعاً قيمة فلسطين وخاصة بعد ان قامت فيها دولة إسرائيل، وأخذوا يلمسون الحقائق المرة ويكتوون بالنار الحامية ويتطلعون للمستقبل المظلم الرهيب الذي سيحيق بهم اذا اشتدت اسرائيل وتمكنت في الارض.

لقد أدركوا تلك المخاطر الرهيبة: من دينية، وسياسية، واقتصادية، وعسكرية.

فقد اصبحت الأماكن المقدسة في خطر وأي خطر، لان اليهود معروفون من قديم الزمن بأن لا ذمة ولا عهد لهم وانهم يهزأون بمقدسات غيرهم، وسيدرك المسلمون والعرب فيما بعد قيمة تلك المقدسات المعنوية والحسية التي وضعوها في ايدي اليهود...

وكان قيام إسرائيل شوكة في حلق العرب والمسلمين اطاح بمعنويات سبعين مليوناً من العرب وزهاء أربع مئة مليون مسلم في الدنيا. واصبح العالم ينظر الى هذه الاعداد الهائلة كحشرات حقيرة لا قيمة لها في هذا الوجود...

وصار اليهود في إذاعاتهم ومنشوراتهم يظهرون المسلمين ويصورون العرب كأصفار على الشمال لا قيمة لهم في شيء

ويكاد المسلمون والعرب يضيعون سمعتهم وقيمتهم كأمم وشعوب وكجماعات تستوطن اعظم الاماكن الاستراتيجية إن لم نقل انهم اضاعوها بالفعل .

والعالم معذور اذا نظر الينا نظرة الاحتقار والازدراء بسبب ما أظهرناه من فشل وما فعلناه من خطيئات لن يغتفرها التاريخ ، بل سنكون لعنة الابناء والاحفاد في الاجيال القادمة .

ولم يعلم المسؤولون في هذا العصر أية جريمة ارتكبوا في ضياع فلسطين وسيعلمون انهم قد عرضوا العروبة والاسلام لخطر الفناء والاضمحلال والدمار والهلاك ./

+ وكان من أثر هذه النكبة ومن أثر قيام اسرائيل في فلسطين ان الخطر اصبح على حدود كل بلد عربي إذ صارت أعلام اسرائيل تخفق على حدود كل قطر من حدود البلاد المصرية والبلاد العربية السعودية والمملكة الاردنية الهاشمية والجمهوريتين السورية واللبنانية ، بعد ان اصبحت دبابات إسرائيل ومدافعها وطياراتها فاغرة فاها او مسلطة نيرانها او باسطة اجنحتها على البلاد العربية عامة

وأصبحت اسرائيل وقد تمركزت فى قلب بلاد العرب والجزيرة العربية هي المسيطرة وصاحبة الكلمة الاولى والنفوذ الاول في منطقة الشرق الادنى .

وكان من اثر هذه النكبة أيضاً ان قطعت الوشائج والأوصال بين بلاد العرب جميعاً

فبعد ان كانت البلاد العربية متصلة الحدود لا تعرف حدوداً ولا قيوداً ولا حواجز ولا موانع ، أخذنا نشعر بعد ان قامت اسرائيل بتلك الهوة السحيقة التي فصلت بلاد العرب بعضها عن بعض ، فلا اتصال بين مصر والاردن ولا اتصال بين مصر وسوريا ولبنان ، واصبحت القطيعة حقيقة واقعة بين بلاد العرب جميعاً بسبب احتلال اليهود هذا الموقع الاستراتيجي العظيم فضلاً عن اهميته بالنسبة الى الشرق خاصة والعالم عامة

وتبع هذا كله تدهور في معنويات العرب واقتصادياتهم فأصبحت تجارتهم محدودة لا يتبادلون السلع والعروض التجارية إلا عن طريق البحر والجو بعد ان كانت تتدفق من الطرق البرية

وسيشعر العرب بفداحة الخسارة الجسيمة بضياع فلسطين وخاصة بعد ان يستخرج اليهود اكبر مستودع في العالم للنفط في منطقة النقب وبعد ان تظهر لهم تلك المشاريع السرية كمشروع البحر الميت والحولة من بوتاس وغيره

هذه بعض الحقائق المرة التي نشأت من قيام إسرائيل ، وسيظهر للناس أضعاف هذه الحقائق وسيذوقون اضعاف اضعاف هذه الآلام التي يعانيها اهل فلسطين من جراء تشريدهم واجلائهم عن بلادهم اذا لم ينتبه العرب ولم يستيقظوا من غفلتهم وسباتهم

وان الواجب ليدعو اولي الابصار ان يكشفوا للناس عن هذه المخاطر المحيقة بهم وعن هذه المنايا الجاثمة في حدودهم وعلى مقربة منهم كل على حسب مقدرته ومعرفته وفي حدود استطاعته وامكانيته

وهذا ما حدا بي الى تنظيم هذا الكتاب واخراجه على هذا النمط ،

ليثير الهمة ويشحذ العزائم وليشارك الى حد ما في غسل العار وإعادة المجد المسلوب والشرف المثلوم وخاصة وحالة فلسطين وأهلها لا تزال على هذه الكيفية المحزنة التي عرفها القاصي والداني .

وكان من حق التاريخ علينا ان نسجل كل حادثة عرفناها او وصلت الينا ليكون الابناء والاحفاد من ابناء الاجيال الصاعدة على بينة مما حدث على مسرح فلسطين من روايات وتمثيليات ، قد يكون من المفيد الاطلاع عليها

وقد صادف ان اطلع على مسودات هذا الكتاب طائفه من شباب العرب ومن اصحاب المكانة العالية والثقافة الواسعة ، فكانوا الحافز الاول لاظهاره الى حيز الوجود

وقد عاجلوني سامحهم الله عن اعادة النظر في كثير من صفحاته ، ولم يتركوا لي حق الاختيار في حذف صفحات كتبتها عن نفسي كمذكرات لأحفظها لي وليقرأها اولادي من بعدي كذكرى لهم لا لتنشر او لتذاع بين الناس ، وكان اجباري على نشر هذه المذكرات من اشد الاشياء على نفسي ، ولعل القارىء بعد ذلك يعثر على الحكمة التي كان لاجلها اصرار هؤلاء الشبان الاعزاء

ولعل المطالع لهذا الكتاب لا يجده على اسلوب واحد ، وفي الحقيقة فقد كان منه على اسلوب المقالة والخطابة والمذكرات واليوميات والقصص والوقائع

وقد نظمها سلك واحد وهو لغة الشعور ونبضات القلب وحديث الوجدان

ولم يكن حديثي في هذا الكتاب إلا حديث الغريب الذي فقد

وطنه والشريد الذي أضاع بلده والوالد الذي فقد ولده والوطني الذي اضاع عزه وفخره ومجده ، وقديماً قيل

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيهـــا

وقد صارت قضية فلسطين جزءاً لا يتجزأ من عقولنـا وتفكيرنا وقطعة غالية من قلوبنا واكبادنا . وصارت فلسطين في ماضيها وحاضرها ومستقبلها صفحات سوداء وصفراء نتلوهـــا في صبحنا ومسائنا وفي ليلنا ونهارنا

استغفر الله لقد ذهب النهار والصباح من زماننا نحن اهل فلسطين واصبح زماننا ليلاً كله ومساء كـــله وصرنا لا نرى إلا الظلام الدامس والليل الطامس والعز المفقود والشرف المسلوب

ولكن لا نزال نتلمس الفجر .. الفجر الصادق ونتحسس الأمل .. الأمل الحبيب وننتظر اليقظة يقظة العرب والشباب المؤمن

ولدينا صفحات بيضاء عن فلسطين هي ذكريات سعادتنا في وطننا هي صفحات الحب والوفاء صفحات الوطن وكثيراً مـا نرجع الى هذه الصفحات عندمـا تشتد الخطوب وتدلهم الحوادث لتكون البسمة والامل والرحمة والنور ولتبقى هذه الصفحات الخيط الذي يصلنا بفلسطين والطريق الذي يعيدنا إلى فلسطين

ولا يستعيد العرب فلسطين إلا اذا جعلوها قبلتهم وتسبيحهم ووردهم وحديثهم في فرحهم وحزنهم

ولقد كان اول واجب على الشعوب العربية والاسلامية ان لا يتعرفوا على شيء يُدعى بالفرح او يسمى بالسرور إلا بعد ان يستردوا حياتهم

وعزتهم ويؤمنوا مستقبلهم باسترداد فلسطين وإنهاء خطر اليهود والصهيونيين .

لقد حدثني عربي مهاجر كريم قدم من امريكا بعد النكبة فقال : كنت اظن اني عندما أمر في بلاد العرب سأجدهم قد لبسوا السواد وعقدوا المناحات وحذفوا من قاموسهم المآدب والحفلات ومن أفواههم الضحك والابتسامات ، كنت اظن انني سأجد العرب ساخطين غاضبين صائحين هائجين لا أثر للغناء في إذاعاتهم إلا غناء الحزن وأناشيد الحماسة

وكم كانت صدمة عظيمة حينما جبت بلاد العرب وأقطار المسلمين فلم أجد للنكبة أثراً في نفوسهم بل وجدتهم وا أسفاه لاهين عابثين مترفين غير مقدرين لما يخبئه الغد من اخطار جسام وحوادث عظام

هذا ما حدثني به المهاجر الكريم ولعلنا نحن اهل فلسطين نشعر بخطورة هذا الشعور المتبلد الذي أصاب العالمين العربي والاسلامي .

بل اقول بصراحة ان حزننا على ضياع فلسطين وما ضاع لنا من جراء ضياع فلسطين وما حل بنا من مآس وويلات بسبب ضياع فلسطين ، وإن كان كل ذلك عظيما وجليلا وخطيراً ولكنه في الواقع اقل من ضياع الامل في الشعوب العربية والاسلامية

لقد ضاعت فلسطين ولكنها لن تضيع الى الأبد اذا كان هناك شعور وتحسس وفكرة لدى الشعوب العربية والاسلامية ، اما اذا ضاع كل هذا فان فلسطين لم تضع وحدها ولكن ضاعت معها البلاد العربية بأجمعها .

هذه عقيدتنا ومن هنا كان واجب اصحاب الاقلام ليعيدوا الامل

الى النفوس والفكرة الى الرؤوس لنستعذب بعد ذلك الموت والعذاب في سبيل العزة والكرامة وانقاذ الوطن وتحرير البلاد

ان الدرس الذي يجب ان نعيده دائماً لنصل الى نتيجة واحدة وعقيدة واحدة ذلك هو ان انقاذ فلسطين واجب على كل عربي ومسلم لانها بلد كل عربي ومسلم

اذا وصلنا الى هذه النتيجة فقد بدأت الحياة تدب في عروقنا ، وبات الامل محققاً في انقاذ فلسطين ، لقد بقي اليهود آلافاً من السنين يبثون فكرة العودة الى فلسطين وكانت حلماً وكانت وهماً وكانت خيالا وكانت اضحوكة الضاحكين وعبث العابثين .

ولكنها صارت ايماناً وعقيدة ثم صارت حقيقة ودولة وصار من اليهود الذين تشردوا في كل مكان وتشتتوا في كل بلد وفقدوا الحكم والسلطة والملك آلافاً من السنين صار منهم شعب واحد وامة موحدة ودولة قائمة سبقت الدول العربية السبع [1] في بضعة شهور وصار لها اساطيل بحرية وجوية وجيوش عسكرية تهدد العالم العربي بأسره

فالى هذا النوع من النهضة ، وإلى هذا النمط من الشعور وإلى مثل هذه الحياة العمليه ندعو امتنا وخاصة الشباب منا

ولأجل هذا وضعت هذا الكتاب وبذلت المجهود المتواضع

ولقد حاولت ان اعرّف ابناء الامة العربية والاسلامية بسبب الداء وأصل البلاء ، لقد صارحتهم ان بريطانيا هي صاحبة فكرة انشاء الوطن القومي اليهودي اولا وصاحبة بناء الدولة اليهودية ثانياً

وهي التي أذلّت العرب والمسلمين في اقطار الارض ، وهي التي كانت السبب الاول والاخير في نكبتهم واحزانهم كما كانت امريكا

---

(١) كانت سبعاً ، يوم ان طبع الكتاب لأول مرة ، ولكنها صارت ضعف هذا العدد اليوم، الحال كما كان ...

التي عبدت « العجل الذهبي » عنصراً هاماً في تشييد اسرائيل واعلاء راية اسرائيل

ولكن هذا لا يعني اننا لسنا مسؤولين عن ضياع فلسطين . فلو كنا غصناً لا يكسر ولا يعصر لما حاول احد كسرنا او عصرنا ، ولو لم نكن حملاناً او كالحملان لما أكلتنا هذه السباع والذئاب والكلاب

ومع ذلك فانا من أعرف الناس بذلك المجهود الجبار الذي بذله عرب فلسطين طيلة ثلاثين سنة في مقارعة الاستعمار اليهودي والبريطاني ومناضلة الجيوش البريطانية ومنازلتها وكتبت في ذلك صفحات تراها في هذا الكتاب

ولكنني اطلب من بني وطني وأمتي ان يكونوا اكثر رجولة وأشد مكافحة من امم الارض جميعاً

ولنبدأ من جديد في اصلاح ما فسد واكمال ما نقص لننشيء جيلاً جباراً متعطشاً الى الدماء ، الى دماء اليهود وأنصار اليهود

ولنرضع اولادنا الحقد والكراهية والبغضاء نحو اولئك الأجانب الذين كانوا سبباً في هذه النكبة وهذه المحنة التي لم يعرف لها مثيل في التاريخ العالمي

والى هذا النوع من الفكرة والتربية ندعو شبابنا الناهض ، ولنعلم من الآن ان الطريق شاق وصعب مملوء بالأشواك والحسرات والدموع .

ولكن مع ذلك يجب ان نسير عليه وأن نذلل كافة الصعوبات فيه، ولا يستقيم لنا هذا إلا إذا أقمنا حياتنا على نظام جديد من الخشونة وطرح اللذائذ والشهوات لنوجد رجولة صحيحة ورجالاً يصدق عليهم قول القائل : إن لله رجالاً اذا أرادوا أراد ، وإذا عزموا لم تقف في وجوههم الصعاب ..

وإذا كان العرب من أهل الاندلس في بلاد المغرب قد اورثوا ابناءهم وأحفادهم وأحفاد أحفادهم الى عصرنا هذا وإلى ما شاء الله مفاتيح بيوتهم وحصونهم في بلاد الاندلس لتكون حافزاً لهم لاعادة هذا المجد الى الملك الاسلامي والخارطة العربية

فأولى بنا نحن اهل فلسطين ان نورث ابناءنا وأحفادنا ذكرياتنا وبطولاتنا وأمجاد ثوراتنا في ربوع فلسطين وجبال فلسطين لتكون نعم المذكر والحافز لاعادة أعز وطن واشرف أرض

ولأجل هذا وضعت هذا الكتاب وذكرت فيه بعضاً مما فعل اليهود من منكرات ، وما دبّر البريطان من مؤامرات ، وما تم الاميركان من مخزيات لعله يفعل في شبابنا ما يفعل البارود ليكونوا ناراً ودماراً على أعدائنا

ولقد اقتصرت في كتابي هذا على سرد الحقائق ووصف الواقع من غير ان ازيد فيه حرفاً او اتحيف على احد أمراً محاولاً ما استطعت ان لا أسيء الى احد وأن لا أشوه الحقائق على التاريخ

فان رأى احد في كتابي هذا ما يغضبه ، فانما هو بعض الحق المر الذي لو سجل كله لقتله ونحره ..

ومع ذلك فالحق هو أولاً وآخراً صديقنا ورفيقنا . وهو الذي نؤثره على غيره اذا تعارض معه

ولعلنا في الايام القابلة نظهر على شاكلة هذا الكتاب ما فيه إرضاء للحق وراحة للضمير

وكتابي هذا دعوة الى اخواني الذين اشتركوا في القضية من أولها . او خاضوا معاركها ، لأن يكتبوا ذلك ، تبرئة للذمة من مسؤولية التاريخ ، وما كتابي هذا بالنسبة لما حدث في فلسطين إلا كنقطة من

بحار مع العلم بأن ما سجلناه شيء قليل مما عرفناه وقديماً قيل :
ليس كل ما يعرف يقال ، ولا كل ما يقال يكتب

ولا اخفي انني قد اطلعت على كثير مما كتب في قضية فلسطين وخاصة في حوادثها ومعاركها الاخيرة فرأيت فيها كثيراً من الخيال وتزيداً على الواقع

ورأيت بعضها قد كتب بقلم خلا من الروح ونضب من ماء الحياة . فليست إلا الفاظاً كتبت وكلمات جمعت كأنها ترجمة عن لسان اجنبي .

فأردت من كتابي ان يكون روحاً وسلوى وعزاء للناس في محنتهم كما كان سلوتي وعزائي في محنتي ، فلقد تشاغلت به عن حوادث الزمان وكوارث الحدثان عند فقدان الخليل وكثرة الدخيل وذهاب الصفاء ، وتعذر الوفاء ، وشماتة (الاصدقاء) ، وضياع الاحبة ، وتغير المحبة ، وتوالي الكربة في ديار الغربة ، والله أسأل ان يعصمني واخواني من عصر ساءت حالاته ، وتوالت تقلباته ...

وإلى الله المشتكى وإليه المرجع ، ومنه نستمد العون والنصر والعزم والهمة واصلاح الحال ، والتغلب على الاشرار ولا قوة إلا بالله ...

وختاماً اشكر الاخوان الذين شاركوني في اخراج الكتاب او تفضلوا بارسال مذكراتهم إليّ والعصمة لله وحده ..

محمد نمر الخطيب

كانت الطبعة الأولى لهذا الكتاب بدمشق سنة ١٣٧٠هـ ١٩٥١م في المطبعة العمومية

الفصل الاول

من دمشق الى اريحا

بأمر من فخامة رئيس الجمهورية السورية المعظم (السيد شكري القوتلي) قمت مع نفر [1] من اخواني بزيارة اللاجئين في شرقي الاردن وفلسطين لتوزيع بعض الهدايا من قبل فخامته وللتعرف على حالة اللاجئين ومراقبة الأمور عن قرب .

الى فلسطين :

في صبيحة يوم الأحد الواقع في (١٥ / ٨ / ١٩٤٨) خرجنا من دمشق الفيحاء في الساعة العاشرة والنصف نقصد (فلسطين) مفتاح العروبة وقلبها وموطن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وعلى الرغم من سرعة السيارة ، ومن نهبها الأرض نهباً ، فقد كنا نراها بطيئة السير وئيدة الحركة ... شوقاً الى تلك الديار ورغبة في معرفة ما حل في الوطن ، وما فعله أولئك الأشرار الأدنياء شذاذ الآفاق من اليهود ... بني صهيون .

ولقد كانت قلوبنا تكاد تخرج من الصدور متطلعة متلهفة ناظرة ...

---

(١) كان الوفد مؤلفاً من السادة : صبحي الخضراء ، مؤيد العظم ، محمد نمر الخطيب .

وكنا كلما تقدمنا قليلاً قليلاً الى ديار الوطن زاد بنا الشوق واشتد بنا الحنين ...

اجتماع واتفاق :

وكان لزاماً قبل أن نغادر (دمشق) أن نجتمع لنتفق فيما بيننا على وضع خطة السير وكيفية توزيع هدية الرئيس البالغة (خمسمائة كيس) طحين فرأينا أنسب الحلول توزيع هذه الكمية على فقراء اللاجئين في أماكن احتشادهم في طول البلاد وعرضها ونتفقد كل فريق في مكانه ، ليتسنى لنا اخذ فكرة عامة عنهم وعما كان يسمى من قبل بفلسطين !! ..

الى عمان :

وبلغنا عمان بعد أن مررنا في طريقنا على (الزرقاء) وشاهدنا منظر اللاجئين القاطنين في الخيام في وهج الشمس وسعيرها على طرف البيداء وكنا نحسب انهم سيئو الحظ إلى أن تفقدنا حالة اللاجئين في عمان ، فحمدنا حالة أولئك الموجودين في الزرقاء .

وصف حالة اللاجئين في عمان :

يسكن اللاجئون في عمان الحوانيت المهجورة ، وتحت الشجر ، وفي الكهوف ، وفي خيام من الخيش .

وحالة اللاجئين بصورة عامة يرثى لها . والسعيد من استطاع أن يجد له عملاً مهما كان حقيراً ليعود عليه ولو برغيف واحد يومياً .

حالة الاستعطاء :

وأصبحت جمهرة كبيرة من اللاجئين (سائلين) من شدة العوز والفقر . والواقف يمر عليه مئات (الشحاذين) في زمن قصير وقد أبديت استغرابي هذا لبعض الاخوان فابتسم وأخبرني أن من أراد أن يعرف الحقيقة فلينتظر الى الليل وعندها يرى الأسراب تلو الأسراب من النساء والأطفال يطرقون كل باب ويلجون كل مقهى ، ويذرفون الدمع السخين ...

وهكذا وجد الفلسطيني الأبي نفسه سائلاً مستعطياً مجبراً علىذلك ملبياً نداء المعدة ، والامعاء ، مجيباً صراخ الأطفال ، والنساء ...

الاعانة الحكومية في عمان :

يصيب اللاجىء رغيف واحد في كل اربع وعشرين ساعة زنته (مئتا غرام) وعند التوزيع يصطف اللاجئون رجالاً ، ونساء ، واطفالاً على مسافة (كيلومتر) ولا تسل ماذا يحصل فيهذا الاجتماع من الهرج، والمرج،والفوضى...

عدد اللاجئين في عمان ، وشرقي الاردن :

٣٥٠٠٠ لاجىء في عمان .

٦٠٠٠٠ لاجىء منتشرون في القرى ، والمدن الأخرى .

ولا ينال أحدهم سوى رغيف واحد في اليوم والليلة ، وليس معه أي نوع من الادام ، ولا شيء من الطعام ، سوى تمرات بين الحين والحين .

لا فراش ولا غطاء :

ومن الحزن جداً أن ترى اللاجئين ينامون على الأرض ، وليس تحتهم فراش ولا فوقهم غطاء ، وإنما يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء ، يستوي في ذلك الرجال والأطفال والنساء .

ولا ملبس :

ومعلوم أن اللاجئين خرجوا من ديارهم لا يلوون على شيء ، وليس معهم سوى ما يلبسونه وقد أصبحت – على طول عهدها – رثة بالية . كلما رقعت من جانب ، تمزقت من جوانب ، وإلى الآن لم يفرف عليهم شيء من قبل أحد ...

ملابس عتيقة :

وفي أثناء وجودنا في عمان تألفت لجنة [1] جمعت بعد طوافها في المدينة

---

(١) برئاسة فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم القطان .

ثلاثين كيساً من الألبسة العتيقة سيجري توزيعها فيما بعد ...

الحالة الصحية :

ويشكو كل لاجىء من الانحطاط الجسماني العام ، ومن فقر الدم الناشىء من البرد ، وقلة الغذاء المؤديين قطعاً الى عدم المقاومة وأخيراً إلى الاستسلام لكل نازلة ومصيبة ، مما لا يقل درجة عن السل ، ولا يزيد على الموت ...

أغلبية اللاجئين :

وأغلبية اللاجئين في الأردن من أولئك الذين سُلمت بلادهم تسليم اليد لليهود ، ومنهم تتألف أسراب السائلات اللاتي يطرقن الأبواب وهن باكيات نائحات عاريات إلا من أسمال تغطي بعض العورة ...

جبابرة :

ولكن من يسألن ؟ ومن يستجدين ؟ إنما يسألن ويستجدين (جبابرة) لا يرق لهم قلب ، ولا تدمع لهم عين ، ولا تلين لهم عاطفة ، أولئك الذين يرون حالة اللاجىء ويؤجرونه الغرفة بثمانية جنيهات ...

قشر البطيخ :

وبلغ الحال ببعض كرام اللاجئين أن أخذوا يجمعون قشر البطيخ ويأكلونه ويجعلونه قوتهم الوحيد .

حافيات :

وكرام الرجال ، بل وكريمات النساء ، من بعض الاسر ، أصبحن يمشين في الطرقات حافيات ، وهن اللاتي كن لا يمشين في بيوتهن على السجاد حافيات .

بيع الكبريت :

ويكثر بائعو الكبريت من الأطفال والبنات الصغيرات حتى النساء ، وقد علمت أنهن يتخذن هذا ستاراً للسؤال والاستجداء .

زجاجة الـكاز :

والـكاز شحيح بعمان ، شحاً ظاهراً مما حدا بالمرأة اللاجئة ، أن تنتظر النهار بطوله ، لتحظى بزجاجة واحدة من الـكاز ، وما أوفر حظهـــا فيما لو حصلت عليه ...

يعرف اللاجىء بسيماه :

واللاجىء يعرف بسيماه ، من ضعفه البادي ، ومن وجهـــه الشاحب ، واصفراره ، وانكسار نفسه ، وما يبدو عليه من الذل ...

ان بيع الكرام بالشسع غالي :

وتبدو الحسرة المرة ، إذا تحدثت مع اللاجئين ، وكلهم يقولون : قد ذهبنا بأرخص الأسعار ، وباعونا بثمن بخس ، دراهم معدودات ... ويا ليتهم باعونا — على الأقل — بيع الكرام ...

أكوام من اللحم

وقد حدثنا بعضُ من لاقينا من إخواننا هناك ، عن ذلك المنظـر الفظيع منظر الأكوام ، من اللحم ، من الأطفال والنساء (المكدسة) فوق بعضهـــا البعض ، في السيارات ، يوم أن وقعت الواقعة في ذلك اليوم المشهود المشئوم .

يوم أن سقطت (اللد والرمـلة) حتى قال سيد كريم : لقد تمنيت أن أفقد كل مالي ، بل تمنيت أن أموت ، قبل أن أرى هذا المنظر البشع المؤلم .

ولكن يؤلم من ؟ يؤلم الأحرار من الناس ... وليس منهم طبعاً أولئك الذين جعلوا أنفسهم في يد (المستعمر) يضرب بهم ، وبأسمهم كل كريم حر ...

المظاهرات في عمان :

وقد أدى سقوط أو (إسقاط) اللد والرملة ، ورؤية هذه المناظر المحزنة ، بل والمخزية أيضاً ، إلى قيام المظاهرات الصاخبة ، والنداءات العدائية ، بسقوط الانجليز وذنبهم ... أو أذنابهم ... لا أدري مما اضطر (المسئول) بـأن يظهر أمام إجدى تلك المظاهرات ، وأن يخطب فيها ، ولكن قوبـــل بالبصاق ، والهتافات المتكررة ... مما جعله يهجم على طلاب المدارس ويضربهم (بعقاله) مشهراً عليهم (خنجره ...)

الى العراق :

هذه الحـالة التي وصفنا بعضها ، دعت آلافاً من الناس – وأغلبهم من قضاء حيفا – وكلهم شيوخ ، وعجزة ، ونساء ، وأطفال ، للهجرة الى للعراق ...

الى حيفا :

ويؤسفني جداً أن أسجل أن عدداً من ضعاف الهمـــة ، وساقطي المروءة ، ومن دعاة الهزيمة والاستعمار ، قد استولى عليهم اليـأس ، فطاروا إلى قبرص ، وأبحروا منها إلى حيفـــا ، حيث إخوانهم من الشيوعيين ، والصهيونيين ، ينتظرونهم هنـــاك – وأحتفظ بذكر الأسماء –...

* * *

الفصل الثاني

من أريحا الى القدس

الى أريحا :

وفي الساعة التاسعة مساءً ، خرجنا من عمـــان ، وسرنا قاصدين (أريحا) وقد التقينا بمن وقفنا منهم على حقائق ، يحسن ذكرها

الخوف على سقوط القدس

ولأول مرة في هذه الرحلة الشاقة المزعجة ، سمعنا أن هناك مؤامرات ، على سقوط القدس أعوذ بالله ، هل هناك خوف على القدس ؟ نعم وبكل انواع التأكيد ، أجابنا ذلك الموظف المسئول ... فازدادت همومنا ومخاوفنا وأخذنا نتصور ذلك المستقبل البهيم ، المظلم الذي ينتظر العالم الاسلامي ، ودنيا العرب

وأصبح هذا الحديث ، يتكرر على أسماعنا ، من كل شخص لاقيناه ، وفي كل مناسبة

بعض الفارين

وقد التقينا في طريقنا إلى اريحا ، مع بعض الفارين من وجه اليهود ، عند احتلال (اللد والرملة) ، واستمعنا الى احاديثهم ، فاذا هي من

الغرائب بمكان ، ولولا التواتر ، لما أمكن تصديقها ، مما جعلنا نجزم ان اليهود، هم اليهود ، ولو صارت لهم دولة ، وصار لهم شان.. وإذا كان باستطاعة بريطانيا ، أو امريكا ان تمدهم بسلاح ، أو ذخيرة فأنـــه ليس باستطاعتهم ، أن يمدوهم بخلق ، او مروءة ، او شرف

نعم لقد نجح اليهود في شيء واحد ، فأثبتوا بالبرهان انهم شرّ امة اخرجت للناس .. ومن كان في شك من ذلك ، فلينظر إلى براهينهم ، من قتل الشيوخ ، وذبح الأطفال ، وبقر بطون الحبالى ، من النساء ، ومن قطع الأذن ، لأجل القرط وقطع اليد لأجل السوار

وعلى هذه الأصول من المدينة الصحيحة ، قامت دولة إسرائيل. وسيأتي دكر شيء من هذه الأمور في حينه

عدد اللاجئين :

وفي صبيحة يوم الأثنين (١٩٤٧/٨/١٦) تقابلنا مع بعض المسؤولين ، وأخذنا منه المعلومات الآتية

١١٠٠٠ لاجىء في أريحا يتناولون الاعاشة

١٤٠٠٠ 〃 〃 〃 〃 أيضاً لا يتناولون شيئاً

٣٤٠٠ 〃 〃 القدس يتناولون الاعاشة .

٣٥٠٠٠ 〃 〃 رام الله وقضائها

١٤٠٠٠ 〃 〃 مدينة نابلس .

رغيف واحد

وفي كل أربع وعشرين ساعـة ، لا يصيب الشخص إلا رغيف واحد .

هكذا صار اهل فلسطين





الحيرة والاضطراب ... الفاقة والحزن ... والتفكير في هذا المصير ...

عاريات جولة بالمعسكر

ومن المؤسف ، بل ومن المخجل حقاً ، أن النساء بصورة خاصة ، شبهُ عاريات في معسكر أريحا ، وكذلك الأطفال

الموت من قلة الحليب :

ولسوء التغذية ، فقد جف حليب المرضعات ، وقد نشأ عنه موت الأطفال الرضع ،

عرض الأطفال للبيع مجاناً

وقد عرض علينا بعضُ السيدات ، أن نأخذ أطفالهن ، ولو ليموتوا بعيداً عنهن

دفن الموتى بين الخيام

وقد دبّ الموتُ بين اللاجئين ، صغاراً وكباراً ، فأخذوا يدفنون الميت بين الخيام ، على عمق لا يزيد عن شبرين ، لعدم تمكنهم من نقل الميت الى المقبرة ، لضعفهم ، ولكثرة عدد الموتى كثرة مخيفة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ولقد شاهدنا ذلك بأعيننا ...

مكان اللاجئين في أريحا

وقد أقامت الحكومة معسكراً للاجئين ، في خارج المدينة ، على سفح جبل ، في سعير الشمس ، وهناك يتعرض اللاجئون للتهيب نهاراً ، لهيباً يذكر الناس بأهوال جهنم ، وأكثر هذه الخيام ، من الخيش العادي ، والناس هناك زرافات كأهل الحشر والنشر ، ولا يستطيع أي إنسان — أمام هذه المناظر — أن يملك دمعه ، هذا إن ملك قلبه ، ولبه

الدخان :

وقد شاهدنا الدخان المتصاعد في كل جهة ، فاستوصحنا عن ذلك ، فعلمنا أن السلطة هناك ، توزع على اللاجئين الطحين فقط ، واللاجئون مضطرون لعجنه وخبزه ، وهذا يحتاج الى حطب ، يجلب من هنا وهناك بعسر وأي عسر وفي جمعه تشتغل الصبايا المخدرات ، والنساء الكريمات ، وهكذا كان (وتلك الأيام نداولها بين الناس)

ومن هنا كان الدخان ، الذي يذهب بالأبصار ويوقف الأنفاس .

لا فراش ولا أغطية أيضاً

وعلى شدة بؤسهم وتعاستهم ، فانهم محرومون أيضاً من الفراش والغطاء ، فهم ينامون على الأرض العراء

اكياس خيش

والسعيد السعيد ، من استطاع أن ينام ، او يغطي أولاده بكيس من الخيش

ولذلك قصة

وعرفنا أن المسئولين ، جلبوا كمية من الخيش ، ليجعلوها ستاراً حول (بيوت الخلاء)

ولكن اللاجئين ، وجدوا أن دفع الموت عنهم ، أولى من الستر ، فأخذوا هذا الخيش ، وجعلوه فراشاً لهم ، وأغطية لأطفالهم ونسائهم..

مشاهدات مؤلمة

وقد شاهدنا في أثناء طوافنا حول مساكن اللاجئين ، أن النساء

والأطفال (عرايا) نعم عرايا ، ليس في ذلك مجاز ، ولا خيال
تظهر أجسامهن ، وتبدو عوراتهن ...

روانح

ولقد كادت الروائح الكريهة الكريهة ، تقتلنا لشدتها ونتنها ، وهي منتشرة بين البيوت ومن البيوت نفسها وذلك لعدم توفر المياه ، ومن انعدام الوسائل الصحية ، انعداماً كلياً

اجتماع :

وكان لا بدّ للوفد أن يجتمع مع هؤلاء الأشباح ... الذين كانوا بشراً وكانوا ناساً قبل أن تتدخل ملوك العرب ، وزعمائهم في قضيتهم... أما الآن ، فهم في عرف العالم ، لاجئون لاجئون

وقد تم الاجتماع ، في مكان أسموه (قهوة) وأخذوا يبثون شكواهم المدمية للقلوب ، والمقطّعة للأفئدة ، ومن هذه الشكايات ، أنهم طووْا يوم الوقفة وأيام العيد السعيد ... من غير أن يدخل الى قلوبهم شيء حتى الخبز ، سوى ماء كالحميم ، يتجرعونه ، ولا يكادون يسيغونه

فأعجب لقوم ، هذه أعيادهم ، وهذه أيام أفراحهم

مظاهرات صاخبة

وقد أخبرونا أيضا ، أنهم تجاه هذا العطف والحنو المنقطع النظير قاموا بمظاهرة صاخبة ، هتفوا فيها بشتى الهتافات ...

ولا اريد ان أقول ماذا قالوا ؟ وماذا عسى أن يقول الجائع العريان ... نعم يجوعون ، ويعروْن ، وعلى خطوات منهم مَنْ يرفل بالحرير ، ويتخم من الدسم ، وهم حماة فلسطين ... وخلفاء صلاح الدين ...

٤

انواع اللاجئين

ومساكن اللاجئين على أنواع فبعضها من خيام كما اسلفنا ، وبعضها جريد ، من النخل معرش

وكثير من اللاجئين ، لم يجدوا لا هذا ولا ذاك ، ويبلــغ عددهم (٣٠٠) (من الناس) يعيشون في العراء ، لا شيء يظلهم ، ولكنهم يحمدون الله تعالى ، على ان وجدوا (ارضاً) تقلهم ...

المستوى الأخلاقي :

ومن الطبيعي ، أن ينشأ من هذا المحيط البائس العابس ، ما يناسبه ايضاً ولا ادري ، هل يصح ان يقال عن المرأة التي بـــدت بعض عورتها ، ولا تجد ساتراً ... حتى ولا خرقة بالية ، يقال انهـا فعلت ما يخالف الأخلاق ويجافي الآداب ...

اللهم إليك المشتكي ، من هذا الحال ، وسوء المئآل ...

عملية افناء

وقد خرجنا من زيارة اماكن اللاجئين في اريحا ، بفكرة واحـدة هي : ان هذه العملية ليست عملية تشتيت ، ولا عملية جلاء ، او (اجلاء) وإنما وهي عملية فناء وإفناء ...

والهدف ليس اهل فلسطين وحدهم ، وإنما بلاد العرب جميعـــاً ، والمستقبل كشاف ...

عدد اهل البلدة

وعدد اهل البلدة الأصليين (٤٠٠٠) نسمة اضيف اليهم (٢٤٠٠٠) الفــاً من اللاجئين ، فليت شعري ، كيف تكون حالة بلدة قد حوت اضعاف اضعاف سكانها الأصليين ...

هكذا صار اهل فلسطين ...

هل تصدق ان قوماً في هـذا العصر يعيشون على هـذا الشكل ؟

هل قرأت في التاريخ من أقدم عهوده ان امـة بكاملهـا اجليت عـن اوطانهـا وشردت عن بلادها ومزقـت شـر تمزيق ؟ !

*

إن هذه الصورة تمثل بعض كرام اهل فلسطين الذين كان حظهم عظيما.. فوجـدوا ولو مغـارة او كهفاً يأوون اليه..

ولكن الآلاف لم يجدوا إلا السماء والغبراء ..
فيا أيتها الحزانى ... ويا أيتها الثكالى ... صبر جميل ...

الحل الوحيد

ما هو الحل لهذه المشكلة ، ولهذه الحالة البائسة ؟

هذا هو السؤال الذي طرحناه ، اكثر من مرة ، على المسؤولين ، وغيرهم من المفكرين ، فكان جوابهم جميعاً ! لا حل هناك سوى ان يحتل العرب القدس ، ويشردوا من فيهـــا من اليهود وهم يزيدون عن (مئة الف) ونكون بذلك قد استفدنا فائدتين ، ورمينـــا بحجر عصفورين

اولاً — اوجدنا عند اليهود مشكلة جديدة ، وهي مشكلة اللاجئين، كما اوجدوها عندنا ، ولا شك اننا نوقعهم في بلبلة ، وحيرة كما اقعونا...

ثانياً — قـد اوجدنا للاجئين العرب ، بيوتاً مجهزة بأحدث الوسائل الصحية ، تعوض عليهم ، ما فقدوا من وطن ، وسكن ، وبلد ، وولد على الأقل

واخيراً ، نكون قد رفعنا المعنويات عند العرب عامة ، وقضينا على جزء غير قليل ، من مشكلة اليهود

ولكن

وهناك رجعت الى نفسي ، وقلت : الجواب حق ، لا مرية فيه ولا شبهة ولكن ، هل تقوم الجيوش العربية ، بهذا الواجب ! ؟ البارحة والبارحة فقط ، كانت الجيوش العربية على ابواب (تل أبيب) عاصمة صهيون

والبارحة ، فقط كانت مدافع الجيش العربي ، تقذف بالحمـــم على رؤوس اليهـــود بالقدس حتى اخرستهم وادخلتهم جحـــورهم كالفئران ...

وكان بإمكان الجيش العربي ، ان يحتل القدس بكاملها بدقائـق لا بساعات

وقبل ذلك بأيام : كان اليهود محاصرين من قبـل المسلحين العرب ، المجاهـدين الذين ليسوا بمنظمين ، كما يقال عنهم ، وبلغ الحال باليهود ، انهم كادوا أن يموتوا من شدة العطش ... نعم كان ذلك ، ولم ينقـذ هؤلاء اليهود الاشرار ، البالغ عددهم (مئة الف) على اقـل تقدير ، سوى دخول الجيوش المنظمة

والبارحة ايضاً كان الجيش العراقي الباسل ، على ابواب حيفا ، نعم على ابواب حيفا عندما هزم اليهودَ في معركة (جنين) التي قتل فيها ما يزيد عن الف وخمسمئة يهودي على الأقل ، وفزع يهود (العفولة) وما جاورها من البلاد ، وهربوا الى حيفا

أذن

هؤلاء الذين كان النصر منهم قاب قوسين او أدنى ، فتركوه وزهدوا فيه ، هل يقومون اليوم ، بعملية احتلال القدس ، واجـلاء اليهود وتشريدهم ؟ أظن ان الجواب ! (ماكو اوامر) نعم ماكو اوامر ،[1] نعم وليبق العرب في ذل ، نعم ولتحل اللعنة والنقمـة ، على العرب والمسلمين ، ابد الآبدين ودهر الداهرين حتى يذهب (الوحي الشيطاني) ومن هذا الوقت الى ان تتغير (القادة) ويذهب (الوحي) اظن ان فلسطين ستطير

نعم ستطير ، وبهذا تتم عملية الانقاذ ، نعم إنقاذ فلسطين ، ولكن من اهلها ، واهدائها من (القادة) الى (السادة)

هذا ما خطر في البال ، ولكن من يدري ؟ فلنترك الحكم للمستقبل والدهر ابو العجائب

---

(١) عبارة باللهجة العراقية ، تعني عدم وجود أوامر لقصف اليهود أو محاربتهم ...

عند الحاكم العسكري بأريحا

ورجعنا مرة اخرى الى (الحاكم العسكري) نوصيه باللاجئين خيراً وهل نملك اكثر من هذا ؟

وهل نملك اكثر من أن نبلغه ما سمعناه من شكاوى اللاجئين ؟ ونلفت نظره ، الى تلك المرأة التي ولدت توئمين وساعدها الحظ !! فجف الحليب من ثدييها وانعدمت لديها كل الوسائل وأن نلفت نظره ايضاً ، الى هؤلاء المشوّهين ، الذين بترت منهم الأيدي ، والأرجل ، بحوادث النسف والتدمير

اسيرات الطنطورة

وقد حدثنا الحاكم العسكري حديثاً تقشعر من هوله الأبدان ، فقد اخبر انه رأى بأم عينه صغيرات كنّ مأسورات ، عند اليهود من قرية الطنطورة (التابعة لحيفا) في مستشفى (نابلس) مهتوكات العرض ، بحالة لا يستطيع القلم ، ان يصفها ، وان بعضهن كان لا يتجاوز عمرها ثماني سنوات

فهل سمع العرب بمثل هذا المصاب ؟؟ ولكن أين العرب حماة الديار ، شمُّ الأنوف ، اهل الغيرة والحمية ، وعلى اعراضهم اليك ربي المشتكى

من عرب اللجُّون :

وقد اخبرنا (الحاكم) ايضاً انه يعلم حق العلم ، ان امرأة من عرب اللجون ، كانت تحمل ولديها على صدرها ، فأتي اليهود وقتلو الولد الاول ، وهي تنظر والولد الثاني وهي تنظر واخيراً ارادوا ان يتفننوا في قتلها فقتلوها على أبشع صورة ، وأقبح حالة ،

قتلوهــا باطلاق النار في فرجها .. وهكذا فقد اثبتوا أنهم بلغوا اسمى مراتب الانسانية ، والمدنية فهنيئاً للعالم المتمدن على هذه البربرية ...

وهنيئاً للدول التي ساعدت على بناء (إسرائيل) على هذه الهمجية..

وأخيراً عاش العرب ، وملوكهم ، وامرائهم ، وزعمائهم ، وعاشت جيوشهم

الخروج من اريحا

وخرجنا من (اريحا) متأثرين بفعل نيران الشمس ، المسلطة على رؤوسنا ، وبفعل نيران الأسى ، والحزن المسلطة على قلوبنا ، خرجنــا ونحن ننشد

لمثل هذا يذوب القلب ، من كمد إن كان في القلب ، إسلام وإيمان

* * *

هكذا صار أهل فلسطين أو أهل الأندلس الثانية





قطعان من البشر تعيش في الكهوف ... وتسكن في خيم ممزقـة ... فريسة للطبيعة والأمراض ... وكأنهم من أهل العصور الأولى
والصورتان الممثلتان للبؤس والشقاء ، تغنيان عن كل تعليق ...



اثنان من اللاجئين

شيخ طاعن في السن وامرأته العجوز يستعيدان ذكرى الماضي في خيمة يخيم عليها البؤس

الفصل الثالث

في القدس

الى الخان الاحمر

وفي طريقنا الى القدس ، عرجنا على (الخان الأحمر) وهي محطة صغيرة في طريق القدس ، يستريح بها الجنود والمسافرون ، وقعدنا هناك يسيراً ، والتقينا بفرقة من جنود (الجيش العربي) جاءت مدداً لحامية القدس ، وقد قرأنا الحسرة على وجوه هؤلاء الجنود البواسل حقاً ، وعرفنا فيهم ذلك الأسد الأسير في قفصه ، الذي لا يستطيع به حراكاً

الى القدس

وأقبلنا نحو القدس ، واخذنا نستبطىء الوقت ، ونتهم السائق ، ونغذ السير واشرأبت الاعناق ، وتطلعت القلوب من الصدور ، ولاحت لنا من بعيد ، قباب الأقصى ، ومنائر الصخرة ، وأطل علينا مسجد عمر بن الخطاب ، وآثار صلاح الدين ، فما استطعنا ان نحبس الدموع ، فانهلت انهلالاً ، وما استطعنا ان نكتم الزفرات فتصاعدت الى السماء...

وفي الساعة الثانية بعد الظهر ، وصلنا ارض المحشر والمنشر ، وصلنا الى معراج رسول الله ﷺ ، وسارعت واهتبلتها فرصة ، فدخلت الى الأقصى ضحوتي أنواره ، وسارعت الى الصخرة فاكتنفتني امرارهـا وأخذت امتع نفسي بروضة من رياض الجنة ، بنسيمها العليل ، وهوائها الجميل ، واطلقت لروحي التمتع باشراقها وضيائها .

هل نحن في القدس ؟

وتلفت كالمجنون اسائل نفسي ، هل انا في القدس ، حقيقـة ام خيالا ؟ وهل انا بالأقصى ، يقظة ام مناماً ؟ حمداً لك يا قيوم السماوات والأرض على هذه المنة ، وشكراً لك على هذه العطية ..

ونازعتني نفسي ، ان اقبل كل شبر منها ، وان اشم كل تربـة فيها .

وطني ، لو شغلتُ بالخلد عنه   نازعتني اليه ، في الخلد نفسي

يا ارض النبيين ، ويا مسرى محمد ، (عليك صلاة الله) تفديك الانفس الغوالي ، وفي سبيلك المهج والأرواح .

ومكثت برهـة من الزمان ، شارد اللب ، مذهول الفكر ، لا يستقر نظري في جهة ، ولا فكري في مكان .

وودت لو امكث طويلا طويلا ، لولا ان تذكرت قـول الشاعر فتشاءمت .

المسجد الأقصى ، أجئت تزوره   ام جئت من قبل الضياع ، تودعه ؟

وهبّت النار في بدني ، فتذكرت اخواني وصحبي ، وهم ينتظرونني

(بمقر الحاكم العسكري)[1] فقمت مستعيذاً بالله (جل ذكره) دافعاً ما توهمته من مس الشيطان الرجيم ...

اين السكان والخلان ؟

وقمت بزيارة خاطفة في انحاء القدس القديمة ، فاذا الديار خالية من أهلها ، والحوانيت مهجورة من أصحابها ، والشوارع مقفرة إلا من نفر قليل .

أين تلك الجموع الزاخرة ؟

أين ذلك البحر من الناس الذي كان يموج موجاً ، ولا يكاد المار يجد سبيله فيه إلا بشق الأنفس ، أين أين ؟ ؟ !

يا قدس ! أين الزائرون من كل مدينة ؟ وأين الطارقون من كل أرض ؟ وأين الراحلون اليك ، من كل حدب وصوب ؟ ! .

يا قدس ! أين المصلون ؟ وأين العاكفون ؟ وأين الركع السجود ؟

يا قدس ! أين المؤذنون على المنائر ؟ وأين الخطباء على المنابر ؟

يا قدس ! أين المترددون على المساجد ؟ وأين المتحلقون على العلماء ؟

يا قدس ! أين القسيسون والرهبان ؟ وأين المتبتلون من خشية الرحمن ؟

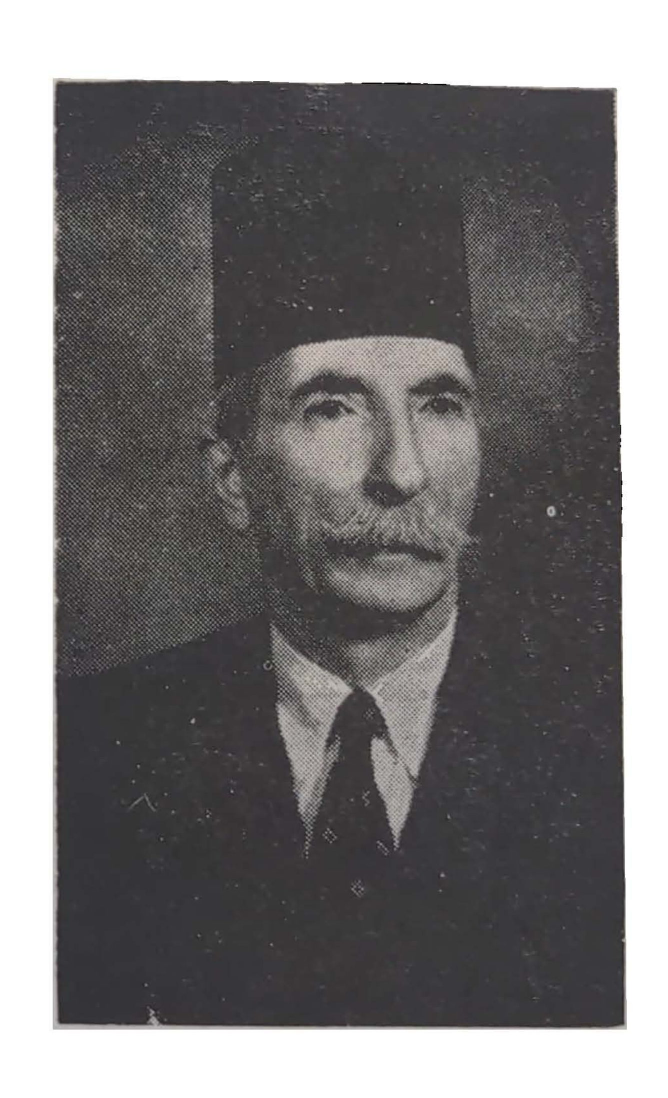
كأن لم يكن الحجون الى الصفا أنيس ، ولم يسمر بمكة سامر

في المجلس الاسلامي الأعلى

وصعدنا الى دار المجلس الاسلامي الأعلى ، حيث يجلس الحاكم العسكري

---

(١) كان الحاكم العسكري آنذاك احمد حلمي باشا .



الحاكم العسكري لمدينة القدس
احمد حلمي باشا عبد الباقي
وقد تكرر ذكره في هذا الكتاب

(احمد حلمي باشا) وهنا ، لا بد من قول كلمة الحق ، خالصة لوجه الله تعالى :

لقد أظهر هذا الرجل الشيخ ، كل بطولة ورجولة ، في وقت عزت فيه البطولة ، والرجولة .

وأظهر كل ثبات ، في وقت ندر فيه الثبات ، وخارت العزائم ، وذابت الهمم ، وتبخرت الرجال ...

ويجوب الانسان القدس ، التي كانت تزخر بالرجـــال ، وتفيض بالشباب والزعماء والوجهاء ... فلا يرى فيهـــا رجلاً مسئولاً ، سوى هذا الشيخ الكبير ، الوقور الجليل وأمثاله ، ممن بقي من المجاهـدين الصادقين ...

ويأسف الانسان كل الأسف على هذا القحط من الرجال ، والمحل من الزعماء والوجهاء

ولكن هكذا قضت الأقدار ... لتتم كلمة ربك .

مع الحاكم العسكري :

وجلسنا مع الحاكم العسكري نتحدث اليه ، ويتحدث إلينا .

ومـــاذا يكون لنا من حديث سوى هذه الأحداث ، التي ما كانت لتخطر على بال احد ، حتى ولا على بال اليهود أنفسهم .

هل كان أحد يظن ، ان ينقلب الحال بهذه السرعة العجيبة ؟

لقد كان اليهود (محاصرين) حتى كادوا ان يموتوا عطشاً ، فـــاذا العرب اليوم داخل السور ، واليهود يحيطون بهم من كل جانب ، إحاطة السوار بالمعصم ، ويهددونهم باقتحام الاسوار كل ليلة بل كل ساعـــة ،

حتى صـــار العربي إذا امسى لا ينتظر الصباح ، واذا اصبح لا ينتظر المساء

وهناك ما هو أعجب فقد أخذ اليهود يقذفون المدينة المقدسة ، بكل أنواع القنابل ، في الليل والنهار ، حتى صار العرب ينتظرون الموت ، من كل جانب ، من فوقهم ومن تحت أرجلهم لا يدرون أي موتة يختارون ...

تعالي اقاسمك الهموم تعالي

وأخذ الحاكم العسكري يشكو وانتهزها فرصة فاذا هو يشكو شكايات مريرة ... يشكو من نقص العتـاد ، ونفاد الذخيرة ، يشكو من قـلة الشباب ، وغياب المسؤولين . يشكو من هروب اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى ... يشكو من كثرة اللاجئين ، ونفاد المال ، وكـثرة السؤال

يشكو من (الطابور الخامس) من الشيوعيين، الذين يعيشون الفتنة ويشيعونها بين الناس ، ويطلبون اليهم الرضا ، بدولة إسرائيل ، وإخراج الجيوش العربية من ارض فلسطين

مع نفسي :

وقلت في سري ويلاه كل هذه العيوب ... وكل هذه السوءات.. وكل هذه الامراض !، لقد كان بعضها كافياً لافنائنا ، فكيف بها وقـد تجمعت من الشرق والغرب ، من الداخل والخارج ، من الاعـــداء والاصدقاء

ويلاه ، نحن على ابواب خاتمة تقشعر منها الأبـدان ، وتصطك من هولها الاسنان ، ويقول الوطني الحر يا ليتني مت قبل هذا ، وكنت نسياً منسياً ...



يهود القدس

هكذا كانوا يعيشون في مدينة القدس في اوائل القرن عشر ، وقبـــل ان يأتي « هرتسل» الى الوجود وبعد المؤتمر الصهيوني الاول عام ١٨٩٧ **وبعطي** «بلفور» **وعده بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين (١٩١٧)** .

اين تجار الوطنية !

القدس خاليـــة او شبه خالية ، إلا من شباب باعوا انفسهم لله ، واشتروا جنة عرضها السماوات والأرض .

(فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا)

مساكين هؤلاء الشباب ! تنظر اليهم فتتقطع نفسك حسرات عليهم لقد تجمعوا من هنا وهناك ، وليس لهم من هم سوى ان تصيبهم رصاصة في سبيل الله

لقد اجتمعوا ، لينالوا شيئاً واحداً ، هو الشهادة في سبيل الله تعالى، دعاهم الواجب فلبوه ، وتحرك في قلوبهم الايمان فأطاعوه

وتنظر اليهم فماذا تجد ؟ سلاحاً أكل عليه الدهر وشرب تجـد (بندقية) لا يملكون لها رصاصاً او (مدفعـاً رشاشاً) ولكن ليس معهم ذخيرة له

وكثيراً ما خانتهم (قنابلهم) فتفجرت فيهم ، قبل أن تصل الى اعدائهم ويحز في نفسك الأسى ، حينما تعلم ان هؤلاء الشبان ، يسيرون الى المجزرة بهذا السلاح المفلول

ولنترك الحديث عن كل هذا الآن ولنسأل هـذا السؤال اذا كان هؤلاء الجند فأين القادة ؟ اين أولئك الزعماء ، الذين ملأوا الدنيا صياحاً ؟ اين أولئك الذين كانوا يسيرون فوق الأرض ، كأنهم آلهة أو انصاف آلهة ، ويقول واحدهم

اشتدي يا أرض ما عليك إلا أنا أو (أنا ربكم الأعلى)

أين هـؤلاء ، الذين كانوا يمشون ويمشي وراءهم عشرات الحراس ، يحرسون ذواتهم الكريمة

لا لا ! هؤلاء (زعماء ...) لا يجوز ان يتعرضوا للأخطار ، ولا ان يقتربوا نحو النار ، لئلا يصيبهم دخان أو شرار .. وليصلَ هـذه النار هؤلاء المجاهدون وحدهم ، وعلى الله اجرهم . ورحم الله الشاعر حيث قال

وإذا تكون كريهة ، ادعى لها　　وإذا يحاس الحيس ، يدعى جندبُ

وصدق الله العظيم　وأمّا الزبدُ فيذهبُ (جُفاءً) وأمّا مـا ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الارض ...

وإلى (الوطنجية ..) نقول سلاماً سلاماً ...

موضوع الحكومة الجديدة :

وقد تحدثنا مع الحاكم العسكري في موضوع الحكومة الجديدة ، وضرورة مباشرة اعمالها حالاً . ولعل القارىء يسأل وما هي تلك الحكومة الجديدة ؟ ومن الذي ألفها ؟ !

لقـد كان ذلك يوم ان اجتمعت (الجامعة العربية) في القاهرة ، وأرادت ان تتحدى أهل الأرض فألفت حكومة (عموم فلسطين) .

ولكن متى ؟ بعد (خراب بصرة) كما يقول المثل .. فجاء تأليفهـا بعد فوات الأوان ، وإن شئت فقل : بعد أن قامت (دولة إسرائيل) على قدمين حديديتين ... وبعد أن صار لها جيوش ، واساطيـــل في البر ، والبحر ، والجو ...

ولنترك هذا كله ... فأين هم أعضاء حكومة عموم فلسطين ؟ ولماذا لا نراهم في القدس عاصمة البلاد ؟ لماذا لا نراهم (هنا) يصرفون الأمور ، ويديرون دفة البلاد ؟ إنها والله لمشكلة ، وأحسست بدوار في رأسي . ورأيت ان دمي يفور ويغلي ، كالماء فوق النار !!

وا مصيبتاه أيكون اليهـود أشجع منا نحن العرب ، اصحاب البطولات الخالدة ، وابناء الفاتحين الغازين ، ها هم اعضاء حكومـة إسرائيل (المزعومة) في اماكنهم ، لم يطيروا الى جهة ، ولم يذهبوا الى هناك على رغم أنهم محاطون بالأخطار ، ومهدّدون بالفناء انها لا شك مـألة ، نعم وأي مسألة

على كل حال

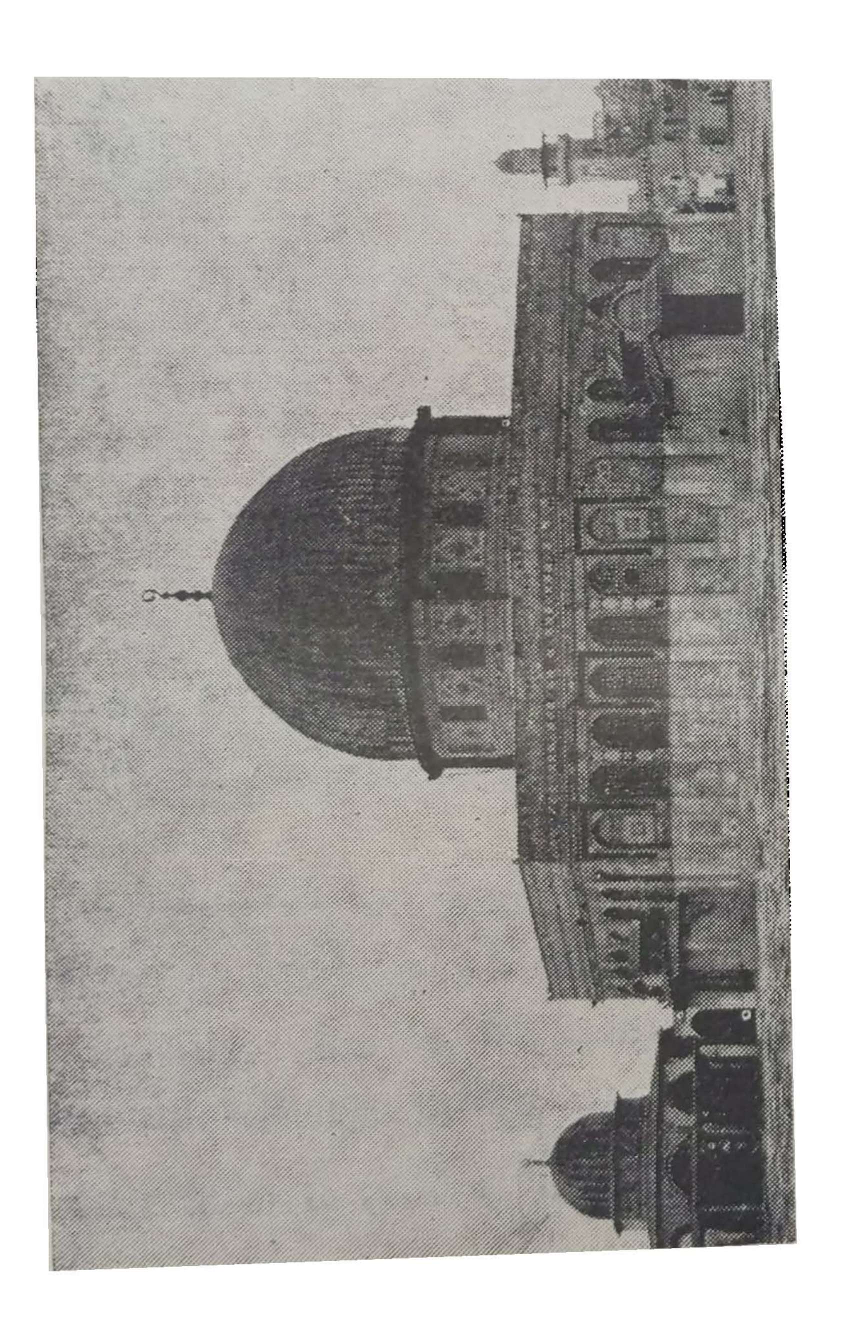
وعلى كل حال ، فلعل تأليف هذه الحكومة جاء استدراكاً للاخطاء ، ورجوعاً الى الحق فلتمض هذه الحكومة متوكلة على الله تعالى وانها لفرصة من فرص الزمان ، لاعادة الامور المدنية ، والمجالس الادارية والبـلدية ، وإعادة الحياة الطبيعية الى مجراها السابق ولن تقومَ للبلاد قائمة ، إلا اذا أُعيدت هذه الامور الى مجراهـا الطبيعي ، فيُحفظُ بذلك الأمن ، ويعودُ الاطمئنان ، وتسكنُ حركة الجلاء وينظم ، البريد ... واخيراً يعود اهل البلاد الى بلادهم .

نعم وعلى هذه الصورة السيئة من الفوضى والاضطراب والاختـلال تركت بريطانيا البلاد ، وعلى الأصح مـا تركتها إلا بعـد ان صيرتها هكذا

ما عملوا وما استقالوا

وماذا يعمل (الباشا) امام هذه الحالة ؟ وليس عنده احد من اعضاء هـذه الحكومة ، فقال قولة مصدور ، سامح الله هؤلاء الاخوان ، فانهم ما باشروا العمل ، وما قدموا ليستلموا العمل .. وما استقالوا ليفتحوا لغيرهم باب العمل .

وفي النهاية ، تم الاتفاق على انذارهم بضرورة حضورهم الى القدس ومباشرتهم العمل ، في مدة اسبوع ، وبالفعــــل فقد كتبت اليهم (التحارير) اثناء وجودنا



مسجد الصخرة

الفصل الرابع

تفقد الأقصى

وفي الساعة الخامسة من مساء اليـــوم المذكور ، اخذنا نتفقد ارض الحرم . وهنا ، رأينا ما فعلت القنابل والشظايا ، في اعظم المقدسات الاسلامية ، بعد حرم مكة وقبر محمد بن عبد الله (ﷺ) . لقد سمعنا من قبل ، انّ اليهود المجرمين ، قد ضربوا الاقصى بالقنابل وكنا نظن ان ذلك من قبيل الدعايات ، لاستفزاز العرب ، واثارة غيرة المسلمين ، ولكننا الآن امام الحقيقة الراهنة .. والواقع المر ..

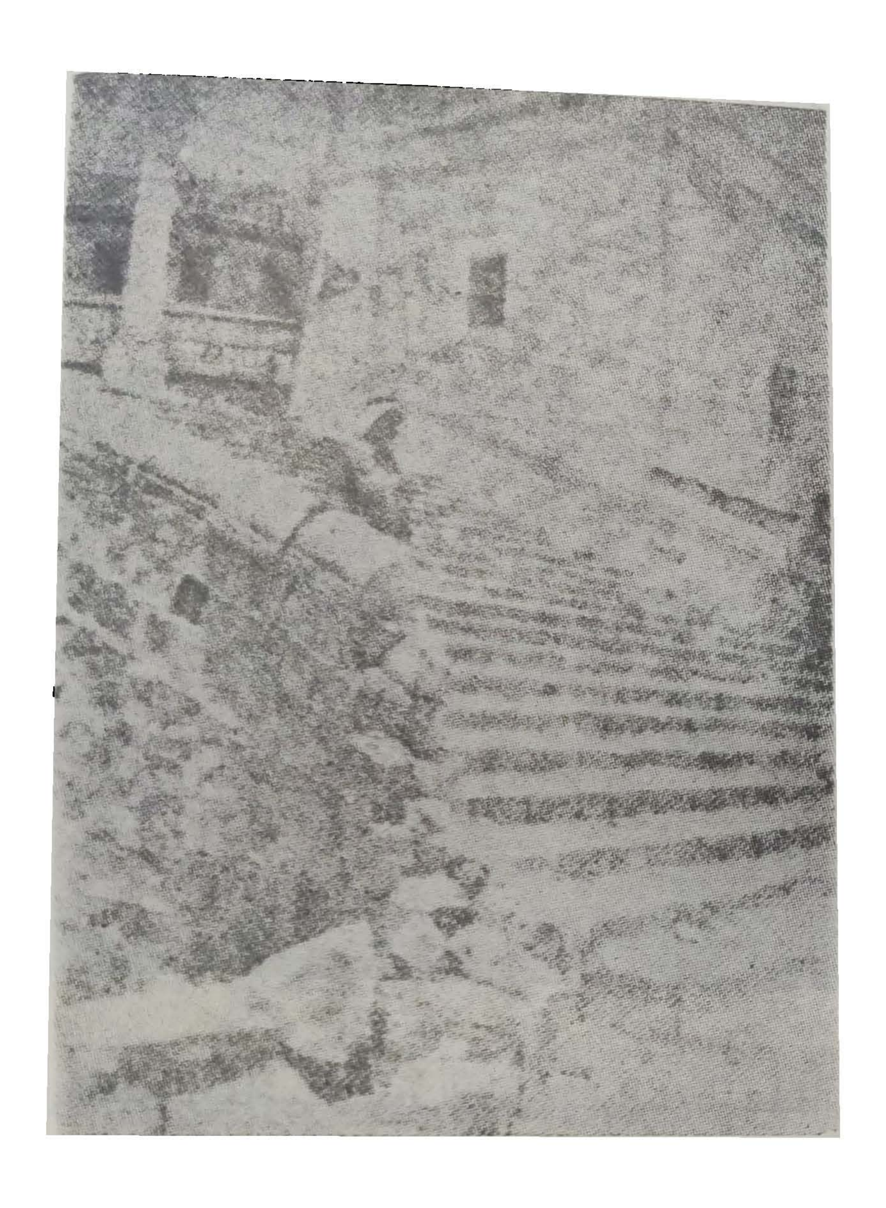
القنابل

١ – لقد سقطت قنبلة قرب ضريح الملك حسين كانت قد قتلت ٢٠ شخصاً وجرحت ١٨ شخصاً ، وآثارها باقية الى الآن .

٢ – قنبلة اخرى وقعت على الادراج المؤدية الى الصخرة ، وقـد عطبت كثيراً منها ، ولا تزال الى الآن مبعثرة

٣ – وقنبلة ثالثة ، قد وقعت على قبة المعراج وخربت كثيراً منها .

٤ – وقنابل متعددة ، ورصاص كثيف ، اصاب قبـة الاقصى ، التي تعتبر اعظم قباب الدنيا ، واعظم مآثر الشرق والاسلام .



السلم الغربي الواسع المؤدي من ساحة الحرم الشريف الى صحن الصخرة ، وقد اصابته عدة قنابل اطلقها المجرمون اليهود في هجومهم على الحـرم الشريف ليلة ٩ – ١٠ رمضان المبارك سنة ١٣٦٧ (١٦/٧/٤٨) محدثة عطباً شديداً في عدة مواضع منه وتظهر في الصورة الاضرار البالغة التي اصابت السلم الاثري النفيس المذكور



جانب من السطح الرصاصي للمسجد الأقصى المبارك وقد سقطت عليه قنبلة يهودية محدثة فيه عطباً وتخريباً ظاهراً في الصورة . ومما هو جدير بالذكر ان سطح هذا المسجد قد اعيد تشييده اخـيراً بامر حضرة صاحب **الجلالة فاروق** الأول وانفقت عليه الحكومة المصرية مبلغاً كبيراً .

فالقبةُ الكبرى قد خُرقت ، وشبابيكُ الصخرة قد مُزّقت ، وانتشرت وتعطلت ، فهناك عشرون شباكاً ، وكل شباك ، متأثرة من ملك أو تخليد ، لسلطان عظيم ، وكلها ، ويا للأسف ، قد اصيبتْ بفعل القنابل والرصاص من الطائرات والمدافع اليهودية

٥ – ووقعت قنبلة حريق ، على الطرف الشرقي من الأقصى المبارك ، فحرقت بعضه

عدد القنابل

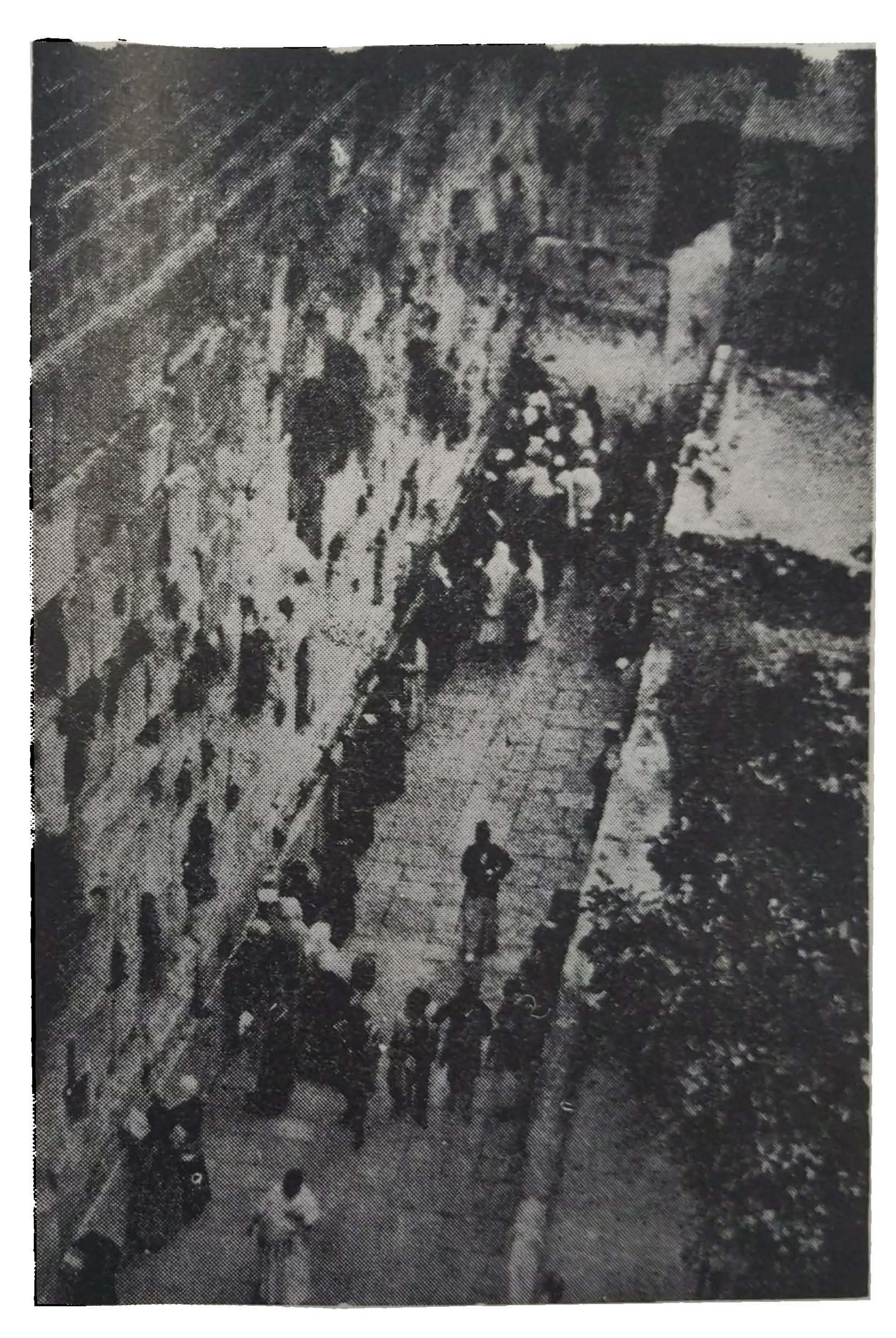
وقد اخبرنا بعض العسكريين ، انه في يوم ١٧ تموز وقعت على القدس القديمة ٨٠٠ قنبلة ، وقع ٥٠ منها على دار الايتام الاسلامية ، وقد شاهدنا آثار ذلك بأنفسنا ، عندما زرنا الدار المذكورة

الجامعة العبرية ، وهداسا

وقد كان معروفاً ومشهوراً ان اغلب الضرب الذي كان يصيب الاقصى وزوّاره ، وان اكثر القتلى ، من المصلين فيه ، كان من هذين الوكرين بل القلعتين (الجامعة ، وهداسا) وكنا نظن من كثرة ما سمعنا من الاذاعات ، وقرأنا من البيانات انهما اصبحتا خراباً ، يندبان من بناهما ولكننا من هنا ومن ارض الأقصى ، تطلعنا فاذا هما قائمتان زاهيتان ، جميلتان ، لم تصابا بسوء يذكر ، ولكنهما تسخران بمن ضربهما ، وتهزآن ممن خرّبهما ذلك الضرب او التخريب (المزعوم)

ولكن

ولكن لا غرابة في ذلك نعم لقد صوّب الجيش العربي الباسل ، الى هاتين القلعتين ، مئات القنابل إن لم يكن آلافها



حائط المبكى

هكذا كانوا يبكون عهدهم القديم عند « حائط المبكى » لاعتقادهم انه من بقـــايا الهيكل الذي بناه «هيرودس» عام ٣٠ ق. م. ودمره « ادريانوس » عام١٣٥م.

ومع هذا فلم تصابا بأي سوء ، حتى انه لم يخدش زجاجها ايضاً...
لعلك تظن ، ان القنابل لم تكن حديداً ، او ناراً بـــل كانت برداً وسلامـــاً او لعلك تقول ان هذين الوكرين كانا (محجّبين) بحجاب ...

ولكني اقول لا هذا ولا ذاك الأمر ابسط مما تظن ايهـا العربي الحر

إن الموضوع يتلخص ، في ان قائد المدفعية كان (انجليزياً بريطانياً) من اتباع الشيخ المبروك ، القائد (ابو حنيك) رضي الله عنه ، هكذا قالوا ... والعهدة على الراوي

وإذا عرف السبب ، بطل العجب

في الحي اليهودي القديم

وخرجنا من المسجد الاقصى الشريف ، قاصدين الحي اليهودي القديم، الذي كان يسكنه اليهود ، وهو مكان مرتفع قليلاً ، يشرف على الاقصى محبوبهم الأول ، فاذا هذا الحي مجموعة اطلال ، وخرائب ، واكوام من الحجـارة والتراب ليس فيه حجر على حجر لا يصلح منه شيء للسكن ، وليس فيه طريق ، يصلح للسير

كل ذلك او اكثره ، من فعل قنابل وألغـــام المجاهدين ، الذين خاطروا بأنفسهم ، وسلكوا تلك المسالك الوعرة ، وتسللوا في الظلام، ونسفوا تلك الأماكن والاوكار

ثم جاء الجيش العربي في (اول دخوله واشتراكه) في المعركة، فسلط على ذلك الحي قذائفه ، عندما علم ، انه ههنـــا يكن الخطر الاحمر .. وهنا ، ترقد الحية ، الخبيثة الرقطاء

وهنا أيضاً اشترك المجاهدون بأرواحهم ، فكانوا يخاطرون باشعال الحرائق ، حتى جعلوا الحي ، قاعاً صفصفاً

وهكذا ، وعلى الباغي تدور الدوائر

قدس الأقداس

وقد اعتلينا على اطلال (قدس الأقداس) وهو اعظم كنيس عند اليهود ، واعظم بقعة في العالم ، باعتقادهم

وهو مكوّن من ثلاث طبقات ، تشرف على الاقصى ، والبلد القديمة ، كل الاشراف ، وقد رأينا بأنفسنا بقية الاستحكامات ، التي كان يختبىء خلفها المتلصصون من اليهود والتي منها كانوا يطلقون النار على المصلين في الاقصى ، وعلى المارين الابرياء في اطراف البلدة ، وعلى نوافذ البيوت العربية لا يفرقون بين كهل ، وصغير ، او رجل ، وامرأة

ولا يرعون للجوار ، حرمة ولا قداسة ، وقد حمدنا الله تبارك وتعالى على أن خلّص البلدة المقدسة ، من شرور هؤلاء الانذال ، كما شكرناه تعالى على هذا النصر (الوحيد) الذي اكتسبه العرب

ملك العرب

ومن المؤسف ان هذا الحي الكبير ، الذي كان يسكنه اليهود ، والذي تهدّم عن بكرة ابيه ، إنما هو قسمان بعضه وقف اسلامي خيري او وقف ذري ، والبعض الآخر ، ملك ، للأسر العربية

ومع هذا فلا تجد احداً يأسف لهذا المصير ، لأنهم قد استراحوا من هؤلاء الأشرار الأدنياء

نشوة النصر

ولأول مرة في هذه الرحلة الملأى بالمآسي والمخازي والنكبات شعرنا



هكذا خرج هؤلاء الذين فاجأهم العالم المتمدن بهذه المجزرة البشرية .. فالى الله يشكون خيانة الانكليز ، وخساسة اليهود ، وظلم الاميركان..

بالفرح ، يرقص في صدورنا .. وشعرنا بموجــة من السرور ، تغمر نفوسنا

ليلة في القدس

ونمنـا تلك الليلة ليلة (١٩٤٨/٨/١٧) في القدس وكان نصيبنا في حرم الصخرة المشرفة ، وبدأ إطلاق النار من اول الليل اطلاقاً متواصلاً ، لم يعهد له مثيل من قبل ، وكان الجيش المصري يجيب على إطلاق النار ، بقذائف من المدافع الثقيلة ، فيسمع لها وقع ودوي شديدان وكان الجيش العربي الأردني ، ايضاً ، يرد على إطلاق النار ، بمدافع الهاون ، هنـا وهناك .

وكنتُ أرى بأم عيني الرصاص الاحمر ، والابيض ، وشهب القذائف تتطاير من فـوق الاقصى ، الى مواقعه المعينة ، وكنتُ اسمع بأذني الدوي والانفجارات مما لم يُعهد له نظير

وعلى كثرة ما سمعنا ، وتعودنا في مثل هذه الحالات ، فاننا لم نتم لحظة ولم نغفل دقيقة

الهجوم على النبي داود ، ومداخل البلدة

وزاد الموقف حراجة ، ما علمناه من انّ هجوماً فـوق العادة شنّه اليهود ، على حي النبي داود ، وهجومـاً ثانياً ، وثالثاً ، على مداخل البلدة ، من ابوابها

ولعلمي بقلة الوسائل ، وضعف العتاد والذخيرة عند العرب ، ايقنتُ أن الليلة ليلة الهجوم الجدي ، على البلدة القديمـة ، واستخلاصها من العرب

ولأني لم اكنْ محارباً في تلك الليلة ، وإنمـا كنت ضيف الله في حرمه ، فقد لجأت اليه تعالى بالصلاة والدعاء ان يحمي (حرمـه) ،

ويرعى (قدسه) ، وأخذت أتمثل بقول المصطفى ﷺ في موقعة بدر ، وهو يكرر قوله

(اللهم انْ تهلِك هذه العصابة فلن تعبدَ في الأرض)

كما كنت اتمثل ، بقول عبد المطلب ، حينما غزا ابرهة الكعبة

إن كنت تاركنا وقبلتنا   فأمر ، ما بدا لك

وهنا اخذت اتصور ، واتخيل ، ماذا سيحدث ، فيما لو تمكن (اليهود) من اختراق أسوار القدس

يا لهول الفاجعة .. ويا لهول المصاب ! انهم ورب الكعبة ، سوف لا يبقون من الأقصى ، ولا من المقدسات الاسلامية ، ولا المقدسات المسيحية حجراً فوق حجر ..

إنهم سيعملون من الاعمال ، ما تجعل حوادث (دير ياسين) نقطة من بحر

انهم سيعملون في ساعة ، ما عملته البربريه الصليبية ، في مئات السنوات ..

ثم خطر على بالي وأما (أنا) فماذا سيفعلون بي .. فيما لو وقعت في ايديهم .. ثم قلت   الموت دون ذلك ، إن شاء الله

إن بيني وبينهم ما لا ينسونه ولا أنساه ، ولقد كان من حقدهم ذلك الكيد الذي كادوه ، يوم ان كنت راجعاً من دمشق الى حيفا ، فأطلقوا عليَّ مئات العيارات النارية ، من سيارة ، كان يركبها جبناء...

ولكن الله سلَّم (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً) وكان يوماً مشئوماً عليهم ، ذهب فيه مئات منهم ، أخذاً بالثار من

اخوان ابرار ، وأصدقاء اخيار ، أقسموا بالله ، انهم لن يقابلوني ، إلا بعد أن يشفوا غليلهم ، من هؤلاء الغادرين ، وهكذا كان ، فقد اتوا الى مستشفى (الأمين) بحيفا ، مدججين بسلاحهم ، وعليهم دمـــاء الأعداء .

فرحمك الله يا أبا محمود ، وبا محمد الحمد

وحيا الله ، ليوث (حيفا) وآساد الشرى ، من اكمات (الطيرة) و (جبع) و (عين غزال) وفرسان (الكرمل) وأبطال : بلد الشيخ) الذين اثبتوا رجولتهم الصادقة ، وحبهم وتقديرهم للوطـــن ورجاله ؛ وللدين وآله ، ردَّ الله غربتهم ، وأزال كربتهم ، وأعــاد كرتهم ...

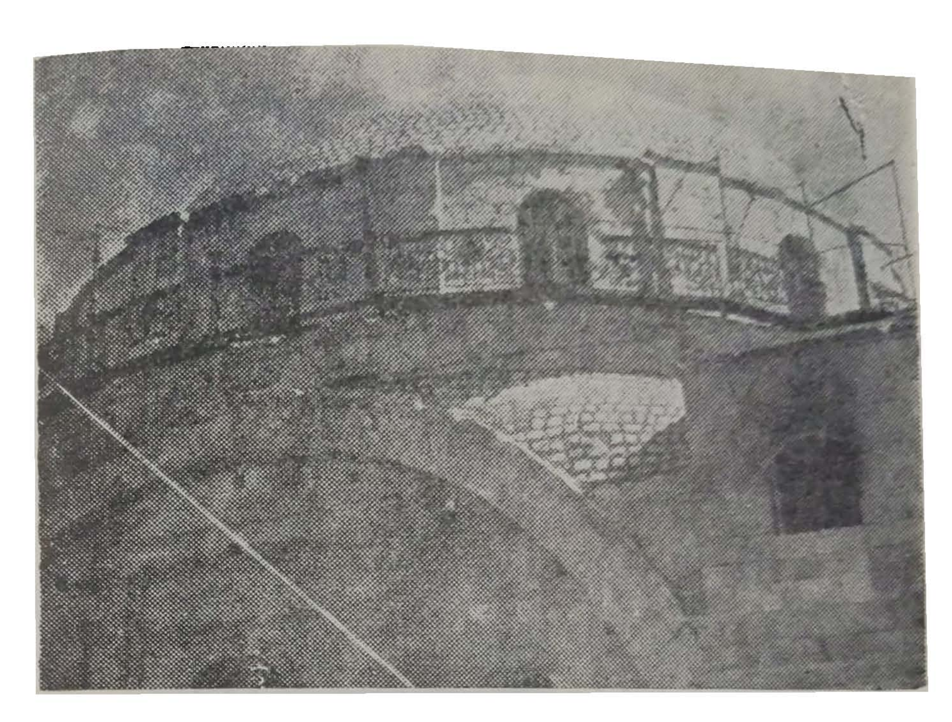
ولهذا الحادث ، حديث طويل ، سيذكر في مكان آخر ...

* * *



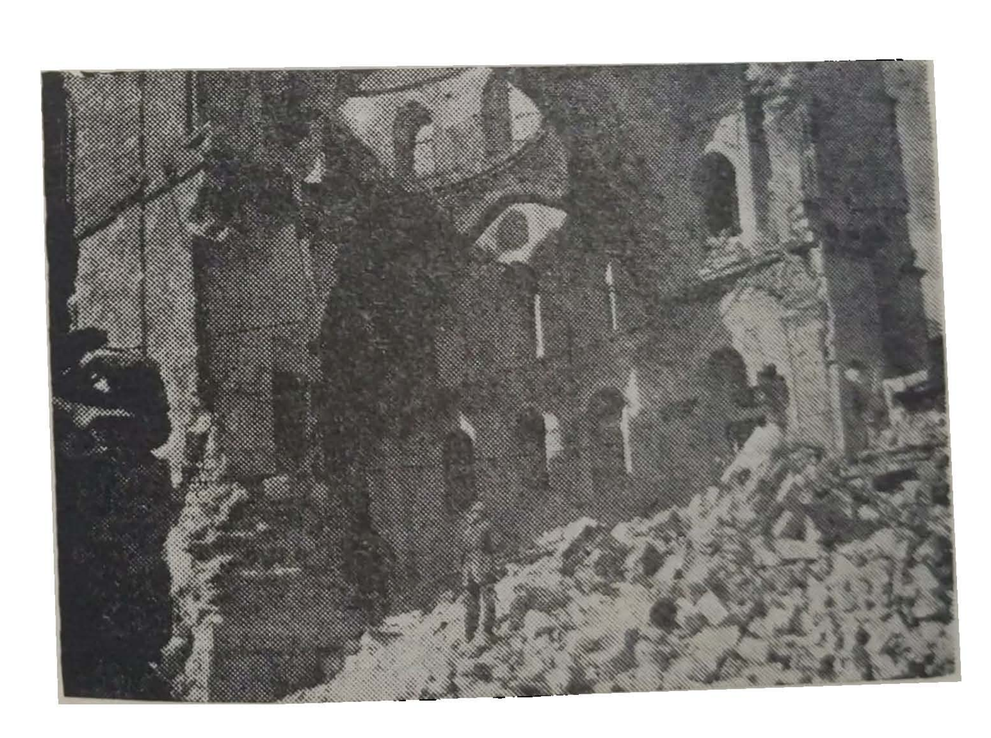
(كنيسة القيامة قبلة أنظار العالم المسيحي كله)

وقد ألقى اليهود عليها عدداً كبيراً من القنابل مختلفة الأحجام فأصابتها بأضرار بليغة كما أصابت الدير الكبير المحيط بها بأضرار كبـيرة ، ويشاهد في الصورة باب الكنيسة وقد سقطت امامه احدى القنابـل محدثة في فنائها أضراراً وعطباً



الكنيس اليهودي الكبير

قبل تدميره من لدن المناضلين العرب .



وبعد تدميره من لدن المناضلين العرب في ٢٨ – ٥ – ٤٨ وما كان العرب ليدمروه لولا ان اليهود استعملوه حصنا للقتال .

الفصل الخامس

في الصباح

وأصبح الصباح ، بعد اليأس من اصباحه ، والقنوط من انبلاجـه ، **فاذا الاخبار تتوارد** ان اليهود في تلك الليلة المشئومة ، **احتلوا – جبل المكبر –** ودار (المندوب السامي) و (الغابة **المحيطة بها**) **ودخلوا** (الكلية العربية) وهذه المناطق كلها مناطق حرام ، **وبعضهـا مسلمّ** الى هيئة الصليب الاحمر ، ووساطة الامم المتحدة

اهمية هذه المواقع

وغاية **اليهود** من احتلال هذه الأماكن ، السيطرةُ على **طريق أريحا– القدس – وقطع** خط مواصلات الجيوش العربية ، وتطويقها **بعد ذلك** ، **وأيضاً للتمكن** التام ، من الاشراف الفعلي على القدس **كافة** ، **بما فيهـا البلدة القديمة** ، ولضرب الجيش المصري ، ضربةً في الصميم

ضرب القرى المجاورة

وبمجرد ان احتـــل اليهود هذه الأماكن **الحربية العظيمة** ، **اخذوا يقصفون** أربع قرى ، **مجاورة** ، بالقنابل **قصفاً مروعاً** ، **فأصبحت ترى**

في الصباح ، أسرابا جديدة من (اللاجئين) يهيمون على وجوههم ، رجالاً ونساء وأطفالا ، لا يعرفون الى اين المصير

مقابلة بعض المسئولين

ورأينا من واجبنا ان نقابل بعض المسئولـين ، لنعرف الحقيقة ، وتحدثنا مع بعضهم طويلاً ، فاذا هم يظهرون سخطهم وأسفهم على هذه (المخزيات)

انعكست الآية

وبعـد ان كان اليهود ، في جميـع القدس مطوّقين « محاصرين » ، من كل جانب انعكست الآية ، فأصبح العرب في بقعة صغيرة من الارض ، داخل البلدة القديمة

الفزع في المدينة القديمة

وسرى الفـزع الى المدينة القديمة إلى جيرة الله في اقصاه ، بعد أن علموا انهم اصبحوا في خطر محقق ، من جرّاء الحصار المضروب عليهم ، من كافة الجهات . حتى على الطريق المؤدي الى اريحا وهو الطريق الوحيد الذي كان يصلهم ، بسائر العالم

نعم ! فزعوا ، وحق لهم ان يفزعوا ، لأنهم ما شاهدوا ليلـة ، اشدّ سواداً ، وأسوأ حـالاً ، من تلك الليلة وزاد في فزعهم ، رؤية اخوانهم ، اهل القرى المجاورة وقد اصبحوا مشردين لا مأوى لهم ولا ملجأ ...

حينذاك ، تألفت مظاهرة من خدمة الحرم وسدنته ، وانضم اليهم جماعات اخرى وتوجهوا الى مقر (القيادة) مكررين هتافات متعددة؛

مظهرين فزعهم وخوفهم مما أحاط بالقبلة الاولى مهوى الأفئدة ومتطلع انظار العالم الشرقي والغربي وقد سمعنا بعضهم ، يقـــول اذا ذهب الحرم ، فلا شرف للعرب ، والمسلمين ولا خير في الملوك والرؤساء ، وهل يرُجى هؤلاء الا لرفع العار وحفظ الذمار ؟

ولما كان الغريق ، يتعلق بحبال الهواء ، كما يقولون ، التفتوا الينـــا وطلبوا منـــا ابلاغ العالمين الاسلامي والعربي ، عن فزعهم ، وسوء مصيرهم وسوء منقلب الصخرة والأقصى ، ومقدسات العالمين ، الاسلامي والمسيحي ، وان ننقل للناس ما سمعناه ورأيناه بأعيننا . وقـد فاتهم ما قاله الشاعر قديماً

لقد اسمعتَ لو ناديتَ حياً ولكن (لا حياة) لمن تنادي

* * *



هكذا اصبح اهل البلاد لا مأوى لهم   واصبحوا بفضل السياسة (الانجلو أمريكية) خدمة الصهيونية العالمية   لاجئين تحت الخيـام والكهوف يعيدون عهد القرون الأولى ...

الفصل السادس

في القيادة

وسارعنا في دورنا ، وقابلنا الحاكم العسكري (احمد حلمي باشا) وحدثناه بما شاهدناه ، في هذه الليلة الليلاء ، وما حدث للناس من فزع ، فانضم الينا ، وقصدنا جميعاً قيادة الجيش العربي ، بمقرها الذي اتخذته في مدرسة (الروضة الاسلامية) المجاورة للحرم تماماً !
وقابلنا القائد عبد الله بك التل ، وهو شاب جريء غيور ، عاقل ، الا ان هذه المهازل التي (حيكت) حول القدس ، قد ادخلت عليه المرض ، وجعلته منهوك القوى ، والاعصاب ، واخذ بدوره ، يحدثنا عن اساليب هجوم اليهود في تلك الليلة ، مظهراً سخطه ، على هذه الأمور ، التي تحاك من وراء ستار

وقال ! ان حزني وأسفي ، انني دخلت القدس ، وكان اليهود تحت رحمتنا وسيطرتنا ، بل وفي قبضتنا التامة

اما الآن فاصبحنا ، ويا للأسف ، محاصرين من كل جانب ، وليس هذا فقط ، بل وتحت رحمة اليهود

وقد اخبرنا ، انه طلب قوة جديدة ، لأخراج اليهود من الاماكن

التي احتلوها ، قبل هذه الليلة ، لأن القوة التي عنـــده ، قليلة من ناحية ، ولا تكفي إلا للدفاع ، من ناحية اخرى وقال اذا سقطت القدس (البلدة القديمة) بيد اليهود ، فأن أربعين ألفاً من الجنود ، لا تكفي حينذاك لأخراجهم

الباشا ، والملك عبد الله

وطلب الباشا ، جلالة الملك ، هاتفياً ليتحدث اليه بمـــا جرى ، ولكن الدائرة الملكية اعتذرت ، بأن جلالته مشغول في بعض المهام ، وطلبت من الباشا ، ان يعيد الطلب بعد ساعة ، ولم ندر مـــا حدث بعد ذلك ، لأننا سافرنا بعد دقائق

وهنـــا ..:

وبعد استعراض ما رأيته الليلة ، ومـــا سمعته في الصباح ، من حوادث وكأنها (افلام) بوليسية مدهشة اذا (بذاكرتي) ترجع بي الى الوراء قليلاً يوم ان كان ليوث المجاهدين الصادقـــين ، يحتلون القدس ، فلقد كان هؤلاء يستنجدون في اشد الساعات خطـــراً بالقوات النظامية المرابطة قريباً منهم ، يطلبون القوة والمدد ، ويستصرخونهم ، باسم العروبـــة والاسلام ، فما يكون جواب المسئولين الا ان يعتصموا بالسكوت نعم ، كانوا يسكتون ولا يجيبون اخوانهم الذين كانوا يشرفون على الهلاك ، والفناء لأنهم (حياهم الله) قد اتبعوا الحكمة الغاليـــة والقائلة إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب

ولقد حدثني (ثقات) من هؤلاء المناضلين ، انهم كانوا يتوقعون في بعض الليالي ، سقوط القدس بيد اليهود ، فيهرعون الى الهاتف فيتصلون (بالولي) ويحدثونه بصوتهم المتهدج ، المتقطع ، المزعج ، باحتمال

سقوط القدس متوهمين ان هذا الحدث ، سيزعجه ويشعل همتـــه ناراً ، فيأمر بجيوشه المرابطة ، بالزحف

ولكن ، سرعان مـــا يخيب ظنهم عندما يسمعون الجواب بصوت بارد ، هادىء ، رخيم ، لا بأس اذا خفتم على انفسكم ، فاتركوا القدس واعتصموا بالجبل وبعد ذلك ستتولى جنودنا ، اخراج اليهـــود الأنذال من داخل القدس

يا لها من ذكريات

واخذت تتوارد علي الخواطر ، والذكريات واحـدة بعد أخرى ، فاخذتُ اتذكر ، ما كان يقوله البطل المغوار (طه باشا) كلما سقطت مدينة أو قرية في فلسطين (سابقا)

كان (مثلاً يأتي بعض من اهالي حيفا) رحمها الله الى الشام ويتشرفون بمقابلة (طه باشا) ويخبرونه بسقوط حيفا ، فكان يقـول لافض الله فاه لا بأس (حيفا) ليست مكانـــاً (استراتيجياً) وسنستردها قريباً وكذلك (يافا) رحمها الله ليست مكانـــاً (استراتيجياً)

وكذلك (صفد) رحمها الله ليست مكاناً (استراتيجياً)

وكذلك (عكا) رحمها الله وكذلك يافـــا ، والناصرة ، والطيرة ، واجزم ولوبييه ، وشفا عمرو ، رحمهن الله جميعاً

وفي حياة الباشا ، طول العمر وقد صدق الباشا حيـاه الله ، فقـد استردّ جيشُ الانقاذ ، كل هذه المدن والقرى ، ولكن ، على معنى انهم سيلحقون بها القدس ايضاً ... لماذا ؟ لأنها ليست مكاناً (استراتيجياً)



بنات وأطفال حيارى أصبحوا لاجئين ... وهكذا صار أهل فلسطين ...



رجع عرب فلسطين الى عصر الكهوف بفضل الانتداب

البريطاني ... ومساعدات اميركا الراقية ...

أي وربك ! ايها القارىء ، ما هو بالهزل ، فقد قالوا هذا مراراً ، وتكراراً ، حتى عرفه عنهم القاصي والداني

هكذا هكذا ، والا فلا ، لا ليس كل الرجال تدعى رجالا

وايضاً ، وفي هـــذه المرة ، قمت مستعيذاً بالله الرحمن الرحيم ، دافعاً مـــا توهمته من مس الشيطان الرجيم ، وقويت من عزائمي وقلت لنفسي ، حاشا لملوك العرب الصناديد ، ورؤسائهم المحاميد ، ان يتركوا (فلسطين) طعمة لليهود

المجاهدون المناضلون :

وللمجاهدين والمناضلين (في داخـــل القدس) الفضل الاكبر ، فهم الذين يحرسون ابواب المدينة ، في الليل والنهار ، وهم الذين قد احتلوا منطقة (النبي داود) وهم ، هم اهل النجدة ، الذين لا يكـلون ولا يملـُون وهم الذين كان لهم اليد الطولى ، في ازعاج اليهود والقاء الرعب في قلوبهم في البلدة القديمة وهم الذين كانوا ، ينسفونها على من فيهـــا بيتاً بيتاً ، شبراً شبراً جعل الله شهداءهم ابراراً ، وأحياءهم اخياراً بمنه وكرمه

وظيفة الوسطاء

ومـــا لا شك فيه ان الوسطاء وجماعة الصليب الأحمر بمنتهى التحيز والانحياز ، الى اليهود ، فعلى الرغم ، مما حصل في تلك الليلة وشاهدناه وسمعناه وعرفه اهل القدس ومن جاورها ، من اهل القرى فان الوسطاء الدوليين ، قد أظهروا تحيزهم ، ظاهراً جلياً ، وأعلنوا للملأ ، واذاعوا على العالم ، انهم لا يعرفون المعتدي ، والمحتل ، لدار المندوب والغابة ، مع ان اليهود لا يزالون في هذه الاماكن الى الآن وهكـــذا فلتكن العدالة ، وهكذا فلتكن الوساطة

جواسيس ، وعيون

وقد تبين جلياً ، لأهل فلسطين ، ان أكثر هؤلاء الوسطاء قــد اشتراهم اليهود ، وشروا ضمائرهم بالذهب ، والنساء واصبحوا عملاء لهم يرسلونهم الى العرب ليأتوهم بالأخبار ، وليطلعوا على اماكن احتشاد قواهم ، وتقدير مد عددهم .

وقد اصبح العرب في فلسطين ، يعرفون كل هذه الحقائــق ، ويعرفون قيمة هذه الضمائر وهذا الصنف من الرجال

تصميم اليهود على احتلال القدس

ومن مجموع ما رأيناه وسمعناه ، نستطيع ان نستخلص حقيقة واحدة ، تلك ، هي تصميم اليهود وتفانيهم واستماتتهم لأجل احتلال القدس ، وانهم ضحّوا وسيضحون بكل مرتخص وغال ، في سبيل ذلك

كالسوار بالمعصم

وليس بسر ان نذيع ان حالة القدس القديمة وحالة النصارى والمسلمين فيها ، قد اصبحت بمنتهى الخطورة ، فقد اصبح اليهود يطوّقون المدينـة ويحيطون بسورها من جميع الاماكن ، احاطة السوار بالمعصم ، وانعكست الآية ، فبعد ان كان العرب على زمن (المناضلين ، وجيش الانقـاذ) متوغلين في المناطق اليهودية ، ومحتلين أماكن هامة فيهـا ، اخذوا بعد دخـول الجيش العربي الاردني في تراجع مستمر ، وتقهقر مخز ، الى ان اصبحوا محاصرين في داخل السور ، لا يملكون سوى بقعة صغيرة ، من الارض ، وهكذا فسبحان مبدل الاحوال ...

هل هناك مؤامرة على تسليم القدس ؟

ويتهامس الناس ، بل ويتجاهرون فيما بينهم في داخــل القدس



الحرم القدسي

كثيراً ما قصفه اليهود بقنابلهم . ولا سيما في التواريخ : ١٦ تموز ١٩٤٨ و ٢٢ – ٣٠ آب و ٢٣ – ٢٧ ايلول . و ٣ – ١٦ تشرين الاول . و ٨ – ١٣ تشرين الثاني وفي ٣٠ كانون الاول .

وخارجها ان هناك مؤامرة ، على تسليم القـــدس لليهود وإلا ، فما معنى هذا التراجع ، وهذا التخاذل ؟ الذي لم ينشأ قط ، عن ضعف في القوى ولا عن قلة في الجيش العربي . ؟؟

العالم العربي والاسلامي امام كارثة عظمى

واننا على يقين ، بعدما عرفنا من هذه الحقائق المرة ، ان العـالم الاسلامي والعربي ، امام اكبر فاجعة ، وامام اكبر كارثة عرفها تاريخ العروبة والاسلام ، تلك هي سقوط القدس في قبضة اليهود ، وهذه هي حقيقة ماثلة ، ولا ينقذنا من هولهـا ، الا ان تمتد يد الرحمن ، فتلهم المسؤولين ، بارسال عدد وافر ، من الجنود الصادقين لحمـــاية المقدسات هنـــاك

اشاعة ، عن جلالة الملك عبد الله

ويشيع بعض الناس ان جلالة الملك عبد الله اذاع في مناسبات عدة انه غير مسؤول عن سقوط القدس وانه لا يملك الذود عنها ، وانـــه اخبر بذلك كافة الملوك ، والرؤساء

ونحن ننقل هذا القول من غير أن نتأكد من صحته ولكننا نستطيع ان نقول ، أنه يجب ان تنقذ القدس ، باية وسيلة كانت ، سواء بواسطة الجيش العربي ، الاردني وحده او بالاشتراك مع بقية الدول المقاتـلة ، وعلى كل فالمهم انقاذ العالم من هذه الكارثة

ماذا يقول الناس : ؟؟

ويتساءل الناس اين يكون شرف الملوك والرؤساء ، وكيف تكون سمعتهم وماذا تكون قيمتهم لدى شعوبهم فيما لو سقطت القدس ، ودك



المسجد الاقصى ومسجد الصخرة

كانا هدفين لمدافع اليهود القوسية (مورتر) ، وانك لترى اثر قذيفة من عيـــار ست بوصات على سطح المسجد الاقصى وفي الصورة ترى حارس المسجد (عمران عبد الرحيم منى) وهو يفحص موضع العطب

الاقصى ؟ ونسفت الصخرة ؟ وذهبت القيامة ادراج الرياح ؟ ومن الاولى لهم من الان ان يفتشوا لهم عن ملجأ ومصير

آراء سخيفة

ومن المؤسف جداً ان نسجل هنا ، ان جماعة ممن ضرب الله على قلوبهم وابصارهم واسماعهم ، يعتقدون ان لا اهمية للقدس ، وانها ليست موقعا حربياً استراتيجياً ، وان لا قيمة لسقوطها

القدس هي فلسطين

ومما لا شك فيه ، لدى من آتاه الله بصيرة ان القدس هي فلسطين ، لأنها اذا ذهبت ، فقد انتهت معركة فلسطين ، واحيط بالجيوش العربية جميعاً ، وكذلك فان معنويات العالم العربي والاسلامي ستنهار امام انهيار القدس وسقوطها بيد اليهود

فليحذر العرب والمسلمون

وقد تبين لنا ان اليهود سيقومون باعنف هجوم على القدس ، ليضعوا العالم امام الامر الواقع ، ويجعلوا القدس عاصمة لدولتهم (المزعومة) .!!
وعرفنا انهم ينوون ان يضعوا هيئة الامم المتحدة ، امام هذا الامر

نسف المقدسات

ومرة أخرى ، نعيد القول إننا امام اكبر مأساة عرفتها دنيا العروبة والاسلام ونقول جازمين ان اليهود اذا احتلوا القدس فسوف لا تمضي دقائق ، حتى يجعلوا الاقصى والصخرة ركاما واطلالاً بل ذرات في الهواء



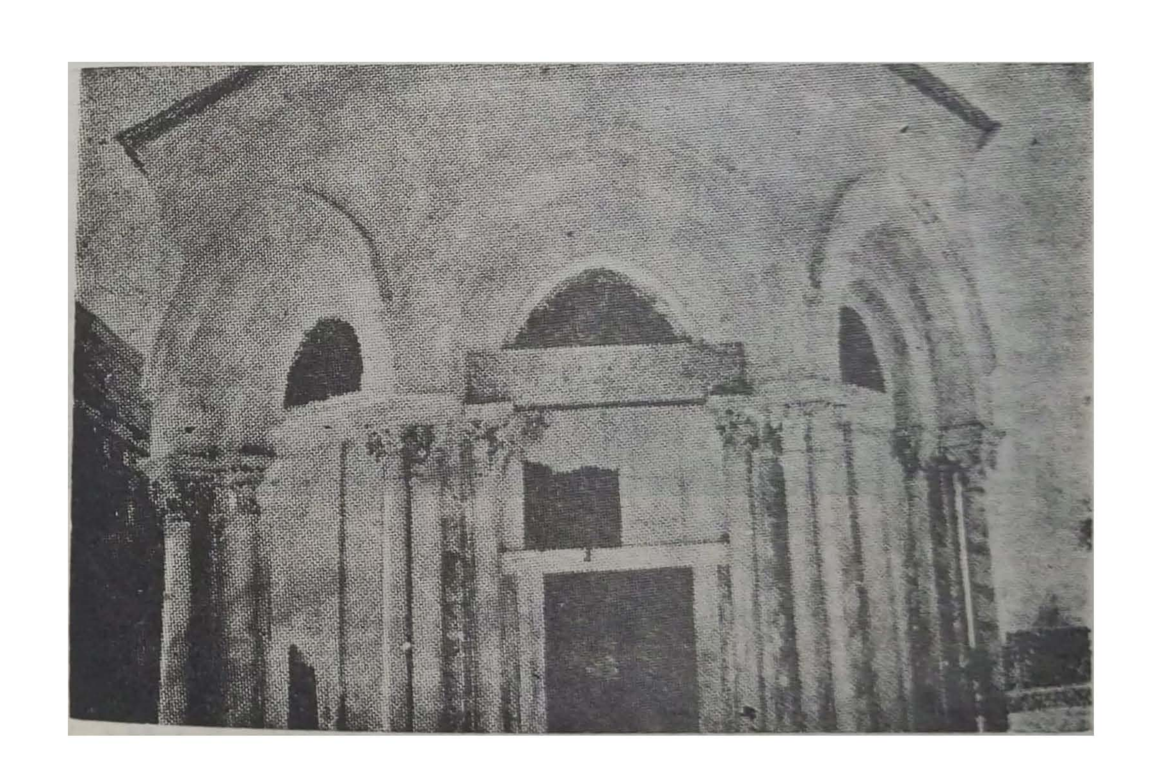
مسجد الصخرة من الداخل

أصيب سقف الرواق الاوسط وشبابيكه الأثرية بعطب شديد من جراء القذائف اليهودية

ولا يبعد ان يعيدوا على اطلالها هيكل سليمان ، بسرعة البرق متحدين العالم هازئين بمنظمة الامم والبهود لا يستترون بهذه الحقيقة ، ولا يكتمونها فليتنبه لذلك المسلمون والعرب ، وفي هذا بلاغ للناس ...

بيانات رسمية تاريخية

ولاهمية هذه القضية التي نعالجها نسجل هذه البيانات الرسمية ليسجل التاريخ ، ولتشهد الأجيال



قبة المعراج

اثر القنابل ظاهر في جدرانها يوم اتخذ اليهود مباني الحرم وقبابه هدفا لمدافعهم .

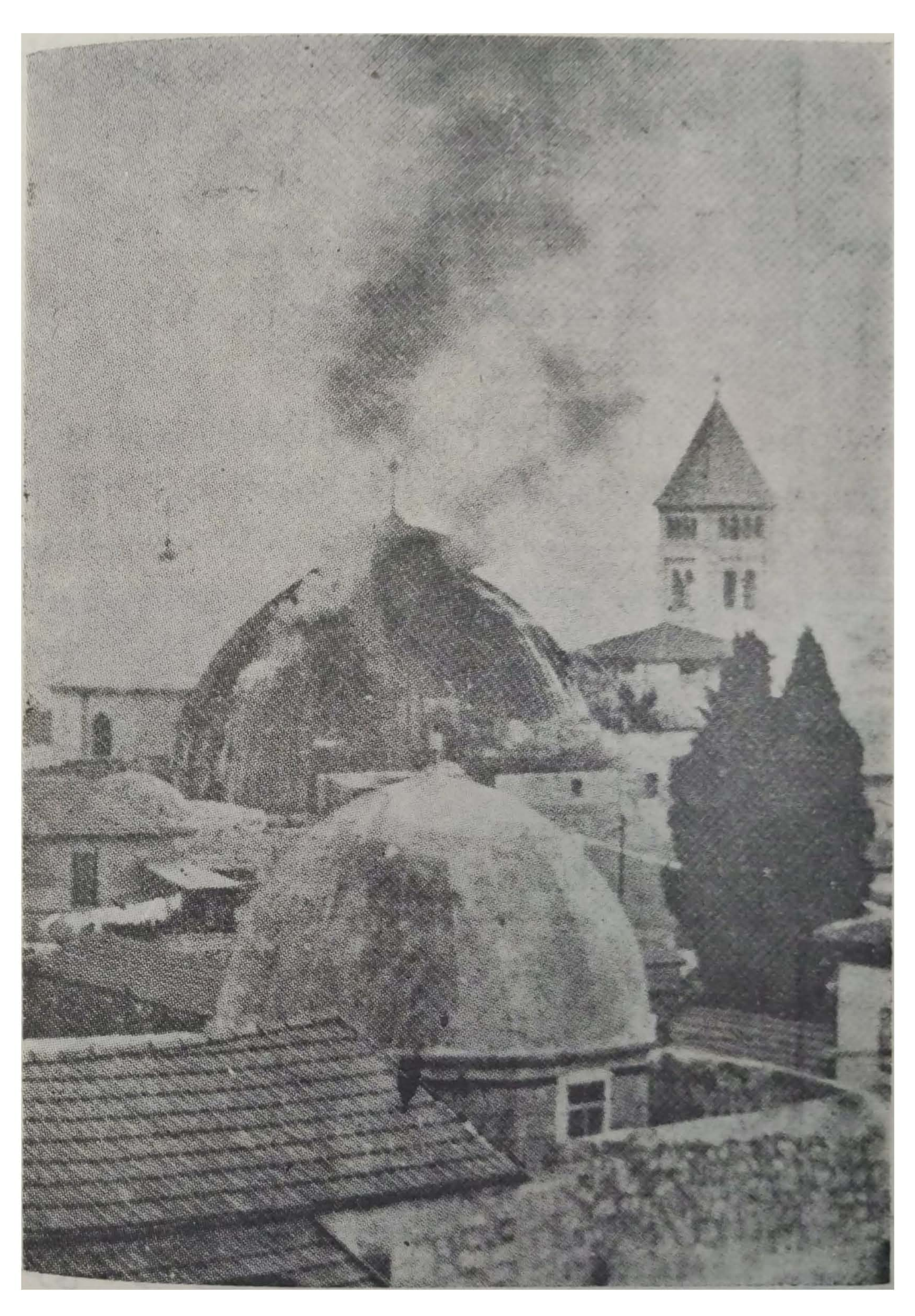
الفصل السابع

بيان الحاكم العسكري رقم ١

إلى العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، نوجه هذا البيان عما اقترفه اليهود المجرمون من الاثم ، باعتدائهم على أماكن العبادة ، التي تهوي اليها أفئدة الملايين من المسلمين والنصارى وما ارتكبوه من وحشية بقتلهم النفوس البريئة ، من النساء والأطفال ، والشيوخ والرهبان ، مسجلين الوقائع على الوجه الآتي

١ — كان مساء الجمعة ليلة السبت ، الواقعة في ٩/١٠ رمضان ١٣٦٧ الموافقة ١٦ — ١٧ / ٧ / ٤٨ من أشد الليالي ، التي شهدتها مدينة القدس ، حيث ابتدأ اليهود المجرمون ، قصف المدينة المقدسة ، في الساعة الثامنة والدقيقه الثلاثين ، مساء قصفاً متواصلاً ، استمر حتى الساعة الرابعة صباحاً وقد بلغ مجموع القنابل ، من عيار اثنين ، وثلاثة وستة ، أنشات (بوصات) ومن راجمات الألغام ، من أربعمائة قنبلة إلى خمسمائة وقع اكثرها على أماكن العبادة

٢ — فقد سقطت قنبلة على سطح المسجد الأقصى المبارك ، فاخترقت السقف من الجهة الشرقية ووقعت على بطانة السقف الخشبي المزخرف ، فأحدثت تلفاً في نافذة من النوافذ الأثرية ، كما سقطت قنبلتان على ناحية أخرى ، من سطح المسجد ، وأتلفتا قسما من الرصاص ، وأحدثتا حريقا أطفىء قبل استعاره ، وإبادة القبة جميعها



كنيسة القيامة   اندلاع النار في قبتها

٣ – وسقطت قنبلة على بناية الصخرة المشرفة فاخترقت الرصاص ، ونفذت إلى داخل الصخرة ، محدثة فجوة كبيرة ، في الخشب المزخرف، تبلغ مساحتها مترين طولاً ، ومتراً عرضا ، كما اتلفت ثلاث نوافذ أثرية، من نوافـذ القبة ، يرجع عهد إحداها ، الى ما يقرب من ثلاثة عشر قرنا ، وألحقت عطبا بالغا ، بست نوافذ أخرى ، كما أصيبت قبـــة المعراج ، بقنبلة أتلفت ثلاث واجهات ، من ثمان ، إتلافا بالغا ، هـذا فضلاً ، عن أربعين قنبلة ، سقطت في فناء الحرم وساحته ، آثارهـا بارزة ، واستشهد بتأثيرها ، نفر من المصلين

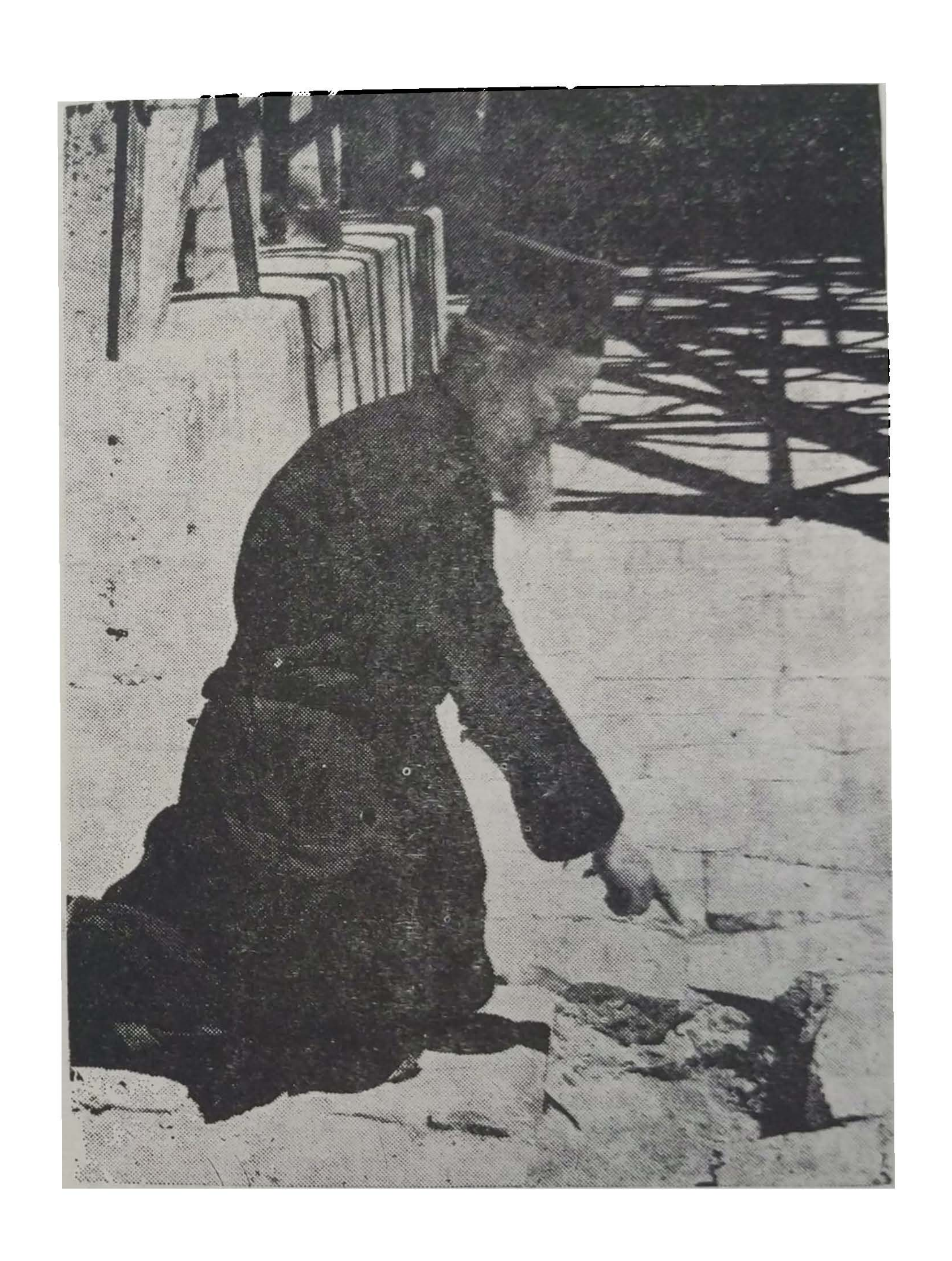
٤ – ووقعت قنبلة على جامع المأذنة الحمراء ، فهدمت الجدار الشرقي لساحة الجامع ، والدرج والبـاب الحديدي الكبير ، وألحقت أضراراً أخرى بالمسجد

٥ – وسقطت قنبلة أخرى ، على جامع سيدنا عمر بن الخطاب ، المجاور لكنيسة القيامة ، فأحدثت بعض الأضرار عند مدخله

٦ – وسقط عدد كبير من القنابل المختلفة الأحجام ، على كنيسة القبر المقدس « القيامة » ، وفي انحاء مختلفة من بنـاية الدير الكبير ، المحيط بالكنيسة فأحدثت أضراراً جسيمة

٧ – وأصيب دير الألمان ، الواقع في سوق الدباغـــة ، بعدد من القنابل ، اخترقت إحداها سقف الكنيسة الصغيرة ، وأحدثت عطبـا فيها ، كما أصابت قنبلة أخرى ، إفريز قبة الكنيسة الكبيرة فدمرته ؛ وسقط عدد آخر من القنابل ، على انحاء متعددة ، من بناية الكنيسة ملحقا بها اضراراً في الزجاج والجدران ، والمحتويات

٨ – ووقع عدد كبير من القنابل في حـارة النصارى ، على كثير من المباني والاديرة ، فهدم بعضا ، واحـدث في البعض الآخر اضراراً جسيمة ، وسقط بعضها على دير (مار باسيليوس) وعلى دير العـذراء ،



كنيسة القيامة

خوري من خوارنة الروم في الكنيسة يشير الى الموضع الذي سقطت فيه قذيفة من قذائف المدفعية اليهودية في ١٦ تموز ١٩٤٨

قرب كنيسة القيامة ، كما سقط على دير السيدة ، ودير كاترينا ، والدار الكبيرة لدير اللاتين ، ودير هوسبيس ، الألماني ، عدد آخر من القنابل أحدثت أضراراً بالغة

٩ – وسقطت عشرات القنابل ، على انحاء مختلفة ، من بطريركية الأرمن الأرثوذكس ، وجرح بسببها سبعة أشخاص ، وأصيبت عمارات الدير بأضرار وبلغ مجموع القتلى من الرهبان في الأديرة أربعة .

١٠ – وسقطت نحو سبع عشرة قنبلة ، في دير الأرمن للكاثوليك ، الواقع في محلة الواد ، حيث المرحلة الثالثة (لطريق الآلام) فأصيبت البناية بأضرار ، واحترقت سيارتان كانتا في حاكورة الدير المذكور

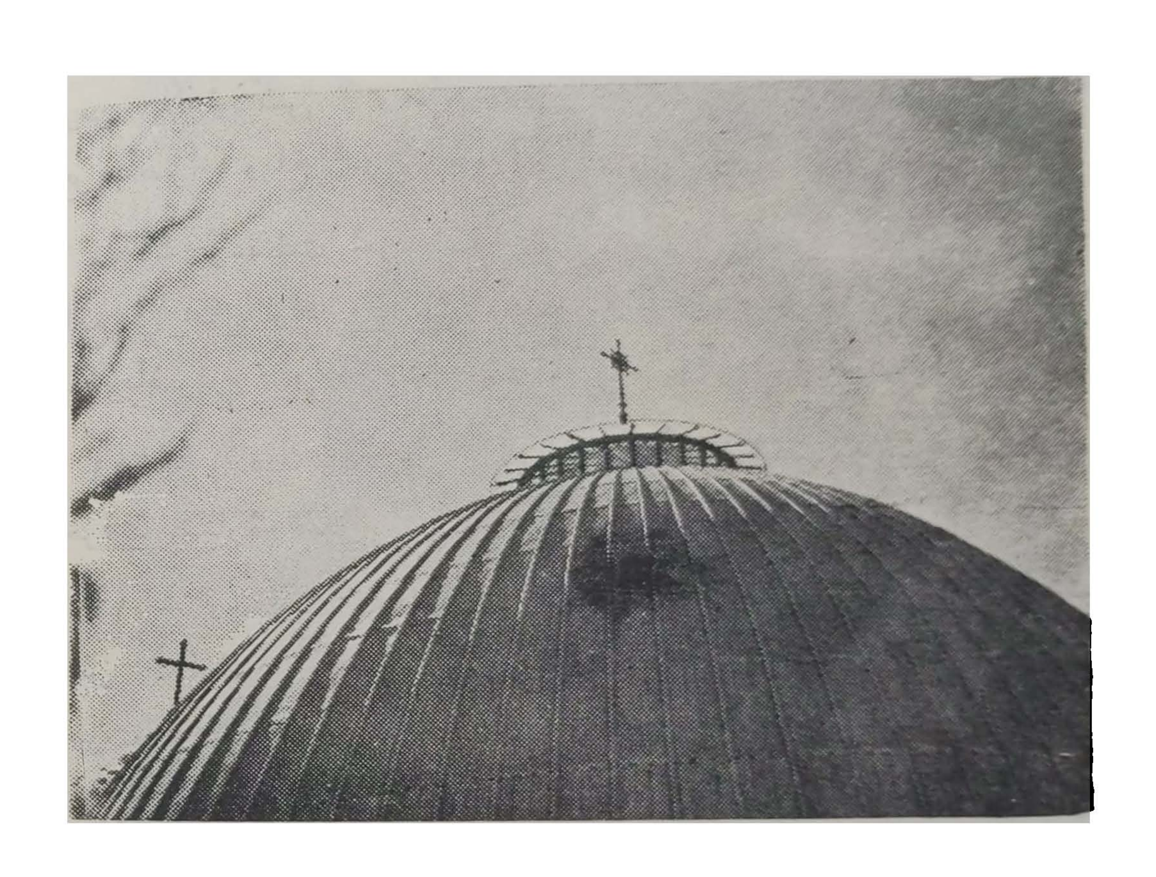
١١ – وسقط عدد من القنابل على مستشفى الهوسبيس النمساوي فأحرقت سيارة اسعاف

١٢ – وسقطت قنبلة على الصلاحية (دير القديسة حنه) للآباء البيض ، الواقع في طريق باب الأسباط ، فاخترقت سقف إحدى الغرف ودمرت (الدرابزين) الحجري .

١٣ – وسقطت خمس قنابل ، على سطح بطريركية اللاتين ، ونحو خمس عشرة قنبلة ، في انحاء مختلفة ، من عمارات دير اللاتين للفرنسيسكان

١٤ – وسقطت قنبلة في دير البنات ، وأخرى في دير الجيش ، الواقعين في حارة النصارى ، فأحدثت أضراراً مختلفة .

هذا ، وقد أصيبت بعض الملاجىء « دار الأيتام الاسلامية » والمعاهد ، وأسطحة المحال التجارية في المدينة بعطب بالغ ، وقطعت القنابلُ أسلاكَ التليفون ، ومواسير المياه ، والكهرباء ، وأحدثت حفراً في الشوارع .



قبة كنيسة القيامة

وترى عليها اثر قذيفة من قذائف المورتر اليهودية ..

ولا ريب ، في أن هذا العدوان ، إن هو إلا إنذار للعالمين العربي والاسلامي ، جدير بأن يقابل بمثله ، صداً للحوادث التي يبيتها اليهود للبلاد العربية وفي هذا بلاغ

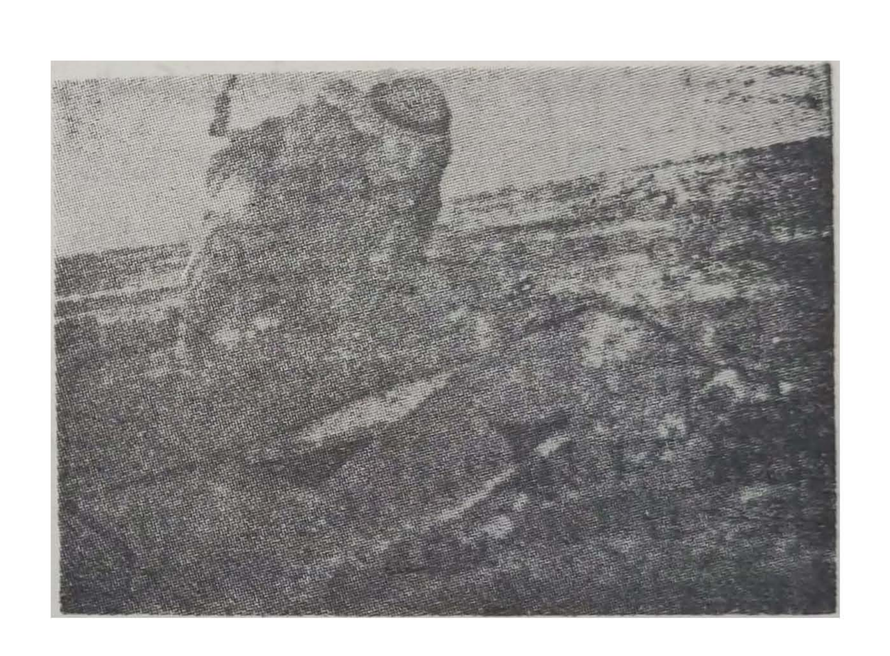
« الحاكم العسكري »

* * *

بيان الحاكم العسكري رقم — ٢

رفع سعادة الحاكم العسكري لمدينة القدس ، إلى أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء الدول العربية ، بيانا عن جرائم اليهود ، واعتداءاتهم الوحشية ، على المسجد الأقصى ، وكنيسة القيامة ، وغيرها من الأماكن المقدسة ، وفيما يلي نص هذا البيان

يتوجه الحاكم العسكري للقدس ، إلى أصحاب الجلالة ، والسمو ، والفخامة ، ملوك العرب ، وأمرائهم ، ورؤساء حكوماتهم ، وإلى رجالات الاسلام ، والعروبة ، في مشارق الأرض ومغاربها ، معلنا فجيعة الامة الاسلامية البالغة ، وأسفها المرير ، لما حل بالمسجد الاقصى المبارك ، أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، وصخرة الله المشرّفة ، مسرى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من أضرار بالغة ، بتأثير القنابل ، التي اطلقها اليهود عليهما ، في مساء يوم الجمعة ليلة السبت ، الواقع في التاسع من رمضان ، سنة ١٣٦٧ الموافق ١٦/٧/١٩٤٨ بالعشرات فقد ابتدأ إلقاء القنابل ، بصورة متتابعة ، في تمام الساعة الثامنة والنصف بالتوقيت الأفرنجي ، من مساء الليلة المذكورة ، واستمر حتى الساعة الثالثة من صباح يوم السبت ، وقد كان من نتيجة هذا العدوان الآثم ، على الأماكن الاسلامية المقدسة ، أن أصابت قنابلُ اليهود قبة الصخرة المشرفة ، من الجهة الغربية ، فأحدثت فيها



جانب من السطح الرصاصي للمسجد الأقصى المبارك وقد سقطت عليه قنبلة يهودية محدثة فيه عطباً وتخريباً ظاهراً في الصورة . ومما هو جدير بالذكر ان سطح هذا المسجد قد اعيد تشييده اخيراً بامر حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول وانفقت عليه الحكومة المصرية مبلغاً كبيراً .

فجوة كبيرة جداً ، بعد أن اخترقت الرصاص الخارجي للقبة ، ونفذت منه إلى أرض الصخرة المشرفة ، وتساقطت نوافذ الفسيفساء الأثريه ، وهي ما لا يمكن تجديده ، كما لا يمكن بحال مطلقا إصلاحها ، ولولا لطف الله ، لذهبت الصخرة المشرفة بكاملها ، طعمة للنيران

وقد أحدثت القنابلُ حريقا حول قبة المسجد الأقصى ، من الجهة الشرقية ، كما احدثت عدة فتحات ، في الرواق الكبير ، والمسجد ، ولولا قيام فئة مخاصة ، من المسلمين بالاطفاء السريع لأتت النار على هذه القبة الخالدة بتمامها هذا ، وقد اصابت القنابلُ عدةَ اماكن أخرى ، من هذا المكان الخالد ، المشرّف ، منها قبة المعراج إلى الشمال الغربي من الصخرة المشرفة ، وأحدثتْ آثاراً بارزة ، في مواقع كثيرة من ساحات الحرم الشريف مما يؤكد أن الهدف لهؤلاء المجرمين كان المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة ، وقد استشهد من جراء هذا القصف عدد من المسلمين كان بعضهم يؤدي الصلاة

* * *

وان الحاكم العسكري للقدس ، ليهيب بالعالم الاسلامي والعربي ، باسم المسلمين والعرب في فلسطين ، الذين يتطلعون اليها بقلوب ملؤها الأسى والألم ، للعمل على صون الأماكن المقدسة ، وإنزال أشد العقاب باليهود المجرمين ، الذين دلوا بنذالة ، على أنهم لا يقيمون وزناً للمقدسات ، ولا للآثار الفنية الرفيعة كما أنه يعلن للعالم بأسره احتجاجه البالغ ، على هذه الجريمة النكراء ، التي ستسطر بأسوأ صفحات التاريخ ، ويدخرها الاسلام والعرب ليوم الفصل المشهود

الحاكم العسكري – أحمد حلمي [1]

(١) في اكثر من موضع تكلمنا عن هذا الشيخ الجليل الذي صمد في وقت عز فيه الصمود ، وثبت كالجبـــال الروامي في زمن تتطاير فيه الزعماء ، او المتزعمون ، تطاير الشعراء في كل واد وناد ... كما نقلنا ما شاهدناه من اخلاق احمد حلمي باشا ، حينما كان حياً بين الأحياء ، وكان له مادحون واصدقاء .. اما الآن واحمد حلمي ، قد انتقل الى جوار ربه ، فسكت مادحوه وتناساه عارفوه .. فحقيق بنا ان نسجل في الطبعة الثانية لهذا الكتاب كلمة حق ، ووفاء .

لقد كان المرحوم صديقاً وفياً باراً ، يقدر لأهل الفضل فضلهم ، ويعرف للمجاهدين مكانهم ، عرف رحمه الله بالكرم وسخاء اليد ، وحسن الطوية ، وسلامة النية ، تعرفه بحيائه ، وتمـــيزه بوفائـــه .

كانت له اياد بيضاء ، على كثـــير من الاسر المستورة ، كما كان ملجأ للقاصدين ، والفقراء والمساكين .

كان المرحوم مثالاً نادراً في اخلاقه ورجولته ، ونبله ، الى مجالسة الادباء ، ومساجلـــة الشعراء ، ومشاركة العلماء ، مع ادب رصين ، وشعر بليغ .

كان فقيدنا من الرعيل الاول ، الذي خدم قضايا العرب والاسلام ، في المجـالات المختلفة ، والميادين المتعددة ، ومن ابوابها الواسعة ، سياسياً ، ووطنياً ، وحربياً ، واقتصادياً .

ولد المرحـوم في صيدا سنة ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م وكان والده ضابطاً في الجيش العثماني . عمل المرحوم في العراق مدة من الزمان كمحاسب تارة ، ومديراً لأملاك الدولة تارة اخرى ، وفي الحرب العالمية الاولى عين قائداً لفرقة المتطوعين في جبهة العراق، وعلى يده سقط (كوت العمارة) واسر القائد البريطاني (طوسند) .

وفي عهد المرحوم الملك فيصل بسوريا عين وزيراً للمالية سنة ١٩١٨ وعند احتـلال فرنسا رحل للأردن فعين وزيراً للمالية ايضاً كما اسند اليه الملك حسين نظارة الخط الحديدي .

وفي فلسطين كان مراقباً عاماً للاوقاف سنة ١٩٢٥ ، واسس البنك العربي ، وبنك الامـة العربيـــة ، وصندوق الأمة الى غير ذلك من المؤسسات ، نفاه الانكليز الى سيشل سنة ١٩٢٧ واطلق سراحه سنة ١٩٣٩ وكان كذلك عضواً في الهيئة العربية العليا ، ثم حاكماً عسكرياً للقدس، ثم عهد اليه برئاسة حكومة عموم فلسطين وكان ذلك في ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٣٦٧ و ١ تشرين اول سنة ١٩٤٨. وقضى بقية عمره في القاهرة بادارة بنك الأمة العربية. ولما احس بقرب الأجل غادر القاهرة الى سوق الغرب بلبنان للاستشفاء ثم توفي ، في ٢٨ - ٦ - ٩٦٣ . اكرمه الله تعالى فجعل مثواه في تراب فلسطين بالقدس بالأقصى المبارك جزاء دفاعه عن حرمه وبلائه في جهاده . رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وغفر له ، واجزل مثوبته ، وجمعنا به تحت لواء سيد المجاهدين .

المؤلف

عدوان اليهود على الكنائس بفلسطين

الطوائف المسيحية تتكلم

ننشر فيما يلي نص البيان الذي أذاعته لجنة ممثلي اتحاد الطوائف المسيحية في القدس ، عن الاعتداء الأثيم ، الذي أوقعه اليهود على الكنائس ، وأماكن العبادة ، في فلسطين ، موجهة اليه نظر العالم المتمدن

لقد اشتعلت الحرب في مدينة القدس وما كنا لنتوقعها ، ذلك لأن مجلس الأمن وهيئة الامم المتحدة ولجنة هدنة القدس القنصلية ، كانوا قد عللونا بهدنة ، تحمي هذه المدينة ، واماكنها التاريخية المقدسة ، من ويلات الحرب وما يلحقها من خراب ودمار ، إذْ أن الطرفين المتحاربين، وقعا أمام لجنة الهدنة المذكورة ، وأمام ممثلي الصليب الأحمر الدولي ، على تعهد بوقف إطلاق النار ، لمدة ثمانية أيام ، اعتباراً من الساعة التاسعة من مساء ١٩٤٨/٥/١٤ وفي الواقع أرسلت القيادة العربية الى جميع الجبهات أمراً بوقف إطلاق النار تنفيذاً لهذا الاتفاق ، وأعلنت ذلك بواسطة مكبرات الصوت ، فساد الهدوء في الجبهات العربية كلها

ولكن اليهود لم يكترثوا لهذا الاتفاق ، الذي وقعه زعماؤهم ، فتابعوا إطلاق النار ، والعرب لا يجيبون ، مما جرأ اليهود على التقدم لاقتحام الخطوط العربية الأمامية ، ومهاجمة المدينة المقدسة

وهكذا اصبحت مدينة القدس مسرحاً لمعارك رهيبة وتدميرات ،



كنيسة الروم الكاثوليك

اصابها عطب شديد اثر القنابل اليهودية وهي واقعة على بعد بضعة امتار من باب الخليل داخل السور

فصارت الكنائس ، والأديرة والمؤسسات الدينية والانسانية ، هدفاً لنيران المدافع وطلقات الرصاص ، فتهدم بعض هذه المباني ، وأصيب الكثيرون من الأهلين الأبرياء من نساء وأطفال ورهبان وراهبات ، بشظايا القنابل ، التي كانت تطلق على غير هدى

فأمام هذه الحوادث المروعة ، رأينا نحن ممثلي الطوائف المسيحية ، من واجبنا المقدس ، ان نرفع الصوت عالياً بالاحتجاج على انتهاك حرمات كنائسنا وأديارنا ، ومؤسساتنا ، التي تهدّم بعضها ، وصار البعض الآخر طعمة للنار

واليكم بعضاً من هذه الأضرار ، التي لحقت بمؤسساتنا وبالقائمين عليها وباللاجئين اليها

أولاً — الديورة والمؤسسات التي احتلها اليهود واتخذوها معاقل يطلقون منها النار ، على المدينة المقدسة

١ — دير مار جرجس للروم الأرثوذكس في ١٩٤٨/٥/١٤

٢ — دير نوتردام دي فرانس للآباء الانتقاليين في ١٩٤٨/٥/١٥

وقد اتخذوه قاعدة رئيسية ، لمهاجمة المدينة وضربها بالقنابل والرصاص.

٣ — دير راهبات القربان المقدس في ١٩٤٨/٥/١٥ الذي استخدموه كدير نوتردام

٤ — المستشفى الفرنسي في ١٩٤٨/٥/١٥ الذي احتلوه عسكريا ، مع وجود راهبات مار يوسف ، وكثير من المرضى فيه ، ومع العلم ان علم الصليب الاحمر ، والعلمين الفرنسي والبابوي كانت ترفرف عليه .

٥ — المستشفى الايطالي ، الذي كان الصليب الأحمر وضعه تحت إشرافه في ١٩٤٨/٥/١٥ فدخله اليهود المسلحون عنوة وأنزلوا عنه علم

الصليب الأحمر ، ومزقوه ورفعوا عليه العلم الصهيوني ، بالرغم من احتجاج القنصل الايطالي ، واتخذوه وكراً لاطلاق الرصاص

٦ - دار القصادة الرسولية التي كان يرفرف عليها العلم البابوي في ١٩٤٨/٥/١٥

٧ - دير الآباء البندكتيين ، على جبل صهيون في ١٩٤٨/٥/١٨ وقد جعلوا منه حصناً منيعاً فأضحى من حصونهم الرئيسية ، لاطلاق النار على المدينة المقدسة

٨ - مدرسة صهيون الانجليزية ، ودير مار يونا للروم الأرثوذكس في ١٩٤٨/٥/٢٨

٩ - كما ان الأماكن المقدسة ، اصيبت وتضررت ، من فعل القنابل والرصاص ، التي كان اليهود يطلقونها من الجامعة العبرية ، ومن مستشفى هداسا الواقعين على جبل الزيتون ، ومن الكنيسين الواقعين في الحي اليهودي في المدينة المقدسة

ثانياً - الكنائس والأديرة والمؤسسات ، التي أصيبت بالقنابل وتضررت منها

١ - دير راهبات نوتردام دي فرانس تهدم جزء كبير منه
٢ - دير راهبات القربان نسف اليهود معظمه وأحرقوه
٣ - دير الآباء البندكتيين تهدم برجه وتضعضعت كنيسته .

٤ - مدرسة القديس حنا المعروفة بالصلاحية التي أصيبت بقنبلتين في ١٩٤٨/٥/١٧ و ١٩٤٨/٥/١٩ ، فتهدم جزء كبير من جدرانها وجرح بعض اللاجئين اليها

٥ - كنيسة قسطنطين وهيلانة ، بجوار كنيسة القيامة ، تضررت وخربت الشظايا قبة كنيسة القيامة نفسها في ١٩٤٨/٥/١٧

٦ – بطريركية الأرمن الأرثوذكس ، وملحقاتها – مبنى دير مار يعقوب ودير الملائكة ، ومدرستا الدير الاكليركية ، والابتدائية والمكتبة – وقد وقعت عليها قنبلة أطلقها عليها اليهود من دير الآباء البندكتيين ، في جبل صهيون ومن الشرفات المجاورة وقد قتل ثمانية اشخاص وجرح نحو مائة وعشرين شخصاً من اللاجئين الى الدير

٧ – ساحة كنيسة مار مرقس للسريان الأرثوذكس في ١٦/٥/٩٤٨ سقطت عليها قنبلة هاون ، فقتلت الراهب بطرس سومي ، سكرتير المطرانية وجرحت اثنين

٨ – دير مار جرجس للأقباط الارثوذكس ، الملاصق لكتدرائية الروم الكاثوليك ، في ١٨/٨/٩٤٨ سقطت عليه قنبلة هاون فهدمت قرميد كنيسة الدير ، وخربت النوافذ في الكنيسة الكاتدرائية ، مع كسر جميع نوافذ الكنيسة والدير

٩ – دير مار يوحنا للروم الارثوذكس ، بجوار كنيسة القيامة ، سقطت القنابل عليه في ٢١/٥/٩٤٨ و ٢٣ منه ايضاً ، وكذلك دير أبينا إبراهيم ، الكائن في ساحة كنيسة القيامة الكبرى ، والملاصق لها، ودير مار اسبريدون ، الكائن في حارة النصارى ، والقريب من كنيسة القيامة

١٠ – دير الملاك للأقباط الأرثوذكس ، الواقع فوق مغارة الصلب ، وهي جزء من كنيسة القيامة ، سقطت على سطحه قنبلة هاون ، فتضرر السطح وذلك في ٢٣/٥/٩٤٨

١١ – دير الأقباط الأرثوذكس ، سقطت عليه قنابل في ٢٣/٥/٩٤٨ وفي ٢٤ منه ايضاً وجرحت بعض اللاجئين اليه

١٢ – دير الآباء الفرنسيسكان الكبير ، بجوار القيامة ، سقطت عليه



كنيسة نياحة العذراء (دورميشيون)

على (جبل صهيون) في الحي المعروف بـ (النبي داود) احتلها اليهود في ١٨ ايار ١٩٤٨

القنابل في ١٩/٥/٩٤٨ و ٢٣ و ٢٥ منه ، فأصابت الميتم ، وساحات الدير ، وسكرتيرية الرياسة العامة ، والبيوت المجاورة ، وقتلت وجرحت بعض الاطفال ، وأضرت بمباني الدير

١٣ – بطريركية اللاتين ، سقطت عليها قنبلة هاون في ٢٣/٥/٩٤٨ ، وتجدد سقوط القنابل ، في ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ منه ، فحطمت نوافذ البطريركية ، وكسرت زجاج الكنيسة والكتدرائية ، وزعزعت المباني .

١٤ – بطريركية الروم الكاثوليك ، سقطت القنابل على بابها في ١٦/٥/٩٤٨ و ٢٩ منه ، فأحرقت النوافذ ، وشيئاً من المباني ، وجرحت بعض الأطفال

ثالثاً – الأشخاص الذين قتلوا وجرحوا بفعل القنابل والرصاص

هناك عشرات بل مئات ، من النساء والاطفال ، وغير المحاربين ، قتلوا وجرحوا في داخل المدينة المقدسة ، يوم ان بدأ اليهود يهاجمونها ، ومن هذه الضحايا ، لا نذكر إلا من تحققنا من أسمائهم ، وهم من رجال الاكليروس

١ – الراهب الأب بطرس السومي من السريان الأرثوذكس ، قتل بشظايا قنبلة هاون ، وقعت على باب الكنيسة

٢ – الأب مامير فيرنيه ، من الآباء الانتقاليين ، قتل بالرصاص في دير نوتردام دي فرانس ، عندما اقتحمه اليهود واحتلوه

٣ – الأب يوحنا صلاح ، من الآباء الامبيين ، قتل بالرصاص ، في ٢٠/٥/٩٤٨ وهو داخل كنيسة راهبات المحبة ، بينما يقوم بطقوس القداس الإلهي

٤ – الفرير سجسموند ، والفرير سيريل ، من اخوة المدارس

المسيحية ، جرحا بالرصاص ، وهما في داخل مدرستهما في ١٥ و ١٩٤٨/٥/٢٤ .

* * *

ونستطيع ان نؤكد أن معظم القنابل ، التي سقطت على كنيسة القيامة وسائر الكنائس والأديرة والمؤسسات المسيحية المذكورة ، صادرة من المدافع الصهيونية

ويتضح مما تقدم

١ - ان اليهود ، هم الذين بدأوا واحتلوا الاديرة ، واتخذوها قواعد حربية ، يطلقون منها النار ، على المدينة المقدسة ، محاولين احتلالها والاستيلاء عليها ، ولا يزال اليهود الى يومنا هذا ، يحتلون هذه الاديرة ، ويطلقون النار منها

٢ - وإثباتاً للحقيقة الواقعة نقول ، لقد صرح العرب بأنهم يحترمون الاماكن المقدسة والكنائس والأديرة ومؤسسات الصليب الأحمر ، وبالفعل احترموها الى الآن

فنوجه نداءنا الى الهيئات الدينية ، والسلطات السياسية ، وإلى الضمير الانساني في العالم المتمدن ، لكي يضع حداً لهذه الفظائع في المدينة المقدسة ، حفظاً لأماكنها المقدسة التاريخية

ممثل بطريركية اللاتين .
ممثل بطريركية الكاثوليك .
ممثل الطوائف اللاتينية ، في حراسة الأراضي المقدسة .
ممثل بطريركية الأرمن الكاثوليك .
ممثل بطريركية الروم الأرثوذكس .
ممثل بطريركية الأرمن الأرثوذكس .
ممثل بطريركية الاقباط الأرثوذكسية .
ممثل مطرانية السريان الأرثوذكس :

الفصل الثـــامن

هذه هي القدس

هذه هي القدس ، يا سيدي القارىء ، وهذا هو المسجد الأقصى ، وهذه هي الصخرة المطهرة ، وهذه هي الآثار المحمدية والمسيحية ، لقد جعلتها امامك ، لتراها بعينك ان شئت ، ولتلمسها بيدك إن أردت ، صورتها لك عياناً ، وأدنيتها منك بياناً

وبعد ، فهذه ايضاً كرامتك ، واسلامك ، وعروبتك ، وقوميتك ، وقيمتك ، لقد اصبح كل ذلـك تحت امرة (اليهود) واشارة اليهود شذاد الآفاق ، من بني صهيون

ورحم الله شاعرنا العربي ، حيث يقول

ولو أني بليت بهاشمي ... خئولته بنو عبد المدان
لهان علي ما ألقى ولكن ... تعالوا فانظروا بمن ابتلاني !!

هذه هي النتيجة يا بريطانيا ؟ هذه نتيجة العهود والوعود ؟

هذا جزاء الحليف لأخيه الحليف ؟

لم يبق عربي على ظهر الأرض ، ولا مسلم في هذا العالم الفسيح ، إلا وقد اصبح مدينا لبريطانيا دينا ثقيلاً

ان الله عزيز ذو انتقام



عبد القادر الحسيني

بطل القسطل وقائد المنظمة الفلسطينية المعروفة بـ « الجهاد المقدس»٠ انه هو الذي ادار دفة القتال في قطاع القدس وكان موفقاً ، وقد استشهد في معركة القسطل ٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ٠

وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

فمهل الكافرين أمهلهم رويداً

وأخيراً سرح بي الخيال ووجدت نفسي امام هذا السؤال

أهذه نتيجة الدماء ، التي سفكت ولا تزال تسفك ؟

دمعة على شهيد القسطل

بالأمس قام الشهيد المرحوم (عبد القادر الحسيني[1]) وكان يقاتل اليهود بعيداً بعيداً ، عن حرم القدس ، لقد نازلهم هناك في (القسطل).

نعم لقد غامر (عبد القادر) وباع نفسه رخيصة في سبيل الواجب، ليلتحق بذلك الركب الطاهر ، الذي بدأه الصحابة في مؤته ، ونهجه صلاح الدين في حطين ، وسار فيه (القسام) في حيفا ، ثم بدأه ثانية عبد القادر وصحبه ، في القسطل

أيها الصديق الكريم

لقد سارعت لتنال جنة عرضها السماوات والأرض وجدت بنفسك حين بخل الناس ، وأقدمت حين تأخر كثير من الناس فرحمك الله رحمة واسعة ، وجمعنا بك تحت لواء سيد المجاهدين

ولكن يا عبد القادر ، حينما تذكر لربك جرم البريطان ، وخساسة اليهود ، لا تنس أولئك الذين غرروا بمليون عربي ، فجعلوهم أذلة بعد عز ، وصيروهم لاجئين ، بعد ان كانوا مفخرة العرب والمسلمين ، حينما نازلوا وحدهم ووحدهم فقط ، اليهود والبريطان معاً

---

(١) ولد المرحوم بالقدس سنة (١٩٠٨) وتعلم الوطنية على والده موسى كاظم باشا ، واشترك في ثورة سنة ١٩٣٧ وعلى اثرها لجأ الى الحجاز وأخيراً استشهد في معركة (القسطل).



استشهد عبد القادر في معركة (القسطل) بعد تلك المغامرة التي عرفها الجميع وصلى عليه يوم الجمعة (في ٩ ابريل) في الاقصى المبارك ودفن فيه.
يرى عبد القادر في الوسط

وما من سهل ، ولا جبل في فلسطين ، إلا ويشهد لأهلهـا في البطولات الخارقة ، وما الثورات العديدة ببعيدة عن الأذهان والأسماع والأبصار

يا عبد القادر لا أزال اذكر مواقفك كلها ...

لقد اجتمعنا في مكة المكرمة ، وفي بيتك (سنة ١٩٤٤) يوم أن كنت (لاجئاً) هناك ، محروماً من رؤية بلدك ، فرأيتك تتنسم اخبار البلاد وتستزيد محدثك ، ولو بكلمة عنها ، وتتمنى ان تراهـا بعينيك ولو في المنام .



جنازة المغفور له عبد القادر الحسيني

بعد الصلاة عليها في مسجد الصخرة وقـد ووري جثمانه التراب في ٩ – ٤ – ٤٨ عند ضريح ابيه المغفور له موسى كاظم باشا الحسيني بـين الباب الجديد وباب القطانين من ابواب الحرم القدسي .



نواة القوة المعروفة بالجهاد المقدس

تلك هي نواة الجهاد المقدس وهكذا بدت عند بدء تكوينها في ٢٥ كانون الاول « ديسمبر » ١٩٤٧ اي بعد صدور قرار التقسيم بشهر تقريباً .

ثم اجتمعت بك مرات في القاهرة (سنة ١٩٤٧) والدنيا تموج وكأنها على بركان ، او على كف عفريت ، فرأيتك تعد العدة ، وتتحفز للوثبة.

ثم رأيتك بالشام تطرق كل باب ، وتلج كل دائرة ، وتلح وترجو ، وتسأل وتستعطف ، فما لان منهم قلب ، وما عطف لهم فؤاد ... لقد بخلوا عليك فما أعطوك مدفعاً ولا ذخيرة ، ولا سلموك عتاداً ولا جنداً وما علموا انهم بخلوا على انفسهم فأضاعوا ثناء التاريخ عليهم ، وفرطوا في اقدس وطن ، وامجد بلد ، لقد ذهبت حانقاً غاضباً لتثبت لهم انهم ان استطاعوا ان يمنعوا عنك السلاح ، فلن يستطيعوا ان يمنعوك من دار الخلود ومن قبر في ارض الآباء والجدود .. فنم قرير العين رضي الفؤاد ، أيها الميت الحي ، وتعساً لأولئك الاحياء الأموات ... وحسابهم على الله يوم يعض الظالم على يديه ، ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً .

* * *

الفصل الثـــامن

الى رام الله

وبعد ان حصلنا على البيانات الرسمية السابقة ، وعلى ما امكن من الرسوم ، غادرنا القدس ، والأسى والحزن يمـلآن قلوبنا ، والهواجس والخواطر ، تملأ صدورنا ، وأخيلتنا ، وسرنا متوجهين نحو (رام الله) وفي اثناء الطريق كان يجلب انتباهنا ، ويلفت انظارنا ، ذلك الخراب والتدمير ، الذي حلّ بالمستعمرات اليهودية ، الواقعة على طريق رام الله (نيفي يعقوب – قلنديا) اللتين طهرتا من الصهيونيين ، تطهيراً تامـاً فأصبحتا اطلالاً خراباً ، ينعق البوم عليهما

وهنا قال قائل أرأيتم كيف يستطيع ان يفعل الجيش العربي كل ما أراد ، وأنه لا يعجزه ان يطهر القدس من اليهود في ساعـات

ويستطيـع أن يقوّض على اليهود ، جميع أحلامهم وآمالهم ، ولكن على شرط واحد

قلنا وما هو الشرط يرحمك الله ؟

قال : ان يرضى بذلك السادة الانكليز ، وعلى رأسهم ذلـك العربي الحر ، الصاحب ، كلوب باشا رضي الله عنه

فأمّن الحاضرون وقالوا آمين

عند الحاكم العسكري في رام الله

واجتمعنا بالحاكم العسكري وهو (عارف باشا العارف) وكان موظفاً كبيراً على زمن الانتداب البريطاني ، وأشغل وظيفة (قائم مقام) وهو رجل عاقل متزن ، محنك ، هضم القضية وعرف دقائقهـا كل الهضم ، وسلمناه المئة شوال المخصصة للاجئين في تلك المنطقة فشكر سوريا على أياديها البيضاء

حالة اللاجئين

وقد اخبرنا ان عدد اللاجئين ، في رام الله وقضائها ، يبلغ مئة الف لاجىء ، وانه يوزع على كل واحد منهم مئة غرام ، من الخبز فقط . وعندما تفقدنا احوال هؤلاء ، وجدناهم في البؤس كاخوانهم الذين مررنا عليهم ، لا يوزع عليهم شيء من طعام او فراش او غطاء

واللاجئون في رام الله ، يسكنون تحـت الشجر ، وفي مخيمات من الخيش ، وعلى افاريز الشوارع ، بحالة تدعو إلى الدهشة والاستغراب ، وتعيد إلى النفس صورة الانسان الاول ، فيما قبـل العصور الحجرية الأولى ...

حديث الحاكم العسكري

ولقد سمعنا من سعادته تحليلاً دقيقاً لحالة اهل فلسطين ، وملاحظات هامة ، احببنا ان نسجلها قال ان اهل فلسطين في هذه المحنة قـد مروا بأدوار ثلاثة

١ ـ حالة الزهو والاعجاب ، وذلك عند دخول الجيوش العربية .

٢ – حالة اليأس والقنوط ، عند الهدنـة الأولى ، التي كانت شراً ووبالاً

٣ – وحالة التعقل والنظر ، الى واقعهم المحزن ، وهم ما عليه الآن .

وقد لاحظ كما لاحظنا ، ان انقاذ فلسطين ، لا يكون بهذه الخطة المهلهلة المرتجلة المتفككة ، التي انتهجتها الدول العربية السبع

وانما يتوقف على الخطة المحكمة ، والنظام الدقيق الموحد ، بين الجيوش العربية من ناحية ، وبينهم وبين اهل فلسطين من ناحية أخرى ، وأنه لا بد لكسب المعركة ، من تجنيد الفلسطينيين انفسهم ، واعتبارهم العنصر الهام في التقدم والنصر

وقرر جازماً – كما عرفنا ذلك وتأكدناه من عدة مصادر – ان قوة الجيش اليهودي وهمية جـــداً ، حتى انهم اذا أرادوا ان يخوضوا معركة ما ، جمعوا لها كل قواهم ، وسحبوها من كافة الميادين . فلو ان الجيوش العربية اشغلتهم في عدة جهات ، لافتضح امرهم ، وبان قصورهم.

واليهود يمتازون بهذه المعارك (ان جازلنا ان نسميها معارك) بميزتـــين

١ – العناد والتصميم ، وعدم المبالاة بكثرة الضحايا وعـدم المبالاة بالهزائم

٢ – والامر الثاني ، بالسرعة الفائقة ، في تجميع القوى والعتاد ، من هنا وهناك ، فاذا كان لديهم مدفعان ثقيلان مثلاً ، استطاعوا بسرعة ان ينصبوهما ، وان ينقلوهما ، الى ميادين متعددة ، وليوهموا العرب ان عندهم مئات المدافع

اللاجئون في العيد :

وقد علمنا منه ايضاً ، أنه قد (رفـّه) عن اللاجئين في يوم العيد، فأعطى لبعضهم ، لكل واحد بيضة ، واعطى لفريق ، لكل واحد خمس حبات من الزيتون ، واعطى لجماعة ، لكل واحد قطعـــة من الحلوى وفرّق على كل جماعة ، قطعة من الصابون ، يقتسمونهـا فيما بينهم

وهناك حركة نسائية مباركة من نساء البلدة ، لجمع الملابس العتيقة ، وتوزيعها على اللاجئين ، وهكذا صار اهل فلسطين بين عشية وضحاها ، من المساكـين يتكففون الناس ، ويعيشون كالسوائم ، وينتظرون الموت بفارغ الصبر ، وقد أصبح (الموت) الامنية الحبيبة ، والأمل العذب، وأصبح كل واحد وعلى شفتيه قول الشاعر (الا موت يباع فأشتريه) . ؟؟

وقول الآخر

فيا موت زر ان الحياة ذميمة ويا نفس جدي ان دهرك هازل

فلسطينيون في الجيش الاردني

وقد احس المسؤولون ، بضرورة اشراك الفلسطينيين في القتال ، وهم ليوث الشرى ، وأسد الغاب ، فأخذوا يدعونهم للتطوع ، فدخل منهم مدارس التدريب خمسمائة مجنـــد فلسطيني ، دربوا احسن تدريب ، ونظموا خير تنظيم

ولكن هل هذا كل المطلوب ؟ اللهم فاشهد



اللاجئون

هكذا كان الاولاد الصغار يؤمون مطعم المخيم ليتناولوا طعامهم واما الشيوخ الطاعنون في السن فانهم ينتظرون اولادهم فيأتي هؤلاء حاملين اليهم الطعام .

الفصل التـــاسع

الى نابلس

وغادرنا « أريحا » بعد ان مكثنا فيها أربع ساعـات في حساب الناس ، وانما قلت « في حساب الناس » لانها في الواقع ، اربع سنوات في حساب الشعور ، ولغة القلب والوجدان

وقصدنا مدينة « نابلس » عاصمة جبل النار ، وموطن العروبـــة والاسلام

وفي طريقنا ، لاحظنا حالة اللاجئين في قريتي (ابو قش – وجفنة) فهالتنا الجموع المتراصة ، والمنتشرة في السهل ، وفي الوعر ، وعلى حافتي الطرق والمنعطفات

يا لله ما اقسى هذا المنظر ، وما اكثر ما يؤلم النفوس !

إن هذا المنظر ، يذكرك بوصف القرآن الكريم ، ليوم البعث والنشور (وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله أليم)

في بير زيت

وفي هذه القرية ، نزلنا لانها مقر القيادة العامة « للجهاد المقدس »

والمسؤول عن هـــذه الحركة المباركة القائد « قاسم الريماوي » ويقوم بالتعاون معه نخبة من المجاهدين

ومنظمة الجهاد المقدس ، انشأتها الهيئة العربية العليـــا ، لتكون كالجيش المرابط في داخل البلاد وهم شبان باعوا انفسهم لله ، وقدموا ارواحهم هبة لهذا الوطن العزيز الغالي

وقد تحدثنا مع المسؤولين عن هذه المنظمة ، فعرفنا انهم يتعاونون مع الجيوش النظامية ، في تقديم المجاهـدين ، لتدريبهم في المعسكرات ، حتى إذا انهوا مدة التدريب ، قدموهم للقتال في الصفوف الاولى ، من خط النار

أما مؤنهم وطعامهم ، فمن بيوت القرى المجاورة ، من غير ان يحملوا الجيوش العربية النظامية ، هذه التكاليف

وقد علمنا أيضاً ، أنه قد طلب من قيادة « الجيش المقدس » امداد القدس بمئتي مجاهد منظم ، ليدافعوا مع الجيش النظامي عنها، وتركناهم وهم يجهزون هذا العدد لأرسالهم

سهول فلسطين

ثم سرنا في جبال فلسطين ، نشق طريقنا إلى نابلس ، واصبح من النادر علينا ان نرى سهلاً من سهول فلسطين الفسيحة الغناء

نعم لم يبق في فلسطين سهل إلا وقد أصبح ملكاً بيد اليهود ، ويا ليت هذا فقط فان جميع الخيرات والمزروعات ، قد صارت بيد اليهود ايضـــاً

أين سهل جنين ، ومرج ابن عامر ؟ أين سهول طول كرم ، وسهول

يافا ؟ اين سهول اللد والرملة ، وبيارات وادي حنين ؟ اين ذلك الساحل الجميل من يافا إلى لبنان ؟

أين روحة حيفا ، وغابات الكرمل ؟ اين سهول الناصرة ، وقرى الجليل اين اين ؟ كل ذلك كأن لم يكن ... وبالأصح كل ذلك كان بيد العرب سابقاً ، أما الآن فهي روضات وجنات ، لبني صهيون

وماذا بقي للعرب ؟ لقد بقي لهم هذه الصخور العاتية ، وهذه الجبال العالية ، وبقي لهم أيضاً هذه الأرض الجرداء ، وهذا الخلاء الواسع ، من البيداء ، وكل عام وأنتم بخير و « لله الامر من قبل ومن بعد والى الله ترجع الامور »

على ذمة الراوي قصة كالخيال

لقد حدثني « محدثي » قصة كان وقعها في قلبي اشد من وقع السهام، وها انا اسوقها للقارىء ، ليرى اين تقع منه

قال لقد تعرف عربي فلسطيني ، على رجل من اعضاء اللجنة الدولية التي كانت تغدو وتروح من عواصم البلاد العربية ، الى تل ابيب، وبالعكس ، ثم توثقت بينهما الصلات وتقوت الروابط واخيراً طلب العربي ، من صاحبه ان يرافقه الى تل ابيب ، ليمتع نفسه بمنظر بلاده الحبيبة ، واستجاب صاحبه لهذه الرغبة ، ولبس العربي لباس « اللجنة» واصبح كأنه واحد منها

ورحل معهم إلى « تل ابيب » وهنا موضع العبرة قال وانزلهم اليهود في فندق عظيم رحب ، واحاطوهم بكل انواع التعظيم والترحيب، وفي الليل ساقوا الى كل غرفة فتاة جميلة لعوباً ، ليتم اكرامهم

قال ودخلت على « العربي » فتاة منهم ، وما ان حدق فيها بصره،

إلا وقد رأى غيوماً سوداء وراء وجهها الصبوح ، واشياء انكرها من عينيها اللامعتين ، ثم تحدث اليها فزاد ارتيابه بها .. واخيراً لما استوثقت منه ووثق منها ، قالت يا هذا ، انا لست يهودية ، وانمـا انا مسلمة عربية من عائلة (د) من بلده « ف » ومعي مئة وخمسون بنتاً من اكرم اسر فلسطين ووظيفتنا الترفيـه عن ضيوف اليهود كما رأيت يا هذا انما حدثتك بهذا لا لتسمع انت ، فقط بـــل ليسمع كل مسلم وعربي ، من ورائك ...

ثم صاحت الفتاة واسلاماه واعرباه قال فبات العربي شر ليلة عرفها في حياته ، وما صدّق ان طلع الصباح ، ليخرج من حدود اليهود ، خوفاً من ان تدل عليه زفراته ، وآهاته ، ودموعه

اين المعتصم ؟؟

قلت في نفسي واأسفـــاه ، اين المعتصم اليوم ؟ نعم اين ذلك الشهم المسلم ، والعربي الحر ، الذي قيل له ، ان امرأة عربية ، سباها الروم، من اطراف الحدود ، فقالت وامعتصماه مستنجدة به فاقسم ان لا ينام على فراشه حتى ينقذها ، او يثأر لها ... فجيش جيشاً من مئة الف جندي على خيل بلق ومـــا زال بالروم يدك حصونهم ، ويهزم جيوشهم حتى استخلص تلك الأسيرة العربية ، وقال لها لقد سمعنـا استغاثتك فاغثناك

من لنا اليوم « بعشر » معتصم ، ليخلص مئات السبايا من المسلمات العربيات ان لم نقل آلاف السبايا

* * *

الشاعر ابو ريشة

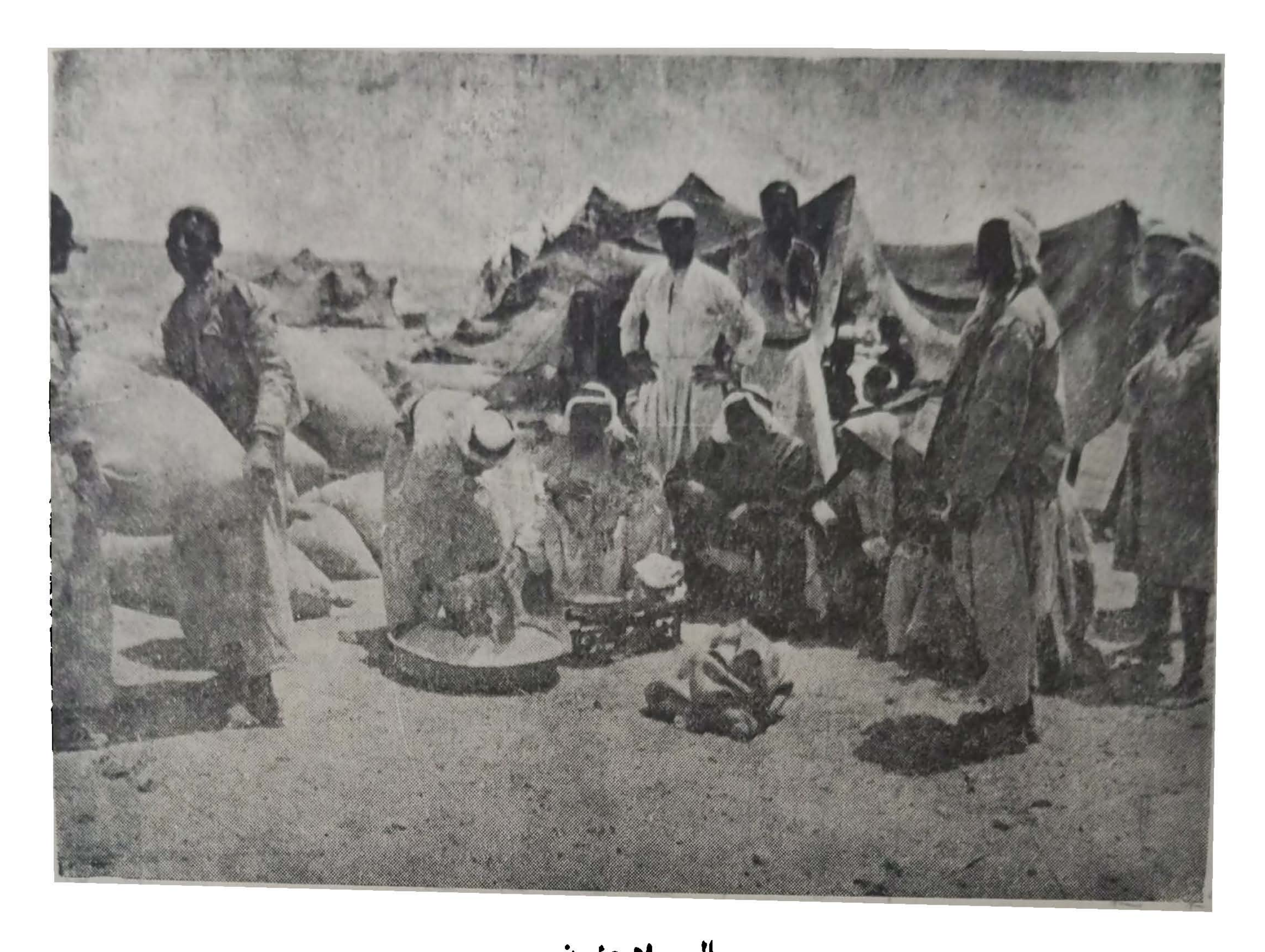
وهنـــا تذكرت قصيدة الشاعر المعروف السيد « عمر ابو ريشة » وكأنه قالها عندما سمع هذه الحادثة ، وها انا اسرد اكثرها هنــا وهي بعنوان أمتي

أمـــتي

أمتي هل لك بين الأمم ؟	منبر للسيف أو للقـــلم
أتلقـــاك وطرفي مطرق	خجلاً من أمسك المنصرم
ويكاد الدمع يهمي عابثاً	ببقـــايا كبرياء الألم
أين دنياك التي أوحت إلى	وتري كـــل يتيم النغم
كم تخطيت على أصدائــــه	ملعب العز ومغنى الشمم
وتهاديت كـــأني ساحب	مئزري فوق جباه الانجم
حـــلم مر بأطياف السنا	وانطوى خلف جفون الظلم

* * *

أمتي كم غصة داميــة	خنقت نجوى علاك في فمي
أي جرح في إبائي راعف	فاتـــه الآسي فـــلم يلتئم
ألإسرائيل تعـــلو راية ؟	في حمي المهد وظل الحرم !!



اللاجئون

هكذا كان « الدقيق » ولا يزال يوزع عليهم في مخيماتهم

إن أرحام الصبايا لم تلد | للعلى غير الجبـــان المجرم
كيف أغضيت على الذل ولم | تنفضي عنك غبـــار التهم
فيم أقدمت وأحجمت ولم | يشتف الثـــأر ولم تنتقم
أو ما كنت إذا البغي اعتدى | موجة من لهب او من دم
اسمعي نوح الحزانى واطربي | وانظري دمع اليتامى وابسمي
واتركي الجرحى تداوي جرحها | وامنعي عنها كريم البلسم
ودعي القادة في أهوائهـــا | تتفـانى في خسيس المغنم

* * *

(رب وامعتصماه انطلقت | مــلء أفواه الصبايا اليتم)
(لامست اسماعهم لكنهـا | لم تلامس نخـوة المعتصم)

* * *

أمتي كم صنم مجدتـــه | لم يكن يحمل طهر الصنم
لا يلام الذئب في عدوانــه | إن يك الراعي عدو الغنم
فاحبسي الشكوى فلولاك لما | كان في الحكم عبيد الدرهم





لاجئة وطفلاها

انها من ضواحي الرملة . قالت لسيدة من سيدات الصليب الاحمر وهي تناولها كأساً من الحليب وقليلاً من العدس قالت لها والدمع يترقرق في عينيها كنا وكان الزمان معنا... وكان عندنا ... في بيتنا ... من العدس والقمح والزيت والزيتون ما يفيض عن حاجتنا ... وكنا نتصدق على الفقراء .. وها أنذا اليوم اعيش انا واطفالي على الصدقات ! ...

في الطريق

المقالة الأولى

مقارنة بين الأندلس ، وفلسطين

لقد كانت هذه الحوادث « مما رأينا وسمعنا » تُنطق الحجر الأصم ، فكان منها هذه المقالات

لقد سجّل التاريخ ، حادثة عدّها الناس اكبر مأساة حلت بالمسلمين، وأعظم مصيبة ، نزلت بساحتهم ، تلك هي « حادثة الاندلس » ، وأخذ المؤرخون يفصّلون تلك الحادثة ، حتى ملأوا بذلك اسفاراً ومجلدات واتخذها الكتاب والشعراء مادة خصبة لنثرهم وشعرهم ، ولا يزال العرب الى الآن ينادون بالويل والثبور ، وعظائم الأمور

ولا تزال قصيدة أبي البقاء ، في رثاء الأندلس ، مما يستظهره طلاب المدارس الى يومنا هذا

لقد هال الشاعر ، أن تحوّل المساجد الى كنائس ، وأن تطمس معالم الدين ، وتمحى شعائر الاسلام

وهاله ايضاً أن تطفأ أنوار العلم والعرفان ، وينضب معين الأدب ، وتذهب معالم الهدى واخيراً يندب الشرف والعرض ، ويتفجع لتلك الفتاة المسلمة ، يقودها العلج للمكروه صاغرة !

ويختم قصيدته بهذا البيت

لمثل هذا يذوب القلبُ من كمدٍ   إن كان في القلب إسلام ، وإيمان

والمؤرخون والكتاب والشعراء والناس من ورائهم ، على حق فيما ذهبوا اليه ، من استعظام هذا الأمر ، واستكبار هذه الفواجع والمنكرات ، التي تقطع الفؤاد ، وتزلزل القلوب في الصدور

ذلك لأنهم لم يشاهدوا ولم يسمعوا ، ولم يكن يخطر لهم على بال ، ان مصيبة وقعت كالأندلس ، ولم يدر بخلدهم ما خبأ المستقبل من أخطار تهون الاندلس بجانبها

والليالي من الزمان حبالى   مثقلات يلدن كل عجيب

ويا ليت شعري ، ماذا سيكتب المؤرخون ، وينظم الشعراء ، في هذه المأساة الجديدة ، مصيبة المسلمين جميعاً ، وفاجعة العرب أجمع .

أي بون شاسع بين الحادثتين ؟ وأي فرق واسع بين المصيبتين ! ..

لقد استعظم الأولون حادثة « الأندلس » لان الزمن لم يطل بهم ، حتى يعرفوا حادثة « فلسطين » ، ولو عرفوا هذه ، واطلعوا على مآسيها ومخازيها ، لما ذكروا الاندلس على لسان

ولما ندبوا قرطبة وأشبيلية ، ولما نعوْا طليطلة وغرناطة ، ولما بكوْا الزهراء والحمراء ، بل لما ذكروا محاكم التفتيش ، وأساليب القتل والتعذيب ، فكل مصيبة قبل فلسطين ، لا يصح ان تذكر ، ولا ان يسجل في شأنها خبر

كل مصيبة قبل فلسطين وبعدها ، قليلة الخطر ، نادرة الأثر .

وإليك يا سيدي البيان

لقد كانت الأندلس بلاداً غريبة عن العروبة والاسلام ، فدخلها العرب فاتحين ، وأنارها المسلمون بنور الدين

فكان العرب والمسلمون غرباء في تلك الديار ، نزلاء في تلك الاقطار

ووقعت فيها الواقعة ، وحلت بها الكارثة ، فرآها العرب بعيدة عنهم ، وإنها وراء البحار ، المركب لها صعب . والشقة اليها بعيدة...

أين مكان النجدة ، من الاندلس ؟

أين بلاد العرب ، من الاندلس ؟

وأخيراً فقد كانت الاندلس في جزيرة من الماء ، وفي محيط من الاعداء أما فلسطين

فهي بلد العروبة قبل التاريخ ، وقبل ان يولد اول يهودي بمليون سنة.
وهي قلب بلاد العرب ، ومفتاح شرقهم
وهي بعد ذلك مسرى « محمد بن عبد الله » من مكة ، ومعراجه الى السماء

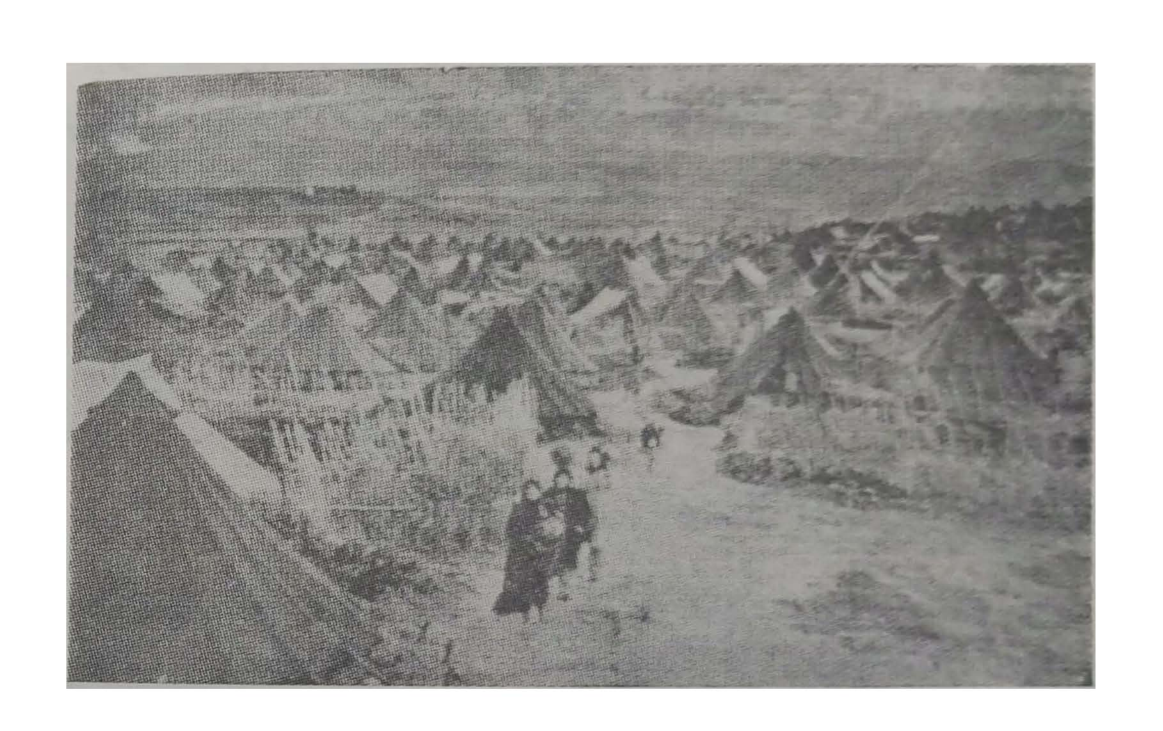
ثم هي البلد الذي رُبط بالحجاز ، وسُلك اقصاه بالمسجد الحرام ، بسلك واحد ، ونظم بالحرمين الشريفين ، فكان اولى القبلتين ، وثالث الحرمين

وسجل ذلك القرآن ، لئلا يضل مسلم ، أو يغوى عربي ...
وأخيراً فان فلسطين ، محاطة بسبع[1] دول عربية ، وسبعين مليوناً من العرب ، ومحاطة بأربعمائة مليون من المسلمين ...

وعلى رغم هذا كله ، فقد وقعت الواقعة ، وغزاها شذاذ الآفاق من

---

(١) كانوا كذلك عند الطبعة الاولى ، ولكنهم الآن ضعف هذا ، واضعف مما كانوا ...



مخيمات اللاجئين

بعد ان كان اللاجئون يعيشون في الكهوف والخيام « فوق » « عند نهر البارد على مقربة من طرابلس » راحوا يعيشون في منازل بنوهـــا بايديهم من طوب .

اليهود ، وقهروا العرب في ديارهم ، وحوّلوا بيوت الله زرائب بهم ، واصطبلات حيوان أين آلاف المساجد ، ومئات الكنائس ؟

أين المنائر والمنابر ؟

أين مقدسات الاسلام والنصارى ، وتراث الآباء والاجداد ؟

أين حيفا ويافا ؟

أين صفد وعكا ؟

أين البلاد التي استعصت على الفاتحين ؟

وأين الحصون التي اوقفت زحف نابليون ؟

أيها العرب ! لا تذكروا الفواجع السابقة ، فأين منها فواجع « دير ياسين » وفظائع « الطنطورة » ؟ ، فان من بقي حياً منها ، يستحي ان يذكر ما حصل له ، ويخجل ان يتصوّر ما جرى عليه

أين من كل ذلك ، بقر بطون الحبالى ، وقتل الاطفال في حجور الامهات ؟

أين من كل هذا ، حرق الشيوخ ، وهم أحياء على بيادر « اللجون » والجيوش العربية تسمع وترى ...

وأين من كل هذا ، التمثيل ، والتشويه ، بل أين من كل هـذا ، سبي مئات الصبايا يقودهن بنو صهيون . ويقودهن اليهود اشرار الخلق ، وأذلة البشر إلى المكروه ، صاغرات عاريات

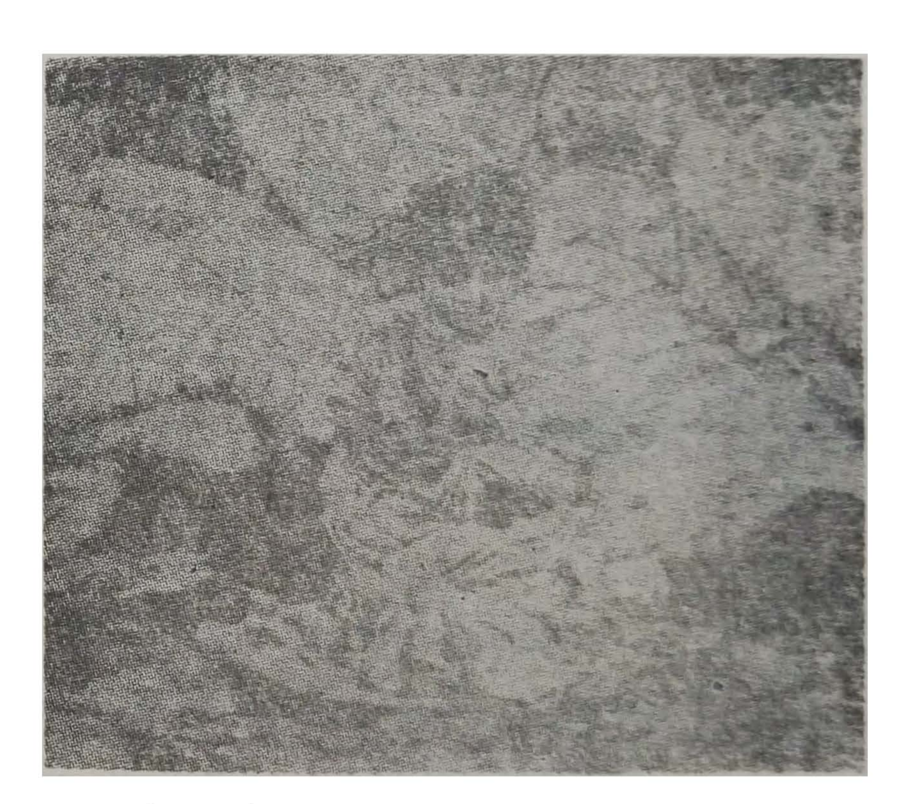
ثم أين من كل هذا ، الجلاء ، والشتات ، وهذه الفرقة ، التي حلّت بعرب فلسطين ، فلا يزال الى الآن منهم من يفتش على ولده ، ومنهم من يفتش على زوجه ، ومن ومن ...

أيها العرب

إنه والله لخزي الدنيا ، وعار الأبد أن تغزى فلسطين ، وهي في

قلب بلادكم ، وأن التاريخ ، قد فتح لكم صفحة جديدة ، ناظراً ماذا ستفعلون . وإن عظام الآباء والأجداد ، في شواظ من نار ، من خوف ان يلحقهم هذا العار . أين أنت يا صلاح الدين ؟ وأين أنت يا أبا البقاء من رثاء الاندلس الجديدة ؟ ولننشد معك

لمثل هذا يذوب القلب من كمد   إن كان في القلب إسلام وإيمان



وهكذا حتى الاطفال أصابهم ما أصاب أباءهم من فقر وذل ... وهم لا يعرفون شيئاً من حوادث الدهر ... لقد كانوا ينتظرون تربية صالحة ومدرسة زاهرة ... فاذا هم مشردون لاجئون ينتظرهم الموت .. والمستقبل المظلم الرهيب



الملك عبد الله بن الحسين وغلوب باشا رئيس اركانه
وقد تردد ذكرهما في هذا الكتاب اكثر من مرة تصريحاً وتلويحاً ..

المقالة الثانية

فما بكت عليهم السماء والأرض

كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا بها فاكهين ، كذلك وأورثناها قومـــاً آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض ، وما كانوا منظرين

أيها العربي الكريم

إن من خصائص آيات الله « تبارك وتعالى » ذلك الاعجاز الباهر ، والنور الظاهر ، تقرأ الآية التي أنزلت من ألف وأربعمائة سنة ، فتكاد تنكر قدم نزولها ، وبعد عهدها ، وتكاد تقسم انها نزلت الساعة ، لأن عليها طلاوة الجدة ، وحلاوة الابتكار ، وكأنك ترى روح القدس ينزل بها ويصعد ، يغرسها في قلوب المؤمنين ، ويجلوها أمـــام بصائر المبصرين

كتاب « احكمت » آياته ثم « فصلت » من لدن حكيم خبير
فما أعظم احكامها في قدمها
١٠ ابدع تفصيلها في مناسباتها
٢٠١ هذا الاحكام في القدم ، ذلك لأنها صنع حكيم
ومن تفصيلها شعورك بجدتها وإحساسك بطرافتها

ومن تفصيلها انها تقع في البال ، عندما تقع الحادثة في الكون .

فهي حديثة عند كل حادثة ذلك لأنها من عليم خبير

أيها العربي الكريم

إقرأ هذه الآيات الكريمات البالغة ، منتهى حدود الروعة والبيـان ، هل ترى انها نزلت في غير حوادث فلسطين ؟ وفي غير أهلها ؟

قال أهل التفسير ، أنها نزلت في فرعون وجنده ، حينما لحقوا بموسى وجماعته فأطبق عليهم البحر ، وأدركهم الغرق ، فصاروا مع الهالكين.

والقرآن يطرق مكان العبرة ، منوهاً بسوء مصيرهم ، معدداً مـا كانوا عليه من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم

ألم يكن لهم ملك مصر ، وكانت الأنهار تجري من تحتهم ؟

ألم يحوّلوا بواديها الى جنات غانيات ، فيها الأشجار الحانية ، والقطوف الدانية ، والأزهار الزاهية ، والثمار الحالية ؟

ألم يعمّروا فيها القصور العالية ، والمباني الشاهقة ، وأودعوا فيها ما تشتهي الانفس ، وتلذ الاعين . ؟

ثم أين تلك الجنات والمقامات ؟ أين تلك الزروع والخيرات ؟

أين تلك الرياش والفراش ؟

أين ذلك الملك والسلطان ؟

أين ذلك العز والصولجان ؟

كل ذلك طواه الحدثان وكأنه ما كان واصبح خبراً يرويه القرآن .

فما بكت عليهم السماء والأرض ، وما كانوا منظرين

أيها العربي الكريم

لقد تكررت الحادثة ، واعيد تمثيل الرواية ، وكانت في هـذه المره

على أرض فلسطين ...

لقد كان العرب في غفلة وأي غفلة ، كانوا في غفلة عن ربهم وديانتهم ، وفي عزلة عن وطنهم ووطنيتهم ، فأتاحـوا لليهود الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، فرصة التمكن في الأرض ، والاستعداد في السلاح ، ومكنوا للبغاث ان تستنسر ، وللكلاب أن تستأسد ، وأخـيراً كانت النتيجة أن جلا عن البلاد أهلها ، وطار عن الاغصان بلابلها ، فسكنها المشردون ، وغنى فوقها البوم

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سامر

يا له من مصير ! يا له من مصير !

لقد اصبح الاغنياء عالة يتكففون الناس ، وفي عوز يسألون اللقمة ، وصار اصحاب القصور ، في بيوت شعر واكواخ طـين ، وذل عزيز القوم ، وهبط عالي الجناب ، وتمزقت وجوه واسودت وجوه ، وكشفت ستور ، وهتكت خدور

أين تلك السيارات الفخمة ؟ وتلك البيارات الضخمة ؟

أين تلك العمارات والطبقات ؟

أين البلد القريب ، والمغنى الرحيب ، والكرمل الحبيب ؟

أين واديه الحنون ، وثغره البسام ، وخليجه الهادىء والبحر الابيض الجميل ؟

أين مراتع الصبا ومرابع الحسان ؟

يا له من مصير ! يا له من مصير !

لقد تشرد عرب فلسطين في كل أرض ، وتقطعوا في كل مكان ، ومزقوا حتى صار اهل البلد الواحد ، في اقطار ، واهل البيت الواحد في جهات الدنيا الأربع

أتعرف أيها العربي ! الحالم على ضفاف بردى ، الهانىء على شاطىء

الفرات ، والمستمتع في هواء النيل ، كيف خرجت اختك العربيـة ، وليس عليها من اللباس إلا ما يستر عورتها من دارها وخدرها ، واهل الحقد واللؤم من اليهود يطاردونها من هنا وهناك ، يحرّمون عليها قرارة المكث في البيت ، والسير في الطريق ، ولا ترى لها اخيراً ملجأ إلا البحر تستقبله ، والشاطىء تنام فيه الأيام والأيام ، في برد الليل وقره ، وأمطار السماء من فوقها ، وأمواج البحر تهدر عليها

أيها العرب ! إياكم ان تنسوا تلك المؤامرة الدنيئة التي احكمها الانجليز فأقاموا لليهود دولة في فلسطين ، ووضعوا العرب في ظروف اقتصادية وسياسية حتى أقاموا الوطن اليهودي فيها

إيه يا فلسطين ! أصحيح أنا تركناك إلى غير عودة ؟ وهجرناك إلى غير رجعة ؟

أصحيح أنه لم تبك علينا سماؤك ، ولم تتفقدنا ارضك ؟

أصحيح أن جبالك الشم أنكرتنا ؟ وأن مروجك الخضر تنكرت لنا ؟

إيه يا فلسطين ؟ يا غاب الأبطال ، ويا منبت العز من الرجـال ، إن اهلك باقون على عهدك ، ثابتون على ودك ، وقـد صح عزمهم ، وعزموا أمرهم على ان يسفكوا دماءهم النقيـة مختلطة في ترابك ، ويكونوا أسعد الناس إذا كانت قبورهم في أرضك

يا بلادي فداء « قدسك » نفسي وحرام عليَّ غـير هواك
دلّه الناسَ حبُّ سلمى وسعدى وغرامي بأن أموت فداك[1]

---

(١) من قصيدة طويلة للمؤلف .

التعريف بقضية فلسطين

لقد حلَّت النكبة بأهل فلسطين وأصبحوا « لاجئين » ما في ذلك شك ولا منه مفرّ ، وتحدث عنهم أهل الشرق والغرب وأصبحوا أيضاً « مهزومين » او كالمهزومين على الأقل ، هكذا ينظر اليهم الناس، وقديماً قالوا إذا وقعت البقرة كثرت « سكاكينها » ووقع اهل فلسطين فنسي الناس كل تاريخهم الحديث ، وكل بطولاتهم وثوراتهم ، وأصبحوا لا يتحدثون إلا عن أخطائهم وسيئاتهم ، ويا ليت ذلك فقط ، بل اضافوا اليهم سيئات العالم ، وسلبوهم حسناتهم أيضاً وابيان وجه الحق ارسلت هذه المقالات الآتية لصحف ومجلات « سوريا » واذيعت ايضاً من محطة الاذاعة السورية في حينها

*



اللورد بلفور صاحب الوعد المشؤوم ..

انه هو الذي اعطى اليهود وعده المشهور بـ « وعد بلفور » . اعطاه بوصفه وزيراً للخارجية البريطانية . وقال في رسالته التي وجهها الى « اللورد روتشيلد» بتاريخ ٢ تشرين الثاني « نوفمبر » ١٩١٧ ما يلي : « عزيزي اللورد روتشيلد ، يسرني جداً ان ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بأن حكومة جلالته تنظر بعين الرضى الى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين . وتبذل الجهود في سبيل ذلك . على ان لا يجري شيء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود في فلسطين او يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسي في غيرها من البلدان الاخرى » ..

الفصل العاشر

على هامش القضية

لم يكن يعرف الناس قبل سنة « ١٩٢٠ » كلمة فلسطين ، وفي الأصح لم تكن هذه الكلمة شائعة الاطلاق على هذا القطر المعلوم ، وإنما كانت سوريا او « بلاد الشام » هي الكلمة التي اذا اطلقت شملت القسم الجنوبي منها الذي أصبح يسمى فيما بعد ، بهذا الاسم المعروف وهو فلسطين

وإذا لم تكن كلمة فلسطين معلومة لدى الناس آنذاك ، فأحرى أن لا تكون هناك قضية معروفة بهذا الاسم

وعرف اطلاق هذا الاسم على جنوبي سوريا ، عندما وضعت الحرب الكبرى أوزارها ، وأشرف الحلفاء على تقسيم البلاد ، وشطر سوريا إلى قسمين ، شطر منها تحت الانتداب الفرنسي ، والآخر تحت الانتداب البريطاني

وفوجيء الناس في أول عهد الانتداب البريطاني ، باعلان وعد بلفور المشؤوم المعطى لليهود ، في « تشرين الثاني سنة ١٩١٧ » وقد تضمن ذلك الوعد **انشاء وطن قومي** لليهود في فلسطين ، ومن ذلك الحين اضيف **إلى قضايا** العرب والدنيا ، **قضية جديدة دعيت بقضية فلسطين** ،

وأخذت هـذه القضية تنتقل من دور إلى دور ، في مدة ثلاثين سنة ، حتى وصلت إلى هذا التعقيد الحاضر ، والتي أصبحت أعقد قضايا الأرض، لما دخلها من أهواء وأغراض ، وأصبحت قضية القضايا ، لأنهـا القضية الوحيدة ، التي لم يحدث في تاريخ العالم شبيه لها ، ولأنها – على مـا اعتقد – لا يوجد في تاريخ الدنيا من بدئهـا إلى اليوم ، قضية خولف فيها الحق ، وانتهكت فيها الكرامة ، وذبحت الفضيلة ، مثلما حصل في هذا العصر ، لأجل ارضاء اليهود ، وحب اليهود

وفي هذه المدة التي أراد الانكليز فيها ان يحققوا وعـد بلفور ، لم يترك عرب فلسطين ، فرصة من الفرص ، إلا وانتهزوها ، فطالبوا بالغاء وعد بلفور ، وإعطاء الحق لأهله ، من تشكيل حكومة تراعى فيهـا حقوق الاقليات ، وتمارس سلطتها في تنظيم البلاد

طالبوا بذلك ، واستعملوا كل الوسائل السلمية ، التي تؤدي إلى إجابة هذا المطلب ، فاجتمعوا عدة اجتماعات ، وأوفدوا إلى لندن عدة وفود، وعقدوا مؤتمرات كثـيرة ، واضربوا ستة اشهر ، وقاموا بست ثورات دامية ، وأوفدت السلطات عشرين لجنة للتحقيق في ظلامـات العرب ومطاليبهم ، وكانت تقارير هذه اللجان متفقة تمام الاتفاق مع ما يدعيه العرب من ظلامة واقعة عليهم ، وتحيز ظـاهر للناحية اليهودية ، وعلى الرغم من هذه اللجان ، ومن هذه التقارير ، فان العرب لم ينالوا مطلباً من مطالبهـم ، ولم يحقق لهم أي مبدأ عادل ، من المبادىء التي كانوا ينادون بها

وبالطبع لم يكن عرب فلسطين وحدهم ، الذين وقفوا في وجه هذا الطغيان ، وفي وجه هذه الغارات اليهودية ، نعم لم يقفوا وحدهم ، وإنما شاركهم في ذلك كل مسلمي الارض ، وكل عرب الدنيا ، ذلك لأن قضية فلسطين لم تكن تعني اهلها وحدهم ، ولم تكن قضية محلية

تعني جماعة مخصوصين ، وإنما كانت قضية اسلامية عربية ، لما امتازت به هذه الأرض من قداسة عند المسلمين والعرب جميعاً ، فكل مسلم يهفو اليها ويتطلع نحوها ، لأن فيها المسجد الأقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، ولانها مسرى رسول الله ﷺ ، ومنها معراجه إلى السماء ، ولأنها بعد ذلك البلدة التي يقرأون عنها بصريح كتاب الله ، في مفتتح سورة الأسراء « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، الذي باركنا حوله ، لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »

وفوق هذا فان العرب النصارى يشاركون المسلمين ، فان ملايين منهم يرون قدسية فلسطين ، وانها مهد المسيح ولهم فيها كنيسة القيامة ومئات الأديرة والمزارات من آثار القديسين والرهبان

وكما اشترك المسلمون السابقون في صد الغارات الصليبية ، وسفكوا دماءهم مشتركين في الحروب الصليبية السابقة ، كذلك فعل العرب والمسلمون في هذا العصر الحاضر ، في مدة الثلاثين سنة الماضية ، قاموا بذلك معتقدين أن الدفاع عن هذه الأرض المقدسة ليس واجباً على أهل فلسطين وحدهم وإنما هذا الدفاع واجب الجميع على السواء

غير أن هناك حقيقة لا يجوز أن نغفلها ، وإنما يجب ان نذكرها بمزيد من الفخر نعم ان الاقطار جميعاً قد اشتركت مع اهل فلسطين، ولكنهم لم يتساووا بالاشتراك ، ولم يتساووا بالتضحية ، بل كانوا في ذلك درجات وكانت سوريا في الدرجة الأولى تضحية ، وفداء ، ومشاركة وعملا . فما من مصيبة وقعت على فلسطين ، إلا ولباها أول من لباها إخوانهم أهل سوريا ، سواء ذلك في العهد القديم او في العهد الحديث ، وعلى الرغم من ان سوريا فيما مضى كانت تحت الانتداب الفرنسي ، فقد كانت مأوى المجاهدين الفلسطينيين ، ومكان التدبير ، والرأس المفكر للقضية الفلسطينية ، وكان ابناؤها ينفرون خفافاً وثقالاً ، إلى جبال فلسطين ، يعتصمون بها للجهاد ضد أعداء البلاد

وما أن أخذت سوريا استقلالها ، حتى تبنّت هذه القضية وأصبحت شغلهـا الشاغل ، فاذا قررت الجامعة العربية مساعدة فلسطين ، كانت سوريا السابقة والسبّاقة إلى ذلك ، مالاً ورجالاً ، حتى صارت مستقر « اللجنة الثلاثية » التي تألفت بقرار من الجامعة العربية ، وعندمـــا تألف جيش الانقاذ كان اكثر رجاله من سوريا ، وهكذا فانا نرى ان سوريا قد قامت بالواجب الذي تبنته من بدء الحركة الى اليوم

* * *

كارثة فلسطين وحكومة الانتداب

عود على بدء لمعرفة أساس الداء

لا يزال كثير من الناس يجهلون القضية الفلسطينية ، ولا يعرفون عنها إلا النزر اليسير ، وبعبارة اخرى لا يعرفون إلا ما يكتب في الصحف من اخبار ، وما يذاع من انباء . اما حقيقة القضية وكيف تطورت هذا التطور ، وكيف آلت إلى هذه الكارثة ، من جلاء اهلها منها ، وعلى الاصح من إجلائهم عنها . كل هذه الحقائق لا تزال غامضة كلها او بعضها ، وتحتاج الى شيء من البسط والتبيين ، وقد نشأ من غموض هذه المسائل ، ان بعض الناس اخذوا يصبون اللوم والتقريع على اهالي فلسطين ، وينسبون اليهم تقصيرهم في الدفاع تارة ، وبيع أراضيهم وتسليمها لليهود تارة اخرى ولقد سمعت اكثر من مرة في اكثر من مجلس يضم خيرة من القوم ، توجيه التهم الى اهالي فلسطين ، وانهم بقصورهم عن الدفاع ، وبتمكينهم اليهود من الدخول الى بلادهم ، كانوا السبب في تعجيل هذه الكارثة التي لم يعهد التاريخ لها مثيلاً ، ولم يشهد العالم لها شبيها

كل هذا وذاك حدا بنا الى الكشف عن هذه الحقائق ، وإزالة الغموض عنها ، لتظهر الحقيقة سافرة ، وليعرف القارىء بعد ذلك ان اهالي فلسطين ما قصروا في الدفاع قط ، وما دخل اليهود الى بلادهم



هكذا كان الجنود البريطانيون يفتشون العرب ويصادرون اسلحتهم
عند باب العمود ، بالقدس ، وفي كل مكان بفلسطين

إذاً لقد ظهر لنا جلياً مدى تلك المسؤولية التي تحملتها حكومة الانتداب ، وجعلت اصحاب البلاد الأصليين العرب ، في ظروف خاصة وفي أجواء خاصة

نعم لقد اشتمل صك الانتداب على نصوص عدم الاجحاف بحقوق العرب ولكن كل ذلك كان للتمويه على العرب ولتخدير اعصابهم

١ – لقد كانت حكومة الانتداب أمينة كل الامانة ، وحريصة كل الحرص على تطبيق ما ينفع اليهود ، وما يحقق رغباتهم ، تحقيقاً لما جاء في هذا الوعد وهذا الصك المتقدمين

فقد وضعت البلاد أولاً في ظروف اقتصادية لتقتل اقتصاديات العرب، ليصبحوا فقراء ، وليضطروا بعد ذلك الى بيع اراضيهم ، ومن ناحية اخرى ، لرفع اقتصاديات اليهود بشتى الوسائل ، ففي عام ١٩٢٠ اصدر المندوب السامي أمراً بمنع إصدار الحاصلات من غلال وزيوت الى الخارج ، مع كثرتها في تلك السنة ، وكثرة الطلب عليها من الخارج ، فنشأ عن ذلك أن هبطت الاسعار ووقع الفلاح والمزارع العربي في أزمة شديدة

ومن عجائب ما صنعت الحكومة المنتدبة لقتل المزارعين العرب اقتصادياً ، انها رأت ان انتاج السمسم في الأراضي العربية كثير وجيد ، فعمدت الى إباحة استيراده من الخارج من الصين .. وبسعر أغلى وأقل جودة من السمسم العربي ، كان ذلك في عام ١٩٢٩ كما جاء في تقرير « سمبسون » وهكذا اخذت حكومة الانتداب تفعل لتقضي على المزارع العربي ، ولتجعل الميدان خالياً امام اليهود ، اخذت تتفنن بطرق شتى ، وبأساليب شيطانية متعددة ، وعلى صور قانونية محكمة ، فلم تقتصر على منع تصدير منتوجاته الى الخارج ، بل أخذت تثقل كاهل الملاك ، فوضعت الضرائب الباهظة ، وأخذت تحمي المنتوجات اليهودية صناعية وزراعية وزيادة على ذلك ، فقد سنت من القوانين الشاذة ، ما افسدت به بين المزارع

كل هذا وذاك وضع البلاد في احوال اقتصادية لانشاء الملاك العربيين ولم تكن حكومة الانتداب لتتستر في مقاصدها هذه ، الوطن القومي أو لتخفي شيئاً من أهوائها ، بل كنا نراها مع الاسف ، تسرع في تلبية مطاليب اليهود ، وتضرب بمطاليب العرب عرض الحائط ، فقد سجلت على نفسها عدة حوادث لم يشهد التاريخ اقبح منها . فقد اخرجت آلاف العرب من أراضيهم التي توارثوا سكناها عن عشرات الجدود ، اخرجتهم بالقوة ، وسلمت أراضيهم الى اليهود ، ولم تفعل حكومة الانتداب اي عمل إنساني تجاه هؤلاء العرب فلم توجد لهم مأوى آخر ولا سكناً آخر فشردوا شر تشريد ومزقوا شر تمزيق

٢ - وثانياً لم تقتصر الحكومة على سياسة الافقار والتفقير والاجاعة التي ذكرنا طرفاً منها ، بل عمدت إلى خلق ظروف سياسية اخرى ، في داخل البلاد ، فحكمت البلاد حكماً مباشراً وأبعدت الوطنيين العرب عن تسلم الوظائف الرئيسية ، وأخذت تسلم هذه الوظائف الى اليهود ، فملأت بهم الادارات المختلفة ، وجعلت أغلب الوظائف الكبيرة والخطيرة في ايديهم حتى كانوا في بعض المناطق مستقلين استقلالاً تاماً بوظائفهم وإدارتهم

ولم تقتصر حكومة الانتداب على خلق هذه الاجواء **الاقتصادية والادارية** التي ذكرنا لك بعضاً منها ، بل إنها توجهت بعد ذلك الى ما يتمم بناء الدولة الصهيونية

٣ — لقد نفذت حكومة الانتداب أوامر اليهود القاضية بتجريد العرب من سلاحهم أولاً ، ثم تدريب اليهود على حمل السلاح المرخص ثانياً فلتنفيذ الغاية الأولى ، اصدرت الحكومة المنتدبة القوانين ، وسنت الاحكام الصارمة التي تحرم على العرب وتحظر عليهم حمل السلاح ، وجعلت عقوبة ذلك الشنق او الحبس المؤبد ، وقد شهدت السجون

الآلاف ممن حكموا لاقتناء بعضهم رصاصة فارغة واقتناء آخرين مدى مثلومة

كما قامت حكومة الانتداب ، بتنفيذ الامر الثاني ، وهو تدريب اليهود على حمل السلاح على اختلاف انواعه امام سمع الحكومة وبصرها . ولم تقتصر على ذلك ، فألحقت آلافاً من اليهود في فرقها الحربية ، ودربتهم أحسن تدريب ، في اثناء الحرب الكونية الأخيرة ، كما كانت حكومة الانتداب تعثر على كميات كبيرة من شتى الاسلحة في المخابىء ، ودور العبادة ، والمدارس اليهودية ، ولم تكن لتعمل شيئاً من مصادرة او حجز

من هنا ترى مدى تلك المساعدات ، التي قامت بها حكومة الانتداب في تأسيس دولة إسرائيل « المزعومة »

واخيراً لقد قامت بأعظم رواية ، فأعلنت انسحابها من فلسطين ، بعد ان اتمت تمثيل أدوارها ، وبعد ان سلمت البلاد جملة وتفصيلاً الى اليهود

وهكذا فقد وضعت الحكومة المنتدبة البلاد في ظروف سياسية وادارية واقتصادية ، لم تكفل إنشاء وطن قومي لليهود فحسب ، بل كفلت لهم إقامة دولة وإنشاء حكومة

٤ – وقبل كل شيء إياك ان تنسى ان كل مندوب لحكومة الانتداب إن لم يكن يهودياً وصهيونياً في دمه وعقله ، وفي روحه وجسمه ، فهو صهيوني المذهب ، صهيوني المشرب ، صهيوني المنهج ، صهيوني الطريقة . وكذلك كبار الانكليز الذين كانوا يتولون الادارات في فلسطين ، كانوا على سنة رئيسهم المندوب .



البنات الاسرائيليات

يتدربن على القتال ، ليقاتلن – حين يجد الجد – العرب هذا بالاضافة الى التنظيمات الأخرى والجيوش السرية والعلنية ، التي شكلت بمعرفة دولة الانتداب

ولا تنس ايضاً ، ان كل من كان يحاول ان يخالف اليهود في اغراضهم، كان مصيره الاقالة او الاستقالة

* * *

لقد كان المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية ، صريحاً كل الصراحة في خطابه الأخير في مجلس العموم الذي قال فيه ان فاجعة فلسطين تسأل عنها كل حكومة بريطانية اتت إلى الحكم منذ وعـــد بلفور . وبذلك اشار المستر بيفن الى نقطة تاريخية هامة في تاريخ فلسطين منذ سنة ١٩١٧

* * *

أرأيت أيها القارىء الكريم كيف ان حلفاءنا الانكليز كانوا أوفياء للعرب ، من تلك الساعة التي حالفوهم فيها

ثم أرأيت كيف ان الانكليز ، قد استولدوا الحيــة الرقطاء ، ثم سقوها السم بأيديهم ، حتى نمت وترعرعت على يد الشيطان ، ثم قــالوا لها كوني « دولة إسرائيل » فكانت



صورة تمثل غدر اليهود ...

وهكذا كانت نهاية حيفا الحزينة ، عروس الشرق ، وزينة بلاد العرب



حارس الجمعية الاسلامية يتقـدم ببسالة وشجاعة لاسعاف بعض الجرحى الذين مثل بهم اليهود في حيفا في حوادث سنة ١٩٤٧

فالى الجيل الصاعد ليعرفوا واجبهم



شيخنا المجاهد الكبير الشيخ عز الدين القسام وقد جـــاء ذكره في الكتاب مرات عدة .

وهو محمد عز الدين بن عبد القادر القسام ، من اسرة[1] كريمـــة في جبلة ، جوار اللاذقية ، درس في الأزهر الشريف ورجع[2] الى بـلده ، واعظاً مرشداً ، ثم قاوم فرنسا عند احتلالهـا لسورية ، ثم استقر في حيفا ، ووجد فيها تربة طيبة ، وفطرة صالحة ، وقوماً صدقوا في حب الدين ، واسترخصوا انفسهم في سبيله ، فاحب اهل حيفـــا واحبوه وامتزج بهم امتزاج الراح بالماء

فالف منهم جماعة سرية عاهدوه على الشهادة في سبيل الله وهكذا كان.

تولى امامة[3] جامـــع الاستقلال وخطابته فكان يرسل من فوق منبره الصواعق والزلازل . عاجلته الحوادث ، وفاجأته البواعث ، فخرج للجهاد على غير كمال الاستعداد ، مع نفر من صحابته ، لا يتجاوزون اصابع اليدين ، وقابلهم جيش كامل العدد والعدة من جيوش بريطانيا ، فغلبت الكثرة الشجاعة وسقط شهيداً في سبيل الله ، رحمه الله رحمة واسعة ودفن في قرية « بلد الشيخ » من قرى حيفا —

ولد ١٣٠٠ — ١٣٥٤ هـ ١٨٨٢ — ١٩٣٥ م المؤلف

رجوع الى الماضي القريب

اضطرابات ، وثورات ودماء

تبين لك ، من كلمتنا السابقة ، كيف وضعت حكومة الانكليز المنتدبة إخوانك عرب فلسطين ، في ذلك الوضع الشاذ المضطرب ، فقابلوا ذلك في تحمل وصبر ، وكيف سلّطت عليهم تلك التيارات المختلفة ، وتلك الأجواء العجيبة ، ومع ذلك ، فقد قاوموا مقاومة الجبابرة .

لقد وضعت الحكومة عرب فلسطين تحت تلك الظروف الاقتصادية ، حتى هلك الفلاح وصاحب الارض

ووضعتهم تحت تلك الظروف السياسية والادارية ، فحرمتهم من الوظائف ، وإدارة مصالحهم ، وسلمت كل ذلك لليهود ، لذلك الأجنبي الدخيل

ثم رأيت كيف وضعتهم أمام القوانين الجائرة والأحكام العرفية ، فضغطت على الحريات ، ثم فتحت أبواب البلاد وموانئها لسيول المهاجرين بالآلاف ومئات الآلاف ، حتى ملأت منهم السهل والجبل . فماذا يفعل العربي وكيف يطيق الصبر والاحتمال ، وهو يرى أن أراضي بلاده تنتقص كل يوم ، وتذوب من أيديهم وتستقر في أيدي اليهود، وشركاتهم العديدة ، التي تحميها حكومة الانتداب ؟ هل يقف مكتوف اليدين ، وهو يرى ان الدوائر والمصالح تؤخذ من يده وتسلم ليد أجنبية غريبة ؟



هكذا كان اهل فلسطين

مدججون في سلاحهم ، لا ترى إلا الحـدق منهم ، فخرهم في لبس الحديد ، ومقارعة الصناديد اذا ظمئوا شربوا من دماء الانكليز واليهود والصورة سنة (١٩٣٨)

هل يقف متفرجاً وهو يرى أن حكومة الانتداب ، تفتش كل بيت ، وكل مخبأ ، في كل قرية أو مدينة ، لجمع السلاح وأخذه من العرب ، وهو يرى بأم عينه ان الذخائر وأنواع السلاح ، تأتي إلى اليهود بكميات وافرة ، وعلى مدى واسع والحكومة سامعة مبصرة !!
لقد ظن العرب في أول الأمر ان العدالة لم تفقد من الأرض وظنوا أن لحكومة الانتداب أذناً صاغية ، وعيناً لتحقيق الحق ، ورفع الباطل، وضميراً لردع الظالم والضرب على يديه

فتوجه العرب أول ماتوجهوا إلى هذه الحكومة ، فقدموا لها المطالب وبسطوا لها العرائض ، وأوفدوا الوفود ، تلو الوفود إلى لندن ، وعقدوا المؤتمرات تلو المؤتمرات ، ورفعوا شكايتهم إلى عصبة الأمم ووزارة المستعمرات ، فماذا وجدوا ؟ وجدوا آذاناً صماء ، وعيوناً عمياء ، ووجدوا ان صراخهم وعويلهم يذهب مع الريح ، ولا يترك أثراً ، ورأوا أن حكومة الانتداب ، تسابق الوكالة اليهودية ، وتسبق الرغبات الصهيونية، في تحقيق الدولة ، لا الوطن القومي فحسب هنالك رأى العرب انفسهم بين أمرين لا ثالث لهما إما أن يستكينوا ويستسلموا ، ومعنى ذلك أنهم يستسلمون لذلك الموت البطيء ، والعيش الدنيء والامر الثاني اما أن يدافعوا عن كرامتهم المسلوبة ، ووطنهم الذبيح بحد السيف وسمر القنا ، وان يموتوا بعد ذلك ، كما يموت الحر الكريم حفاظاً عن دين ، ودفاعاً عن عرض ، وذودا عن أرض الاباء والاجداد وقديماً قال الشاعر

إذا لم يكن إلا الاسنة مركباً فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وهكذا وجد عرب فلسطين انفسهم ، مضطرين لحمل السلاح ، فهجروا بيوتهم ، واعتصموا برؤوس الجبال ، وبطون الوديان ، وأعلنوها حرباً شعواء ، وعلى لسان كل واحد منهم ذلك البيت المشهور

لم أكن من دعاتها علم الله ولكن من حرهـــا اليوم صالي

لم يقوموا بثورة واحدة ، ولكن قاموا بثورات ، ولم يضطرب حبل الأمن مرة واحدة ، بل اضطرب عدة مرات ، وما كانت النار لتخمد إلا لتعود أشد اضطراماً ، واكثر هولاً ، ومـــا كانت الريح الهوج ، لتسكن إلا لتهب هبوباً واليك البيان

١ – لقد تم دخول جيوش الاحتلال في سنة « ١٩١٨ » فلم يمض على ذلك سنتان إلا وهبت أول ثورة ، وكان ذلك في شهر نيسان سنة « ١٩٢٠ » فحصلت اضطرابات في القدس ، بسبب اعتداءات اليهود على بعض العرب ، وتفاقمت الحـــالة حتى جاوزت القدس ، وحصل اشتباك بين عربان بيسان وبين حكومة الانتداب ، انقطع سير القطارات على أثرها بين حيفا ودمشق كما تعطلت المواصلات البرقية والهاتفية

٢ – وفي اول يوم من أيار سنة « ١٩٢١ » اشتعلت النـــار مرة اخرى وكان مصدرهـــا من يافا ، وكان سببها اليهود ايضاً ، ذهب في سبيلها عشرات من القتلى ومئات من الجرحى من الفريقين ...

وفي تلك السنة ارادت الحكومـــة ان تعرف الاسباب التي ادت إلى هـــذه الاضطرابات ، فتألفت « لجنة التحقيق » برئاسة السر « توماس هايكرد » قاضي القضاة حينذاك ، فقامت هـــذه اللجنة باجراء تحقيق عميق ووضعت تقريرها الذي سجلت فيه ، أن اسباب هذه الثورة هي سير الحكومة على سياسة الوطن القومي وها نحن اولاء ننقل فقرات من ذلك التقرير « وقد ظهر لنا ان الوطنيين ينفرون من الحكومـــة لاتباعها سياسة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين »

وانتشر الاعتقاد في البلاد من اولها إلى آخرها ، بـــأن الحكومة عرضة لضغط الصهيونيين عليها ، وهي لذلك تتحزب لليهود وتساعدهم في

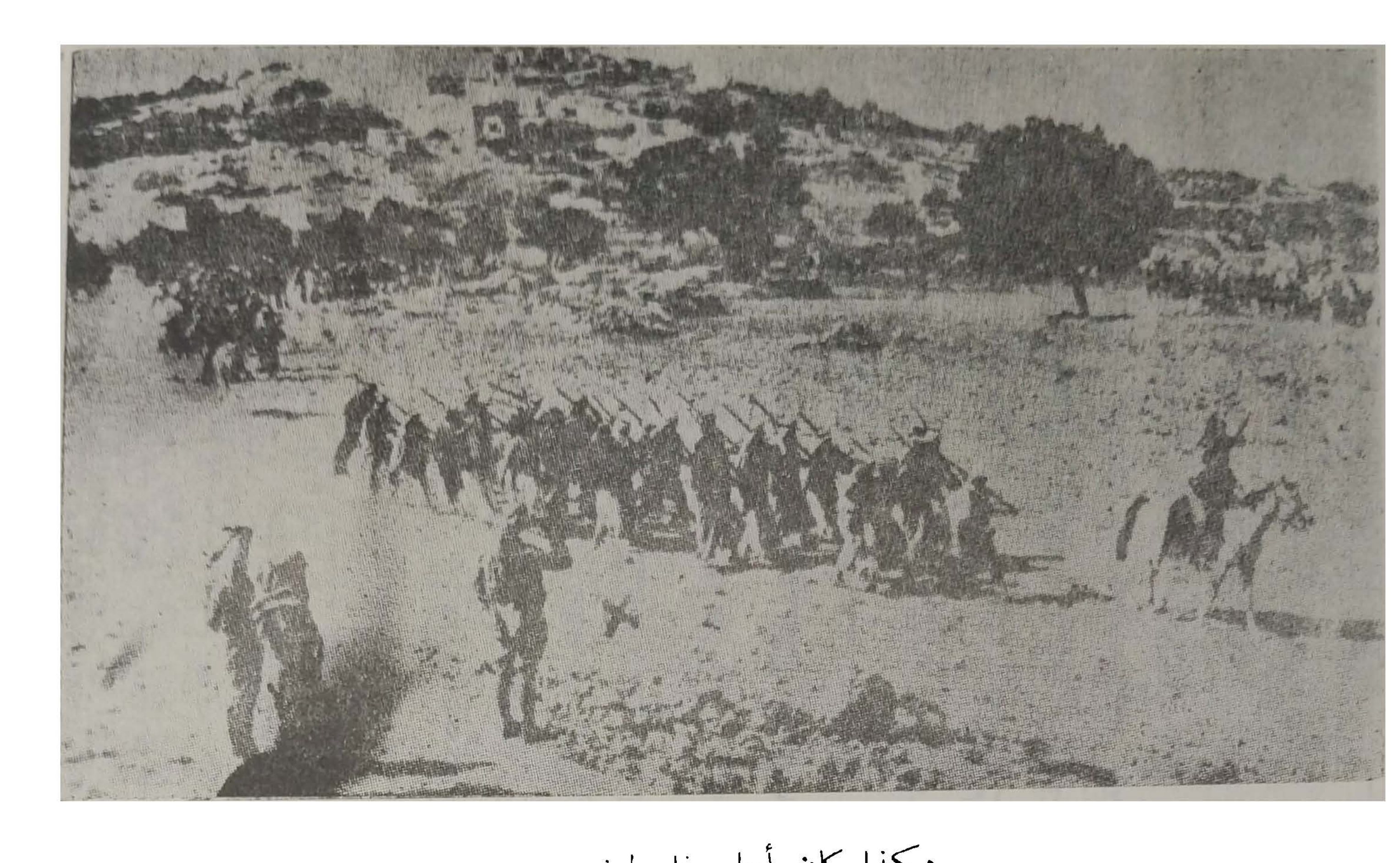
جميع اعمالهم ومقاصدهم بالرغم من كونهم اقلية » وجاء في التقرير ايضاً « ولو ظل اليهود اقلية كما كانوا ايام الترك وحافظوا على أدبهم واعتدالهم، لما عكر عيشهم قط احد ، ولكن العرب لما رأوا ان اليهود اصبحوا اصحاب الكلمة النافذة عند الحكومة نقموا عليهم واضمروا لهم الشر وباتوا ينتظرون اول حركة تبدو منهم » وجاء في التقرير ايضاً « إن المظالم التي يشكو منها العرب والتي كان لها دخل عظيم في المشاغبات هي كما يلي « أولاً » لان بريطانيا العظمى اسست الحكومة الفلسطينية بحسب رغائب الصهيونية ، واتبعت سياسة إنشاء الوطن القومي ، ولم ترع منافع سكان الوطن الاصليين « ثانياً » لان الحكومة الفلسطينية، استعانت بصورة رسمية ، تأييداً لهذه السياسة بلجنة صهيونية تساعدها في اعمالها ، فما كان من هذه اللجنة إلا أنها ألفت حكومة ثانية في قلب الحكومة الفلسطينية ، وأخذت تعنى بمصالح اليهود ، وتهمل مصالح الوطنيين » إلى آخر ما جاء في ذلك التقرير

٣ — وفي ٢ تشرين الثاني سنة « ١٩٢١ » وقعت اضطرابات في مدينة القدس ، وذلك بمناسبة المظاهرات التي أقيمت احتجاجاً على وعد بلفور المشؤوم ذهب فيه بعض القتلى والجرحى

٤ — وفي شهر آذار سنة « ١٩٢٤ » حدثت اضطرابات في مدينة يافا ، إبان احتفال اليهود بعيد المساخر ، وكان السبب في ذلك ان اليهود تحدوا شعور العرب وجرحوا كرامتهم ، بأن تزيوا في ذلك اليوم بزي علماء الدين الاسلامي ، فنشأ من ذلك الاصطدام العنيف الذي أسلفنا ذكره

* * *

٥ — وفي شهر آب « ١٩٢٩ » تغير مجرى الاضطرابات ففيما مضى



هكذا كان أهل فلسطين

مفـارز من المجاهدين الفلسطينيين يستعرضهم القائد العام « فوزي القاوقجي »
اثناء التدريب العسكري سنة ١٩٣٦

كانت محلية موضعية ولكنها في هذه المرة كانت عامة شاملة ، وكان سببها ايضاً ان اليهود خرجوا بمظاهرة كبيرة قاصدين البراق ، والذي يسمى عندهم بالمبكى وقد تحدوا العرب فأخذوا ينادون بوجوب اخذ المسجد الأقصى ، وانتزاعه عنوة من المسلمين ، وحصلت بعد ذلك اعتداءات فردية ثم تطورت فهاجم اليهود في يوم الجمعة قرية « لفتا » من ضواحي القدس فاعملوا القتل في النساء والاطفال ، فاسرع المصلون المحتشدون في الجامع ، الى النجدة وهكذا عمت الفتنة المدن والقرى ، وفي مقدمتها حيفا ويافا وصفد والخليل ، وقد بلغ عدد القتلى من اليهود في الخليل وحدها ٦٤ قتيلاً ، وقد اتى اليهود في اثناء هذه الاضطرابات من الافعال المنكرة ، كما هي عادتهم ، فبقروا البطون ، ومثلوا في القتلى ، وذبحوا الأطفال وقد قتل وجرح في صفد ما يقرب من (٧٠) رجلاً وكان سبب الفتنة في صفد ايضاً تحرشات قام اليهود بها

٦ — وبعد مضي اربع سنوات من هذه الاضطرابات ، رأى العرب انهم لم يستفيدوا من مجيء لجان التحقيق ، وان حكومة الانتداب لم تأخذ بتواصيها ، ولم تجب العرب الى مطلب من مطالبهم ، فالهجرة لا تزال كما كانت بل اتسعت ، وبيع الأراضي لم يقف بل زاد ، وفوق ذلك فقد اخذت البلاد مظهرها الصهيوني ، ففي سنة (١٩٣٣) ادرك العرب ، انه لا فائدة من مقاومة اليهود بل يجب ان يقاوموا الانجليز ، وان يقفوا امامهم وجهاً لوجه ، وقبل ان يلجأوا سريعاً الى القتال ، قابل وفد منهم المندوب السامي ، وتذاكروا معه بوجوب ايقاف الهجرة ، ومنع بيع الاراضي ، فوجدوا منه اصراراً على تنفيذ سياسة الحكومة المرسومة والقاضية بتهويد البلاد ، فتداعوا إلى مؤتمر هام عقد في يافا وذلك يوم الاحد ٢٦ مارس سنة (١٩٣٣) حضره نحو الف من الفسلطينيين ، من اصحاب الحل والعقد ، وتبع ذلك اجتماع اللجنة التنفيذية في القدس واتخاذ مقررات خطيرة تقرر فيها القيام بمظاهرات

صاخبة ، والعدول عن سياسة الاحتجاج وبالفعل لقد قامت مظاهرات عديدة في القدس ويافا ، وغيرهما اشترك فيها الرجال والنساء ، وقاومت الحكومة هذه المظاهرات بالقوة ، فجرح وقتل فيها عدد كثير . واعقب ذلك محاكمة الحكومة لكثير من الوطنيين وزجهم في اعماق السجون والمعتقلات مع قيامهم بالاشغال الشاقة

* * *

٧ – وفي عام (١٩٣٥) قامت حركة جديدة في البلاد ، بسبب القلق الذي عم الناس جميعاً وعم البلاد وترأس هذه الحركة الشيخ الجليل عز الدين القسام ولم تكن تلك الحركة وليدة ساعتها او شهرها فقد ادرك القسام بثاقب بصره ان حكومة الانتداب ستوصل البلاد ، في يوم من الايام الى تلك الكارثة التي ادركناها نحن سنة (١٩٤٨) وهي كارثة اجلاء العرب عن بلادهم فالف جمعية سرية كان ينتقي اعضاءها من اهل الدين والعقيدة الصحيحة وكان يجبر اتباعه على ان يدفعوا اكبر قسط يمكنهم من المال في سبيل شراء السلاح واعداد العدة كما كان يقوم المرحوم على تدريب جماعته ، برحلات ليلية ، والقيام بحركات استطلاعية ، يتمرنون في اثنائها على اصابة الهدف ، وقد وضع المرحوم برنامجاً واسعاً لمقاومة الحكومة ومحاربتها ، ولكن الوقت اعجله ، فانكشف امره فسارع مع جماعته فخرجوا إلى الجبال ، وقامت اول معركة بينه وبين الانكليز مباشرة قرب قرية (يعبد) من قرى جنين ، فقتل المرحوم مع بعض رفاقه والذين القي القبض عليهم بقوا ، وبعد ان شفوا من جراحاتهم صرحوا علانية وامام المحكمة والقاضي البريطاني انهم خرجوا لا لقتال اليهود وانما لقتال بريطانيا . وعلى اثر قتل المرحوم (القسام) قامت البلاد وقعدت ، واهتزت ايما اهتزاز ، وزلزلت ايما زلزال . ومن ذلك الحين اشتدت كراهية العرب لحكومة الانتداب ،

وأخـذت تظهر هذه الكراهية باشكال عنيفة ، وفي ذلك العام والذي يليه اخذت حكومة الانتداب تضطهد العرب ، وخاصة المتدينين المتزيين بزي علماء الدين ، فأخذت تزج في السجون كل من وضع عمامـة على رأسه ، وكل ذي لحية في وجهه ، وانتهى هذا الغليان بالثورة الكبرى سنة (١٩٣٦)

* * *

٨ — وبدأت هذه الثورة الجامحـة بقتل اليهود بعضاً من العرب ، فعم الاستياء في البلاد ، فاضربت اضراباً عاماً شاملاً ، فوقفت السيارات واغلقت المتاجر ، واخذ الناس يجتمعون في دور العبـادة في المساجد والكنائس ، ودام هذا الاضراب مدة (ستة اشهر) وكان الوحيد من نوعه في العالم ، وفي اثنائه قامت البلاد بعدة مظاهرات ، وقع فيهـا عدد من القتلى والجرحى ، واستعملت حكومـة الانتداب كل انواع الغلظة ، وكل اساليب الشدة ، لتقمع هذه الحركات البريئـة ، وفي النهاية انتهت هـذه الحركات بتلك الثورة العنيفة ، فتألفت الفصائل والكتائب ، وأخذوا يقاومون الانجليز وجهاً لوجه واشتركت النساء في اكثر هذه الوقائع فأوصلت الماء والغذاء الى المجاهدين ، مـع تضميد ومواساة جرحاهم في الميادين ، وكانت الطريقة التي يتبعها الثوار بـأن يضعوا صخوراً كبيرة في الطريق حتى إذا جاءت القافلة اليهودية بحراسة الانجليز اشتبكوا معهم وكان الليل هو الذي يحجز بين الفريقين ، وكثيراً ما كانت تستمر المعركة اليوم او اليومين ، وكانت تنتهي في كثير من المرات بانتصار العرب ، وارتـداد قوى الحكومة ، مهما كانت ، ولا يزال الناس الى الآن يذكرون معركة (نور شمس) و (عين حارود) ، و (وادي عزون) ، و (باب الواد) ، و (بلعا) ، و (وادي عرعرة) بمزيد من الفخر



هكذا كان اهل فلسطين

أسود في زي جنود ، رهبان في الليل، فرسان في النهار .. احب شيء اليهم الموت في سبيل الله.
صورة المرحوم القائد الشهيد عبدالرحيم الحاج محمد يحيط به جماعة من المجاهدين في ثورة ١٩٣٧–١٩٣٩

ولما لم تستطع الحكومة اخماد هذه الثورة ومقابلة الثائرين ، اخذت تصب حمم غضبها على المدنيين والآمنين في المدن والقرى فنسفت مئات البيوت وقتلت الآلاف من الشبان الأبرياء ، الذين كانت تنتقيهم انتقاء من شباب القرية او المدينة واتت حكومة الانتداب من صنوف المنكرات ما لا يزال عرب فلسطين ، يذكرونه بالاسى والحزن ، ولم تنته هذه الثورة الكريمة ، الا بعد تدخل اصحاب الجلالة ملوك العرب ، فاذاعوا بياناً مشتركاً طلبوا فيه من ابنائهم عرب فلسطين ، بأن يتوقفوا عن الثورة ويثقوا بنوايا الصديقة الحكومة البريطانية

٩ – وفي سنة (١٩٣٧ ، ١٩٣٨) قام عرب فلسطين ، بثورة أخرى مقاومين مطامع اليهود ، ومساعدة حكومة الانتداب لهم، ذهب ضحيتها خيرة الشباب من ابناء البلاد ...

* * *

وهكذا تطلع من الارقام ان اخوانك عرب فلسطين ، قاموا بما يقرب من ست ثورات في مدة خمس وعشرين سنة على معدل ثورة واحدة ، وعدة اضطرابات في كل خمس سنوات

وما كان العربي الفلسطيني لينتهي من غمرة ، الا لغمرة اخرى ، ولا من ثورة الا لثورة اخرى ، فكم ذهب من شباب ، وكم ضاع من مال، وكم نسفت بيوت ، وكم يتمت اطفال ، وكم ترملت نساء

وأخيراً قامت حكومة الانتداب ، بلعبتها الاخيرة ، أو سياستها الأخيرة ، فأعلنت انسحابها ، بعد ان قامت بآخر دور في روايتها ، وذلك في ١٥ أيار سنة (١٩٤٨) بعد ان سلمت البلاد ، ودور الحكومة جملة وتفصيلاً ، تدريجياً الى اليهود ، وبعد ان رمت بالعرب في البحر ، وفي البوادي ، وبعد ان صيرتهم في وضعيتهم الحاضرة مشردين تحت كل نجم يعرفون « باللاجئين »

* * *

هكذا كان وفاء (بريطانيا) فقد قامت بواجبها كحكومة (منتدبة) فهذبت الشعب ، ورقت الأمــة ، ورفعت مستوى الأفراد ، واشاعت الأمان والسلام ، وكان تمام فضلها ومعروفها هذه النتيجة الباهرة ، وهي شتات امة بأسرها ، وقتل شعب كامل

هذا فضلها إلى الآن فقط   اما في المستقبل وماذا خبأت للعرب ، وبينت من نوايا طيبة للاسلام والمسلمين ؟؟ فأمر علمه عند علام الغيوب

ومن رعى غنماً في ارض مسبعة   ونام عنها تولى رعيها الأسد

وقبل ان نلقي القلم ، يحسن بنا ان نختم هذا الفصل بشهادة رجل حربي عسكري ، عرف اهل فلسطين معرفة حقــة   عرفهم حينما قاتلهم في الجبال ، ونازلهم في الميدان ، فعرف قوتهم ، وشكيمتهم ذلك هو الجنرال (ولسون) الذي قاد المعارك ضد عرب فلسطين قال ان خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يعتصمون في الجبال ، ويقومون بحرب العصابات ، لا يمكن التغلب عليهم باقــل من فرقة بريطانية كاملة السلاح – اي خمسة عشر الف جندي   والفضل ما شهدت به الاعداء ...

هل عرب فلسطين هم المسؤولون عن بيع الاراضي !

خطر انتقال الاراضي

لقد كان الغرض من سلسلة هذه المقالات ، اطلاع الرأي العربي العام على تلك المقدمات ، التي ادت الى هذه النتيجة المؤلمة ، التي حلت بعرب فلسطين حتى أصبحوا « لاجئين » مشتتين تحت كل نجم من ديار العرب ، وهم لاجئون ولاجئون على رغم أنهم في ديار العرب ، على ان بعض الحكومات العربية استكثرت عليهم هذا الشرف فحرمتهم كافة الحقوق المدنية وجعلتهم في داخل معتقلات ، كالمجرمين حذوك النعل بالنعل ، ومنعتهم من العمل في بلادها رسمياً بأجر وبغير أجر ...

ما لنا ولهذا الحديث عن اللاجئين ، فلعلنا نرجع اليه في فرصة اخرى وإنما غرضنا ان نقول ، ان هذه السلسلة من المقالات ، لغرضين أحدهما كما قلنا اطلاع الرأي العام ، والثاني دفاع عن عرب فلسطين الذين صمدوا طيلة هذه المدة الطويلة ، وحدهم من غير ان يمدهم احد ، او يسندهم في كفاحهم وجهادهم أحد تقريباً

لقد أوضحنا في مقالاتنا السابقه ، كيف ان العرب وُضعوا تحت تيارات وظروف اقتصادية وسياسية وادارية ، هيأت الوضع للوطن القومي اليهودي ، واوضحنا ايضاً كيف قاوم عرب فلسطين هذه التيارات بشدة

وعنف ، وقاموا بست ثورات دامية ، راح ضحيتها آلاف الشباب من زهرات البلاد وملايين الأموال

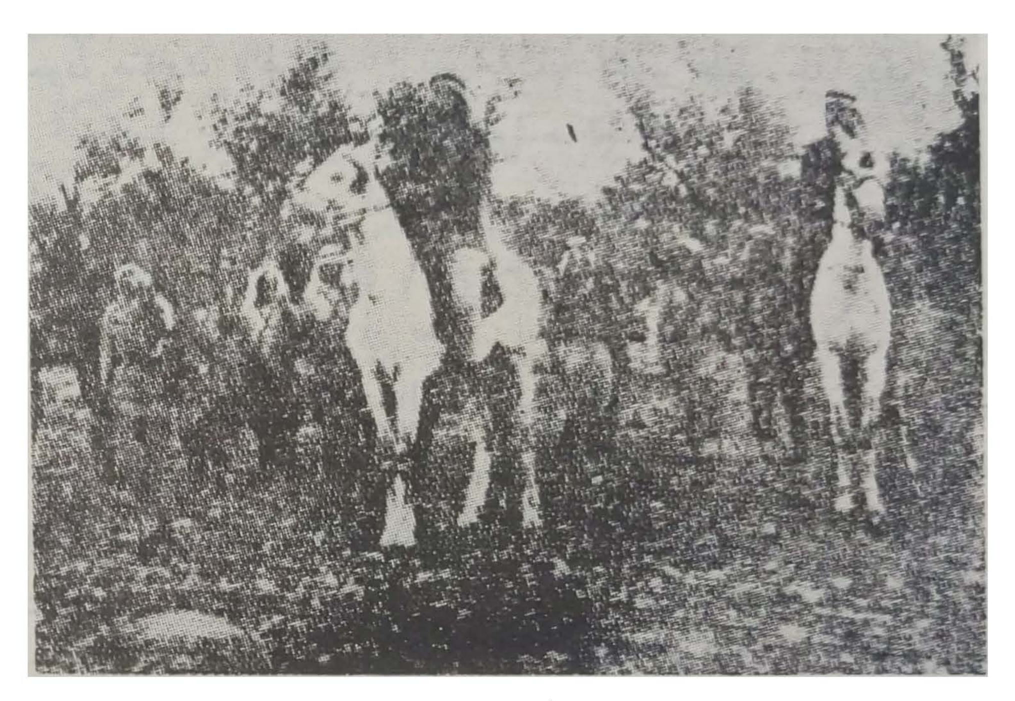
وبقي علينا ان نجيب عن سؤال طالما تردد على الألسنة ، وتهامس الناس به في المجالس . هـذا السؤال لماذا باع العرب اراضيهم ووطنهم ؟ وتارة يقولون لولا ان العرب انفسهم اهل البلاد باعوا بلادهم ، لما وجد اليهود أرضاً يسكنونها ، او يقيمون عليها مستعمراتهم ومزارعهم : ولكن هل صحيح ان اصحاب البلاد باعوا اراضيهم ؟ أم ان الذين باعوا الارض قوم آخرون ؟ ولو ثبت ان بعض اهل البلاد قد باع أرضه ، فهل صحيح انه باع باختياره وعن طيب خاطره ؟ وللجواب عن ذلك نقول

١ - لقد كانت الحكومة البريطانية ، توفد اللجان إثر اللجان كلما تحرجت الحالة في فلسطين ، او اندلعت فيها نيران الثورة ، وكانت هذه اللجان الرسمية ، تمكث زمناً طويلا ، باحثة مستقصية عن كل شيء أدى الى الثورات من قريب او بعيد ، وها نحن أولاً ننقل اليك بعض الفقرات عن تقرير هذه اللجان لتدرك ان العرب في فلسطين ما كانوا ليقدموا على بيع اوطانهم عن طيب خاطر ، وانما كان بيعهم لأراضيهم بضغط من الحكومة يشبه الاكراه أو هو الاكراه بعينه . لقد لاحظ الخبراء ان حكومة الانتداب البريطانية تثقل كاهل الفلاح بكثرة الضرائب المتعددة الموضوعة على الأرض ، وعلى حاصلاتها ، وعلى مواشيه ، حتى اضطر الفلاح تجاه هذه الضرائب ان يعمد الى الاستدانة ولو بالربا الفاحش ، مما أدى به إلى العجز والشلل التامين ، ولم يجد غير وسيلة واحدة تلك هي التخلص من هذه الأرض التي صارت سبباً في نكبته ومصيبته ومن الجلي ان نقول ان الحكومة البريطانية ، تعمدت وضع هذه الضرائب الباهظة الفاحشة ، لتجعل الفلاح العربي في مثل هذا الوضع الذي يؤدي الى بناء الوطن القومي اليهودي

ذكر مدير المعارف الإنكليزي في فلسطين في سياق مذكرة له قدمت إلى إحدى لجـان التحقيق (لقد اصبحت حالة المزارعين الاقتصادية على حافة اليأس والقنوط ، وتكاد لا توجد قرية عربية غير مغرقة في الديون ، والفلاحون مثقلون بالضرائب ، بدرجة انه يتعسر عليهم جداً دفع ضريبة العشر ، وفضلاً عن ذلك فهم في المواسم الجيدة لا يستطيعون بيـــع ما ينتجونه من قمح أو شعير او زيت وقد زرت في المدة الأخيرة خمس عشرة قرية في منطقة الجليل ، فوجدت هذه الحالة التعسة بادية للعيان في كل منها ، وقد شح النقد في بعض الاماكن حتى اصبح الأهالي يبيعون حاجياتهم عن طريق الاستبدال ، وليس في وسعهم دفع الاعشار ، دون ان يعمدوا الى الاستدانة ، الأمر الذي يؤدي الى زيادة ديونهم الباهظة للمرابين) وجاء في تقرير (لجنة فرانش) ما يأتي

(ويستدل من الافادات التي تيسرت لنا من مصادر مختلفة ، ان الفلاح العربي ، في حالة يأس وقنوط ، فليس لديه رأس مال لمزرعته ، بل بالعكس يرزح تحت عبء ديون طائلة ، والايجار المطلوب منه اخذ يتصاعد ، وهو مكلف بدفع ضرائب فادحة ، وبلغ ما يدفعه من الفائدة على ديونه ، درجة غير قابلة التصديق) وبعد عملية حسابية قامت بها لجنة (فرانش) في معرفة ما تنتج الأرض عام (١٩٣٠) كتبت في تقريرها ما يلي

(ليس من قبيل المبالغة ، إذا ان يقال ان الفلاحين قد بلغوا درجة من الافلاس لا رجاء بعدها) ألا يحق لنا أن نسأل ومـــاذا فعلت الحكومة البريطانية بعد كل هذه التقارير الصارخة الحمراء الداوية ؟ وهي الحكومة التي جاءت لرفع مستوى الشعب والعمـل على ثقافته ورفاهيته وتثبيته في وطنه على أقل تقدير ؟ الجواب لا شيء فاذاً نستطيـــع ان نستنبط بوضوح ان الحكومة البريطانية ما كانت لتقيل الفلاح العربي



هكذا كان أهل فلسطين

عزهم في شهادتهم ، ومجدهم على ظهور جيادهم ، حملهم الليل وحمل معهم الويـــل ، وسل جيوش بريطانيا كيف كانت أمامهم لا تعرف إلا الهرب

صورة القائد المجاهد الشيخ حسن سلامه استشهد في المعارك الأخيرة سنة ١٩٤٨

والصورة تمثله مع بعض المجاهدين في عام ١٩٣٨

من عثراته ، وإنما كانت لا تزيده الا خبالاً .. وهي التي كانت تخلق أمامه العثرات والمشكلات والمستحيلات لقلعه من ارضه

هذا النظام ، وهذه الوضعية الشاذة التي وُضع بها العربي ، جعلت بعض المالكين يتهرب من أرضه ، ويراها عبئاً ثقيلاً ، وهماً مقيماً وخصوصاً اذا علمنا أثر تلك المغريات من الجانب الآخر

٢ - وعلى رغم كل ما ذكرناه ، فان ما تسرب إلى اليهود من ملاكي عرب فلسطين انفسهم ، شيء قليل جداً لا يتناسب مع الكمية الكبيرة التي تسربت الى اليهود بواسطة ملاكين أجانب عن فلسطين ولبيان الحقيقة في ذلك نقول إن اخصب الاراضي وأجودها انتقلت الى اليهود عن طريق فئات من الناس لا بد من ذكرهم للواقع والتاريخ .

١ - (مرج ابن عامر) يعد هذا المرج من أخصب سهول فلسطين وأهم مصدر للغلال فيها ، مساحته (٤٠٠ الف دونم) باع أغلبها آل سرسق الأغراب عن البلاد وذلك في عامي (١٩٢١ و ١٩٢٥) .

٢ - (وادي الحوارث) اراضي هذا السهل خصبة ايضاً باعه آل التيان الغرباء عن البلاد أيضاً وذلك في سنة (١٩٢٩) وتقدر اراضي هذا الوادي بـ (٣١ الف دونم) بمبلغ ٤١ الف جنيه .!!

٣ - (سهل الحولة) وهو ثالث الأراضي الخصبة في فلسطين لما فيه من كثرة الينابيع والأنهار الجارية على سطح الأرض كذلك ايضاً قد باع اكثره ملاكوه الاغراب عن البلاد وهم اصحاب امتياز الحولة (أبو علي سلام وشركاه) لقد كان بامكان حكومة الانتداب البريطانية ، لو أرادت ، ان توقف كل معاملة تؤدي الى انتقال الارض من صاحبها العربي ، التي ورثها من مئات السنوات عن آبائه وأجداده ، الى يد اجنبية عن البلاد ...

وكان بامكانها ، ان تضرب بيد من حديد على هؤلاء العابثين بمقدرات

البلاد ، نعم كان بامكانها ذلك لو أرادت ... وكنا نرضى منها ان تقف ولو على الحياد ، ولا تضع ما وضعته من القوانين الجائرة المعقدة التي سهلت بيع الارض ، وانتقالها بهذه السرعة الغريبة ولعلك تقول هل عملية الايقاف من واجب الحكومة ؟ نعم إن ذلك من واجبها مما في ذلك شك ولا ريب ، وإذا لم يكن هذا من وظائفها فأي شيء بعد هذا أولى منه وأجدر ؟ ولهذا فانا نرى من الأمور العادية ان الحكومات تسن من القوانين ما يمنع انتقال الأرض لغير أبناء البلاد ، ويضعون لأجل ذلك مئات العراقيل والحواجز والموانع ولكن حكومة الانتداب البريطانية ، كانت تضع مئات الحواجز والعراقيل ، أمام الفلاح العربي وصاحب الأرض العربي .

٣ – ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كانت الحكومة البريطانية تقتطع الأراضي بآلاف الدونمات ، او بمئات الآلاف من الدونمات من أراضيها المملوكة لها ، والتي آلت اليها من الحكومة العثمانية او الأراضي غير المملوكة من أحد كالجبال والوديان والأراضي البور ، وتسلم ذلك هدية باردة طيبة لليهود من غير مقابل !! وما عليها إلا أن تصم آذانها عن الاحتجاجات المتصاعدة من حناجر العرب

وأمام كل هذه العوامل ورغم هذه القوانين ، فان اليهود لم يتملكوا اكثر من خمس أراضي فلسطين الزراعية فقط[١]

---

(١) دلت الاحصاءات الرسمية على ان مساحة اراضي فلسطين سبعة وعشرون الف كيلو متر مربع او نحو سبعة وعشرين مليون دونم (الدونم الف متر مربع) ويبلغ مجموع ما استولى عليه اليهود الى يوم انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ نحو مليوني دونم اي سبعة في المائة من مجموع اراضي فلسطين

على ان ما تسرب من ايدي عرب فلسطين انفسهم من هذين المليونين لا يزيد عن ٢٥٠/٠٠٠ (مائتين وخمسين الف دونم) . اي الثمن فقط .. فتأمل .. ومع ذلك =

وتتمة هذه القصة الطريفة ونهايتهـــا المحزنة والمخزية ، ان اليهود لم يستطيعوا ان يصيروا سادة ، وأن يتملكوا الأراضي البـاقية ، والمدن العامرة والقرى الوافرة ، إلا بفضل ساداتنا الجيــوش العربية السبعة ، وما استطاع اليهود ان يأخذوا يافا ، وحيفا ، واللد ، والرملة ، وعكا ، والناصرة ، ولواء الجليل ، وصفد ، وطبريا ، ومئات القرى الأخرى ، لم يستطيعوا أن يأخذوا كل ذلك ، إلا بفضل دخــول الجيوش العربية الجرارة

وقبل أن نأذن للقــلم بالاستراحة نتحفك بنكتة لطيفة ، وهي هذه الحقيقة المؤلمة ذلــك أن اليهود استطاعوا بواسطة الإنكليز وما أنفقوه

= فإنها كانت نتيجة لظروف قاهرة ، كما المحنا الى ذلك والبعض الآخر كان بسبب نزع ملكية الاراضي من يد اصحابها العرب ، وتسليمها لليهود .

واليك هذا البيان !

٦٥٠/٠٠٠ دونم استولى عليها اليهــود في عهد الحكومة العثمانية في حقبة طويلة من الاراضي الاميرية بحجة انعـــاش الزراعة وانشاء مدارس زراعية

٣٠٠/٠٠٠ منحتها حكومة الانتداب البريطاني دون مقابل وهي من املاك الدولة

٢٠٠/٠٠٠ منحتها حكومة الانتداب البريطاني لليهود لقـاء اجرة اسمية وهي من املاك الدولة

٦٠٠/٠٠٠ اشتراها اليهود من بعض اللبنانيين والسـوريـــين الذين كانوا يملكون اراضي في فلسطين ، كمرج ابن عامر ، ووادي الحوارث ، والحولة الخ ..

١/٧٥٠/٠٠٠

يتبين من ذلك ان نحو سبعة اثمان ما استولى عليه اليهود من الاراضي ، انمـــا تسرب عن طريق غير اهل فلسطين وان الذي تسـرب بواسطة بعض الفلسطينيين ، هو مائتان وخمسون الـف دونم لا غير على ان هـــؤلاء قد لاقوا جزاءهم من قتل وتشريد

المؤلــف

من أموال طائلة بغـــير حساب ، استطاعوا ان يقتطعوا الخمس من فلسطين العربية

ولكن استطاعوا بمدة خمسة أشهر ، ومن غير مال انفقوه ، ولا جهد اضاعوه ، استطاعوا ان يأخذوا الأربعة أخماس الأخرى ، ولكن في هذه المرة ليس من عرب فلسطين (المساكين) وإنما من سبـع ممالك ودول عربية لها تيجانها ووزراؤها وجيوشها وكذلك أخـذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه اليم شديد

* * *

هكذا كان اهل فلسطين



القائد الشهيد الشيخ يوسف أبو درة وخلفه اركان حربه يوم ان كان لأهل فلسطين قواد ومجاهدون (سنة ١٩٣٨) وعندما كان اتكالهم على ربهم واعتمادهم على سواعدهم ، فلم يغرهم السراب

الفصل الحادي عشر

في نابلس

قصة فلسطين :

ها نحن الآن ، قد اجملنا لك قصة فلسطين ، من مبدإهـا إلى وقتنا هذا لقد حدثناك عن فلسطين العربية ، قبل أن تدخلها الجيوش العربية الباسلة ، وحدثناك عن أهل فلسطين العرب ، وعن بطولاتهم وثوراتهم ، يوم ان كانوا في بلادهم ، يوم ان كانوا أعزة ، ويوم ان كانوا رجالاً ، ويوم كانوا متوكلين على ربهم ، ثم على سواعدهم ، ثم على رجولتهم وعزائمهم .

أما يوم ان توكلوا على جامعة الدول العربية ، أما يوم ان توكلوا على أوهام الجيوش السبعة ، وعلى رؤساء مأجورين ، وعلى ملوك وأمراء ، ليس لهم من الملك والأمارة إلا اللقب ، فقد صاروا لاجئين ، وصاروا أذلة مساكين . وعلى لسان كل واحد منهم ذلك البيت المشهور

وما كنت أدري قبل (مية) ما البكا ولا موجعات القلب حتى تولت

وهكذا فقد عرفنا الآن قيمة الأوطان ولكن بعد أن أصبحنا لاجئين ...

نعم ، نحن صرنا لاجئين ، ونحن وحدنا قد نكبنا هـذه النكبة أما هؤلاء الرؤساء الفاشلون ، أما قواد الجيوش الفاشلة ، فلا يزالون كما هم ، بل على العكس ، بل ربما سيزدادون نعيماً على نعيم ، ويرقصون ويطربون ، ولكن على جماجم عرب فلسطين ، وسيعيشون بل وسيغنون وسيكنزون الاموال الطائلة ، على حسابنا كلاجئين

الا يحتاج اللاجئون إلى من يدافع عنهم ؟ ألا يحتاجون الى من يطالب بحقوقهم ، نعم لا شك في ذلك اذاً فليظهر الرؤساء والزعماء ولكن بعنوان جديد وبوجه جديد

ولتعش الجامعة العربية ، حتى آخر لاجيء فلسطيني في بلاد العرب...

ومن يدري ؟ ولعلها تعيش أيضاً بعد موت اللاجئين ، لتوجد اندلساً ثالثة ورابعة وهكذا

في مثل هذه الاحزان ، قضيت الطريق الى نابلس ، وكتبت قصة فلسطين بسرعة وسرعة فائقة ، ربطاً للحوادث ، وتتميماً للموضوع ولوصل الحاضر بالغابر

في نابلس ...

وبلغنا نابلس ، مع عصر يوم (١٧ / ٨ / ٤٨) واخذ يتوافد علينا الناس ، فجاءت اللجنة القومية ، ورئيس البلدية ، وبعض الوجوه والذوات وتحدثنا عن حالة اللاجئين فعلمنا ان عدد اللاجئين في نابلس وقضائها ، يتراوح بين خمسة وثلاثين الفاً ، الى خمسة واربعين الفاً منهم سبعة عشر الفاً داخل المدينة يأخذون بعض المخصصات ، ففي كل يومين او ثلاثة يأخذ اللاجيء رغيفاً واحداً ، وفي كل عشرة ايام او اكثر ، ينال اللاجيء نصف جنيه فلسطيني

زيارة اماكن اللاجئين ...

وفي مساء ذلك اليوم توجهنا لزيارة اللاجئين في اماكنهم ، فدخلنا اولاً مدرسة يقال لها (المدرسة الغزالية) فاذا اللاجئون فيها ، بشكل مرعب مزعج ، وبحالة محزنة جداً

المدرسة كأنها زريبة حيوانات ، فيها ما لا يقل عن الف وخمسمائة لاجىء ، في حين انها لا تتسع لخمسمائة على اكثر تقدير

ولكنهم ويا للأسف ، جمعوا هكذا جمعاً ، وحشروا حشراً ، وهم عبارة عن اكوام من اللحم ، لا اكثر ولا اقل

وترى اللاجئين في المدرسة المذكورة ، سكارى وما هم بسكارى ، وجوههم صفراء ، وعيونهم مقلوبة ، والانحطاط العام بادٍ واضح ...

واعتقد انه لا يمضي وقت قصير الا ويفارق اكثر هؤلاء ان لم نقل كلهم الحياة الدنيا وبالطبع غير آسفين بل راضين مطمئنين ...

وحول المدرسة خيام من الخيش ، كأنها (اخمام للدجاج) فاكبر خيمة لا تزيد عن مقدار كيس خيش ، وعلوها لا يتجاوز المتر ، وطرفها مربوط بالحائط بمسمار ، والطرف الآخر مربوط في الارض ، ويدخل اليها اللاجىء زحفاً على بطنه كما يدخل الحيوان سواء بسواء ...

وقد هال هذا المنظر اعضاء الوفد السوري الكريم ، فاقشعرت جلودهم من هذه المزعجات ، وخرجوا وهم لا يتمالكون انفسهم ، ولا يملكون اعصابهم فانطلقت السنتهم باللوم والأسى والاستهجان ، كما انطلقت عيونهم بالدمع المتواصل

وادي التفاح ...

ثم خرجنا من المدرسة المذكورة ، قاصدين مكاناً يدعى وادي التفاح.

وقد كان يدعى بوادي التفاح ، قبل ان يحل فيه اللاجئون ، اما الآن فهو حقيق بأن يدعى بوادي الاحزان والنواح اي وربك وادي الاحزان والنواح ، قصدنا هذا الوادي لرؤية اللاجئين هناك ، فاذا هم منتشرون كالجـراد ، لا يعرف اولهم من آخرهم ، والناظر اليهم وإلى اماكن سكناهم ، لا يصدق انه يعيش في القرن العشرين ، عصر النور والفنون ، والحضارة ، نعم هو كذلك ولكنه عصر بريطانيا ايضاً صاحبة الظلم والظلام وام اليهود والصهيونية

والناظر اليهم ، ينتقل فجأة الى قرون ما قبل التاريخ ، حيث كان الانسان الاول يعيش في الغابات ، ويسكن الكهوف والمغارات ، وحيث كان لا يضع على جسمه لباساً او ثياباً ، وانما يضع شيئـاً يستر بعض العورة

هكذا تماماً يعيش اللاجئون في وادي التفاح ، الواقع في طرف مدينة نابلس حيث يسكنون المغر ويعيشون تحت الشجر بحالة محزنة حقاً .

الموتى من الجوع

وبلغنا ونحن في نابلس ، ان امرأة ماتت ، وبعـد اجراء الفحص الطبي عليها تبين ان سبب موتها الجوع . وبسبب الجوع ايضاً بلغنـا ان اربعة من الرجال ماتوا أيضاً

جهود أهالي نابلس

وعلمنا ان كثيراً من كرام اهالي نابلس ، قاموا بمجهودات عظيمة ، فضموا اليهم كثيراً من الاسر المنكوبة واخذ بعضهم لا يجلس الى مائدة طعامه ، حتى يجمع حوله عدداً من اللاجئين

ونستطيـع ان نقول ان اهل نابلس انفسهم في عداد اللاجئين ، لأن

موارد عيشهم قد سدت امامهم ، ولأن اكثر اغنيائهم كانوا ملاكين ، وكانت لهم العمارات والبيارات والمصالح والتجارات ، في حيفا ويافا ، وكل ذلك قد ضاع عليهم ، واصبحوا بين عشية وضحاها في عداد اللاجئين ، ولو كانوا في بلدهم او في بيوتهم

وكذلك كان اكثر شبابهم موظفين في خارج نابلس ، كل هذه الاسباب جعلت البؤس عاماً في البلدة ، وجعلت حالة اللاجئين مزرية مخزية كما وصفنا

وزيادة على ذلك فإن اللاجئين في نابلس ، الى تاريخ قدومنا اليها ، لم تقدم اليهم اية اعانات ولا مساعدات ، لا من جامعة الدول العربية ، ولا من اية مملكة عربية اخرى

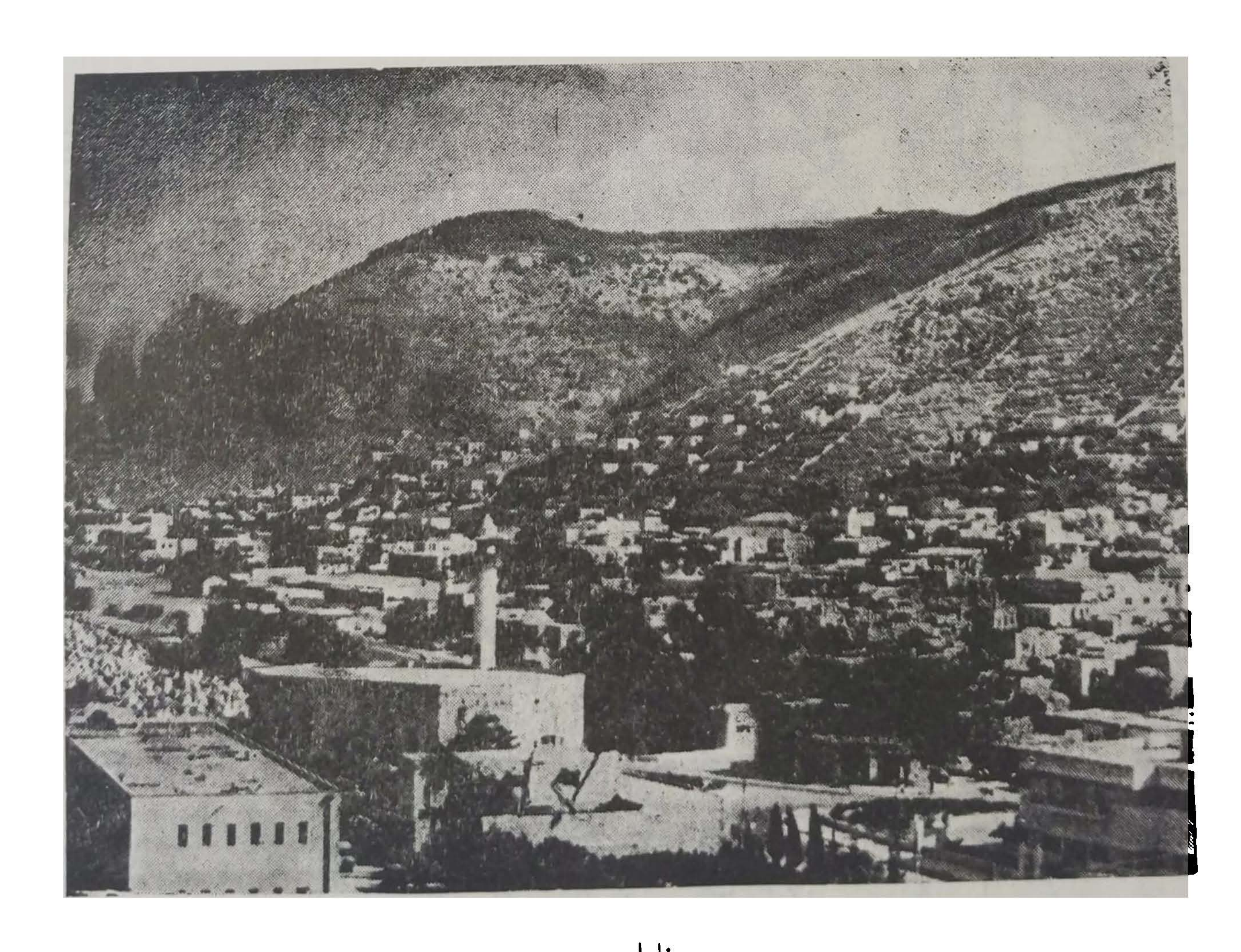
زيارة النوادي والهيئات

وقد رأينا من واجبنا ازاء هذه الحالة ، ان نجتمع بالشباب ، وببعض المسؤولين ، للمذاكرة معهم في هذه الوضعية الشاذة

وبالفعل فقد زرنا النادي الرياضي ، ثم النادي العربي ، ثم جماعة الاخوان المسلمين ، في ساعة متأخرة من الليل ، وفي كل من هذه الاماكن الثلاثة ، اثرنا قضية اللاجئين ، وما يعانونه من البؤس ، والفاقة والعوز ، والضنك

شر ليلة !

وقد رجعنا الى (النزل) وبتنا شر ليلة عرفناها في حياتنا ، اذ لا تزال اشباح الموتى ماثلة امام اعيننا ، ولا يزال صراخهم ، وانينهم ، وعويلهم ، يرنُّ ويدوّي في آذاننا



نابلس

بينما كانت الحرب قائمة بين اليهود والعراقيين في جنين كانت الطائرات اليهودية تغير على مدينة نابلس لتمنع زحف النجدات منها الى ساحة القتال

وعجبنا كيف ينام القوم ، وامامهم هذه المناظر المقلقة ، وكيف يهنأ الآكل إذا أكل ، أو يجد لذة في حياته .

ولكن الظاهر ان تكرار هذه المناظر ، والاعتياد على هذه المآسي جعلها عادية او كالعادية

* * *

وهكذا صار اهل فلسطين

لقد تغير كل شيء فيهم حتى اصبحوا غير القوم الذين كنا نعرفهم .

اين تلك الهمم والعزائم ؟ اين ذلك الكرم الحاتمي المفرط ؟

اين تلك العواطف ؟ اين تلك القلوب الرقيقة ؟ اين تلك الوجوه النضرة والأكف الندية السخية ؟ كل ذلك كأن لم يكن

إنا لله وإنا اليه راجعون

وصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

في نابلس أيضاً

نشرات ، وتقارير

الشيوعيون وبيان النوادي :

وقد علمنا ان جماعة تدعى (عصبة التحرير) ينتسبون إلى الشيوعية ، اندسوا بين طبقات الامة في نابلس ، وأذاعوا عليهم نشرة يطلبون فيها من اهل فلسطين ، ان يطردوا الجيوش العربية ، ويتفقوا مع إسرائيل !! مما دعا الجمعيات والنوادي ، لأن يصدروا بياناً يستنكرون فيه مثل هذه الدعوة الغريبة بل واللئيمة ، وها نحن نورد البيان بنصه

أيها المواطنون ، أيها المسلمون ، أيها العرب

في هذه المحنة ، التي يبتلى بها إيمان الأمة ، وتمسكها بحقوقها ، التي جاهدت لاجلها ثلاثين عاماً في ، هذه الفترة ، التي يقف بها جند الحق وجند الباطل متقابلين ، يتحفز كل منها لساعة الفصل ، ويحشد لاجلها كل ما يملك من قوة واستعداد ، في هذا الموقف العصيب ، يندس في صفوفنا أفراد ينتسبون الينا ، وهم في الواقع صنائع العدو ، وقد عملوا لحسابه في امهات المدن والقرى ، التي سقطت رخيصة بيد العدو ، وكانوا أداة أثيمة للفظائع والفواجع ، التي مثلت على مسرح البلاد ، هؤلاء هم « الشيوعيون » الذين تجرأوا في نابلس أخيراً على توزيع

نشرتهم الحقـيرة بتوقيـع (عصبة التحرر) يدعوننا فيها لطرد الجيوش العربية ، والتسليم الى اعدائنا اللئام

لقد ساء فألهم ، فان هذا البلد العربي المسلم ، ليهزأ بهذه الالعوبة المخزية ، ويعلم حق العلم ، ان هؤلاء لأعجز من ان يؤثروا على احد ، وإن الجيش العراقي الباسل ، إنما يحل في بلده وبين أهله ، وانه سيسير ونحن معه الى الظفر والنصر ، فيحقق لفلسطين حريتها ، واستقلالهـــا باذن الله

وان اتحاد النوادي والجمعيات بنابلس ، يستنكرون هـــذه النشرة القذرة ويرجون من السلطات المسؤولة ، الضرب على أيدي هذه الفئـــة المجرمة ، وقطع دابرها ، كما يطلب من جميع المواطنين ، ان يساعدوا على تطهير البلاد من هذه الجراثيم ، وأن لا يغتروا بنصائحهم المسمومة ، وتظاهرهم بالوطنية ، فهؤلاء هم الذين أخبرنا عنهم القرآن الكريم بقوله « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه ، وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد »

نابلس ٩ شوال سنة ١٣٦٧ و ١٩٤٨/٨/١٤
اتحاد النوادي والجمعيات بنابلس

اللاجئون في نابلس

وقد جمعت نابلس من أصناف اللاجئين وأنواعهم ، ما يصح أن يقال معه [مما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر]

وكان لا بد لنا من أن نجتمع مع كل فريق ، وان نستمع الى كل شاك وباك وقد سمعنا من اهل حيفا ، والطنطورة ، واللد ، والرملة، ويافا ، وعكا ، مما لو أردنا كتابته لبلغ المجلدات ..

لجنة لاجئي حيفا

وهناك جمهرة كبيرة ممن كانوا يسكنون حيفـا ، نزحوا الى نابلس وأصبحوا لاجئين فيها ، على رغم ان كثيراً منهم كانوا من اهـل نابلس الأصليين ، ولكنهم الآن اصبحوا لاجئين

وهذا أمر طبيعي ، لأنهم قد فقدوا بضياع حيفا كل ثرواتهم ، وما حصلوه في حياتهم ، وأضاعوا كذلك كما أضاع اهـــل فلسطين آمالهم ومستقبلهم

فتألفت من هؤلاء لجنة ، للنظر في أحوال لاجئي حيفـــا ، اسوة بباقي اللاجئين ، الذين اسسوا لجنة من كل بلد

ومن مجموع هؤلاء جميعاً تتألف لجنة عامة

تقرير رقم (١)

وقـد قدم الينا السيد عادل الجردانه امين سر اللجنة ، تقريراً عن حالة لاجئي حيفا وها نحن نورد بعضه باقتضاب

باسم لجنة النازحين عن حيفا وقضائها ، في مدينة نابلس ، نرفـع تقريرنا هذا لنعلمكم به عن حالة النازحين العامـــة ، في مدينة نابلس وقضائها

وهؤلاء النازحون في حالة بؤسٍ وشقاء شديدين ، ونأمل منكم ان ترفعوا الى الحكومة السورية هذا التقرير

والحالة تتلخص فيما يلي

١ — عدد النازحين واللاجئين (من سكان حيفا) في مدينة نابلس يقـدر عددهم بأربعة آلاف لاجىء ، وهم غير النازحين الموجودين في قضاء نابلس .

٢ – سكن اللاجئين ، من أسوأ ما يوصف ، وأحط ما يتصور ، وان أكثر النازحين يسكنون تحت الأشجار ، وفي الحقول ، والمغر ، وفي الجبال ، والبيوت ، غير الصالحة للسكن

وذلك ناشىء عن كثرة النازحين ، وعن عدم وجود البيوت لاسكانهم ، ولأن المدينة مكتظة باللاجئين ، من القرى والمدن الفلسطينية

وقد سكن بعض اللاجئين بيوتاً صالحة ، غير ان ذلك باجرة باهظة ومن غير الممكن ان يثابروا على دفع اجرتها لعدم توفر المال لديهم .

٣ – الحالة الصحية العامة من أسوأ الحالات ، لعدم وجود العلاجات والعقاقير الكافية لانقاذهم من الأمراض ، التي اذا انتشرت ستقضي على الأكثرية الساحقة منهم

٤ - ومسألة الكساء هي أهم ما يعول عليه ومعظم النازحين من حيفا وقضائها ، لم يتمكنوا من احضار ما يحتاجون اليه من الملابس الشتوية ، لتقيهم شر هذا البرد الشديد الذي لم يتعودوا عليه في بلادهم الساحلية

٥ -- الاعانات مفقودة فليس هناك مال لتقديمه الى المحتاجين ، ولم تصل الينا أية مساعدات من أية هيئة من الهيئات الداخلية والخارجية .

٦ – وبعد اتصالات ومحادثات أمكننا ان نوزع خمسة قروش فقط على كل لاجىء وهذه الاعانة هي كل ما أصاب اللاجئين منذ ان حلت الكارثة الى الآن

٧ – لذلك نرجو فتح أبواب الهجرة الى الأقطار العربية الشقيقة ليندمج اللاجئون في تلك البلاد الى أن تنتهي المشكلة الفلسطينية

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

* * *

تقرير رقم (٢) :

وقدم بعض المتعلمين من اللاجئين هذا التقرير نسجله فيما يلي

كثيرون هم الذين يتحسسون في المصيبة قبل وقوعها ، وكثير ما يصرخون لتدارك الأمر قبل فوات الفرصة ، فلا تستمع لتلك الحناجر آذان ، ثم يحدث الحدث الضخم الذي يقف الناس له متأملين فاحصين ، وعند ذلك فقط يذكرون تلك الصرخات التي ذهبت أدراج الرياح وما كارثة فلسطين وما حلَّ بأهلها الا مثلاً حيا وشاهداً قائماً خالداً لكل ذي عينين ، فكم تحدث الناس عن خطر الصهيونية ؟ والعربُ شعوباً وحكومات لاهون نائمون ، لو عملوا قليلاً لوفروا كثيراً من الدماء وكثيراً من الاموال ، ولما وقفنا هذه المواقف المزرية التي لم ولن يسطر التاريخ لها مثيلاً

أما حدث اليوم فهو مشكلة اللاجئين ، فلقد كثرت الاخبار عما يقاسي هؤلاء من بؤس وشقاء ، وجوع وعناء ، وفقر وعراء ، ولقد زرتهم في مختلف الأرجاء ، وما أنا إلا واحد منهم أعاني ما يعانون ، وأشكو ما يشكون ، وأطالع كما يطالعون ، من آراء ومقترحات ، وأسمع كما يسمعون عن تنظيم وترتيب ، لم تخرج كلها عن حيز القول ، بينما أخذت الامراض الاجتماعية تفتك باللاجئين فتكاً ذريعاً ، وسوف لا تقتصر تلك الظواهر الطبيعية لحالة العوز على اهلها من اللاجئين ، بل ستعم حتماً العالم العربي وتنذره بشر مستطير

ولست اقصد بتقريري هذا إيقاف الرأي العام والخاص ، على حالة اللاجئين ، لاحرك العطف والشفقة ، ولا لأثير بواعث الرحمة والانسانية



من ضحايا الغدر اليهودي – وقد ذكرنا كيف كانوا يمثلون بالقتلى ، ويحرقون الأحياء وكيف كانوا يقطعون الأطفال ، ويبقرون بطون النساء ..

في الناس ، بل لأعالج الموضوع من ناحية خطره الاجتماعي فأبين الخطر الداهم وأصف العلاج الناجع ، ليصل الى أولي الأمر ، لعلهم يتداركون الموقف رحمة بالبلاد والعباد

أحوال اللاجئين اليوم – اللاجئون ثلاث طبقات

أ – طبقة المترفين – وهؤلاء على نوعين الأثرياء والخاصة

١ – الأثرياء – ولست بموقف أتعرض فيه لاسباب الثروة ، أكان مما أنعم الله او عن طريق الاتجار بتراث الآباء ودماء الابناء ؟ فلقد نجوا بأموالهم الى الأقطار العربية ، يسكنون القصور . وهم في ربوع لبنان ، وحواضر البلاد العربية ، يعيشون لأنفسهم ، لاخير فيهم ولا منهم ، فلقد اوصدوا أبوابهم الحديدية ، دون أهل الفاقة والعوز ، من أهلهم وذويهم ، وكأنهم يرقصون ثملين ، يشربون الخمر بطاسات الجماجم ، فوق جثث الشهداء

ب – الخاصة – وهم حواشي الزعماء والرؤساء ، رزقهم بحجة فلسطين ، وأغدق عليهم بسبب ذويهم يختصون برحمتهم من يشاؤون من اقاربهم وأنسبائهم وأتباعهم ، هانئين ناعمين ، لاهمَّ لهم ولا عمل ، إلا التنقل من بلد لآخر ، ومن صحيفة لأخرى يحدثون عن فضائل اوليائهم ، وصدق جهادهم ، ويعالجون البؤساء بالمسكنات والمخدرات ، يسكنون بها آلاماً كاوية ، ويضمدون جروحاً ملتهبة

٢ – طبقة الضيافة الاجبارية – فريق من اللاجئين وفد للاقطار العربية فزجوا في معسكرات اللاجئين ، بدوافع انسانية رحيمة ، ولأسباب سياسية واجتماعية حكيمة في اصلها ، ولكن حالهم وما هم عليه في حلب وضواحي دار المعلمين ، وفي الكرنتينا ، في سوريا وفي القرعون ، والمية ومية ، من لبنان ، وفي جبل عمان ، من شرقي الأردن . وفي

العباسية والقنطرة من مصر ، وفي مختلف الجهات في فلسطين ، حالة تدعو الى التحقيق والتدقيق والعدل والانصاف ومعظمهم في معظم هذه المواقع يشكون الجوع والعراء ، يشكون المرض وسوء الحالة الصحية ، يشكون فساد المجتمع وتدهور الأخلاق ، يشكون سوء المعاملة والأهانة والاحتقار ، يشكون ويشكون لكن ليس لهم من مساعد او نصير إلا الله

٣ – طبقة اللاجئين الأحرار – أقاموا في الاقطار العربية على نفقتهم الخاصة . وكان لديهم بعض المال وكانوا يأملون انفراج الأزمة ، وانتهاء القتال في وقت قصير ، فيعودون الى أوطانهم ولكن القدر خانهم فطالت المدة ونفدت أموالهم ، ولم يبق في جيوبهم شيء ، ولا ينتظرون من أملاكهم واعمالهم وتجارتهم أي شيء ، حتى ان ما لديهم من أموال موفورة في البنوك قد حجزت عنهم ، ومنعوا من مزاولة الأعمال في بعض البلاد العربية ، وباتوا وعائلاتهم يشكون الفقر والفاقه ، وما زال الاخصائيون يبحثون ويقررون وحتى اليوم لم يباشروا في تسجيل هؤلاء ، وهي الخطوة الابتدائية التي تدل على نوايا اسعافهم والعناية بهم

الاخطار الاجتماعية التي تؤدي اليها حالة اللاجئين

لا أريد أن أذهب مذهب التصور والتخيل ، في التكهن والتنبؤ ، ولكن هي نتائج واقعية ، أخذت تدب دبيبها وعلى كل منها لدي شواهد وأمثلة جرت وستجري باطراد ما دام الحال على ما هو عليه

١ – تدهور الحالة الأخلاقية – عائلات مصونة محترمة فقدت أسباب الرزق ، وقلّت حيلتها ، فخرجت عن عرضها ، وانتهز بعض ذوي الضمائر الميتة فقرها ، فأخذوا يراودونها لاشباع شهواتهم وملاذهم ...

٢ - انتشار الشيوعية – المبدأ الشيوعي بظاهره جذاب ، وقد يجد

فيه الفقير والضعيف حاجته على أقل تقدير ، لاشباع نقمة نفسه من القذع والقذف ، والكيد والتآمر على الأثرياء ، لاسيا وان بين اللاجئين انتشر بعض دعاة هذا المبدأ ، فأخـذوا يهمسون في الآذان ، ويدعون ضد الحكومات والأغنيـاء ودعوتهم رغم كل مقاومة سلبية تصادف بعض النجاح ، لدى تلك النفوس المكبوتة ، التي أخـذت تجد لها مبرراً من اهمال المجتمع العربي لهم للخروج عن تقاليد العـرب ومبادئهم وآدابهم وعقائدهم ، إلى مبادىء الكفر والالحـاد الشيوعي والى مبادىء الفوضى والهدم البلشفية

٣ ـ الدعوة الى الخروج على الامـة العربية ـ عدد ليس بقليل من العرب بقي في المناطق المحتلة من قبل اليهود واليهود انفسهم بواسطة دعاتهم من عرب وأجانب ، وبواسطة اذاعاتهم العديدة ، يدعون اللاجئين من العرب الى العودة لديارهم ، ليتعاونوا مع اليهـود تحت ظلال الراية اليهودية والدولة الصهيونية ، ولقد زينت هذه الدعوة للكثيرين أنها صادقة بريئة ، فعادوا أدراجهم ، وها هم يعودون ، وان بقي الحال على هذا المنوال فستكون عواقبها وخيمة

٤ ـ انتقال الأراضي العربيـة بفلسطين للصهيونيين ـ كثيرون هم اللاجئون ، الذين يملكون مساحات وافرة في فلسطين ، والذين هم اليوم يقاسون الذل والتشرد والفقر ، ولم يجدوا أمامهم الا بعض اعوان اليهود الذين أخذوا يعقدون صفقات بيوع الأراضي بموجب عقود عادية في الأقطار العربية !! باسم أحد من العرب الذين يعملون لليهود وبدوره يحول هذه العقود الى الصهيونيين

٥ ـ انتشار الجرائم ـ كثير من الناس ليست الأجرام من طبائعهم الموروثة . ولكن كثيرين منهم في نفوسهم استعداد لارتـكاب الجرائم عندما تضعف نفوسهم ، وينفد صبرهم ، وتغلق ابواب الرزق في وجوههم ،

ويضطرون للمحافظة على البقاء ، فليجأون إلى السرقة والنصب ، والتزييف والخداع ، وما شاكله من جلب المنافع والاحتيال للحصول على الأموال . ألا ان اخطر انواع الاجـرام السياسية الكبرى ، التي قد تؤدي بذوي الثقافة والكرم والحسب والنسب ، لأن يرتكبوا أعمالا جنونية تنقذهم مما هم فيه من ألم نفسي ، وضيق مادي ، فيفكرون بالعوامل والدوافع ، والأسباب ، التي أدت إلى هذه الكارثة ، والتي حلت دون ما عطف ، وستحل عليهم وعلى عائلاتهم فيجدون المسوغ والمبرر ، لاقـتراف ابشع الجرائم ، في الاعتداء على بعض الشخصيات العربيـــة البارزة ، انتقاماً لانفسهم وابتغاء انصاف امثالهم من المنكوبين ، الذين يقضون ضحية للإهمال والحرمان

٦ – التوقف عن النضال الشعبي – لقد أدى الضغط السياسي ، على الدول العربية ، لتوقيف عمليات الجيوش الحربية ، وبذلك بات اليهود بديارهم ، وديار العـرب ، التي احتلوها بأمن ، لا يعكر صفوهم ، ولا يقضُ مضاجعهم الا العصابات الشعبية ، التي تهـاجم مراكزهم من حين لاخر ، ومن الخطأ الفادح الفاضح ان نعزو ماحل بفلسطين الى قوة اليهود العسكرية ، وكثرة الاسلحة وعلو الروح المعنوية اذ هنالك عوامل عديدة أوصلتهم الى ماهم عليه ، منها الموقف الدولي ، وموقف الحكومات العربية ، وفوضى صفوف المناضلين ، وقلة ما لديهم من سلاح وعتاد ، ولكن الأمل ما زال قوياً بتفوق العرب ، واسترداد بيوتهم ، وديارهم ، وكرامتهم ، اذا ما وحدوا صفوفهم ، ونظموا جموعهم ، واعتمدوا على ابناء البلاد ، الذين يمتازون عن غيرهم بمعرفة العدو ، ومواقع البلاد ، وما في نفوسهم من دوافع الغيظ ، والنقمة ، على الذين هدمـــوا ديارهم ، واستباحوا اعراضهم ، وقتلوا ابناءهم ، وشتتوا جمعهم ، وارتكبوا افظع المنكرات بهم ، وأبشع الأجرام . ولا سبيل لعودة ابناء البلاد الى النضال المنظم الموفق ، إلا اذا أمنت عائلاتهم . والذي نخشاه ، بقاء حالة التشرد على

ما هي عليه ، فتتحول قضية البلاد العامة الى (قضية لاجئين) وهذا ما يبتغيه العدو فان تحقق هذا الحلم نكون خسرنا بلاداً عزيزة وشعباً مناضلا

٧ – كيف يتم تنظيم شؤون اللاجئين – يعجب المرء لهذا الجمود والقعود ولهذه البلبلة والفوضى ويضيق الانسان بكثرة ما يسمع من تصاريح واقوال ويقرأ من اخبار عن هيئات وجماعات ومن شخصيات تعمل في سبيل اللاجئين . واللاجئون ينتقلون من سيء إلى اسوأ على مرأى من الجميع ، ومسمع من اولي الأمر ، حتى بتنا نشك بوجود أي نية خالصة صافية ، تعمل لوجه الله ، في سبيل الحق ، وفي سبيل الانسانية المعذبة .

ستمائة الف لاجىء في محيط عربي زاخر ، يربو على ستين مليوناً ... ممالك وحكومات تعجز عن انقاذ ضحايا هذه الكارثة

لو أرادت الهيئات ان تعمل ، ولو صدقت النيات لسخرت ارادتنا قوى الحكومات

أما العلاج الحالي المقدم ، فهو ليس الا مخدراً لا يجتث مواطن الألم ، وما هو إلا طلسما لا يسمن ولا يغني من جوع ، وما هو إلا ضجيجاً وعجيجاً ملأ الفضاء على غير جدوى

لقد حلت في الشعوب كوارث عدة من هذا القبيل منها – اليونان والبولونيون ، واليوغوسلافيون ، وغيرهم – فقام العالم حكومات وشعوباً بمساعدتهم ، وما زال الكثيرون منهم حتى اليوم في الاقطار العربية ، وهم أحسن حالاً وأهنأ بالا من اللاجئين العرب من ابناء فلسطين .

واني أرفع لأولي الأمر ، بعض المقترحات التي تساعد العاملين في تأمين راحة اللاجئين ، وتنظيم حياتهم وانقاذهم من الأخطار

١ – إحصاء جميع اللاجئين في مختلف الأقطار ، وتنظيم كشوف

باسمائهم وعدد افـــراد عائلاتهم مع التفاصيل الكافية ، التي تقتضيها ظروف الحال

٢ – تقديم المساعدة لعموم اللاجئين ، إلا الطبقة الأولى ممن اسلفنا ذكرهم فهم في غنى عن هذه المساعدات

٣ – تعيين مخصصات شهرية للاجئين ، للفرد مثلاً خمس جنيـهات شهرياً إن كان متزوجاً وإن كان لديه اولاد فجنيهان لكل ولد مهما بلغ عددهم وقد تـُقدّم لهم بعض المؤن ، مقابل رواتبهم الشهرية كلها او بعضها وبذلك نأمن ان يصل لكل إنسان حقه غير منقوص

٤ – تأمين المدارس للاجئين جميعاً مجاناً ، كل على حسب استحقاقه .

٥ – السماح للاجئين من القادرين على العمل ان يعملوا ومن كان يعمل ، تقطع عنه المخصصات الشهرية ، وتضـــاف حصته الى الباقين من اللاجئين

٦ – إرغام البنوك لدفع امــوال اللاجئين المودعة لديهم ، وكثيرون هم الذين يملكون ألوف الجنيهات ، مودعة في البنوك ، وهم بحاجة الى بعض القروش ، لا يجدونها فيقضون جوعاً . وهذه البنوك إما ان تكون اجنبية ولديها فروع في مختلف الاقطـار العربية ، فيمكن ارغام هذه البنوك او الفروع على دفع أموال الناس او ان تكون عربية امثـال البنك العربي وبنك الامة العربية اما البنك العربي فشعر بواجبه تجاه مواطنيه وزبائنه ، فدفع لهم ما يريدون

٧ – تقديم المساعدات الطبية لهم مجـــاناً ، بواسطة المستشفيات والعيادات الحكومية

٨ – استخدام عدد وافر منهم في تنظيم شؤونهم عوضاً عن الموظفين المحليين فيمكن لهؤلاء المستخدمين ان يعيشوا من الرواتب التي خصصت

لغيرهم في دائرة وجدت لوجودهم ، او أن يعملوا مجاناً في سبيل المصلحة لقلة المخصصات التي ستخصص لأمثـالهم من اللاجئين هذا لا سيما وان من بينهم كثيراً من المتعلمين وأصحاب الثقافة العالية من المحامين والاطباء ورجال التجارة والمال وكبار الموظفين إلخ

٩ – إطلاق سراح جميع اللاجئين الموجودين في معسكرات اللاجئين ، باستثناء الأشخـاص المشبوهين ، والمشكوك في سلوكهم ، اذ لا تبقى فائدة لحشرهم اذا امنت مصالحهم كغيرهم

١٠ – ايجاد لجان خاصة ، ووضع تشاريع محلية ، لتحديد الاستغلال ، اذ ان كثرتهم في مختلف الاقطار ، بالنظر الى أزمة الاسكان لقلة بيوت السكن دعت الكثيرين من الملاكين اصحاب الاستغـلال ان يحصلوا على اجور فاحشة لا تتناسب مع وضع حالة هؤلاء

١١ – اعطاء قروض لأصحاب الأملاك المحتاجين لآجال طويلة مقابل كفالة أموالهم

هذه خلاصة عن الكارثة التي حلّت بالفلسطينيين وعن الاخطار التي تهدد اللاجئين منهم ، وبعض الاقتراحات ، لتوفـير سبل الراحة لهم

ومبلغ النفقات الواجبة لانقاذ هؤلاء ، على فرض ان متوسط مـا يحتاجه الفرد أربع جنيهات ، وعلى تقدير ان عدد اللاجئين ستمائة ألف ، مبلغ لا يزيد على مليون ونصف من الجنيهات شهرياً ومهما ظهر هذا المبلغ ضخماً لأول وهلة الا انه لدى الحكومات العربية ، ذات السيادة ، وسائل خاصة تجعله يسيراً ، ففي بلادها سبل عدة لتحصيل هذه الأموال ، وتوزيعها على ابناء العروبة في مختلف اقطارهم ، فيساهمون بدفعهـا من حيث لا يشعرون ، ولكن الامر يعود للنية والارادة في العمل ، وهذه

النكبة الفلسطينية نكبة عامة للامم العربية جمعاء ، والله اسأله ان يجعل تصرف أولي الامر منا منوطاً بالمصلحة فان صلح الراعي صلحت الرعية .

* * *

لقد آثرنا تسجيل هذه البيانات والنشرات ليطلع القارى على وجهات من النظر مختلفة وليرى ما فعلت النكبة ، وكيف بلبلت الأفكار ، وزلزلت القلوب ، وأسالت الدماء ، وما هو اكرم من الدماء .

* * *

الفصل الثـــاني عشر

الفواجـع
مآسي حيفا، وقضائهـــا

ماذا في الطنطورة ؟

وفي هذا الجو القاتم، كنا نجتمع مع اللاجئين لنستمع لهم، ونترى مما عندهم من الاخبار

وقد حدثنا السيد [عقاب اليحيى] من وجهـــاء الطنطورة ؛ ومن اللاجئين بنابلس قال على اثر سقوط حيفا شدّد اليهود الحصـار على الطنطورة، وأخذوا يمطرونها بوابل الرصاص والقنابل الثقيلة والخفيفة، وأخذوا يهاجمون القرية بالليل والنهار، بقوى كبيرة وعلى الرغم من ضعف القوة عندنا فان الشباب قد استماتوا في سبيل الدفاع عن قريتهم، واستمرت مقاومتهم حتى آخر رصاصة عندهم، وأصبحت القرية مطوقة من جميع الجهات، وأخيراً دخل اليهود وأخذوا يجمعون الشباب في جهة والنساء في جهة

ثم كانت العملية الثانية ان اختاروا خيار الشباب الأشداء، وأطلقوا عليهم النار، برشاشٍ دفعة واحدة. وكان ذلك ليلة (٢٣) أيار (١٩٤٨).

ثم كانت العملية الثالثة ان استاقوا ما بقي من رجـال ونساء القرية إلى المعتقلات حول [زمارين].



شباب العرب معرضون لخطر الاعتقال حيثما ولوا وجوههم

اذا نجوا من اذى رجال السلطة والجنود البريطانيين فانهم لا ينجون من شر اعدائهم الاصليين وهم اليهود وانك لترى في الصورة العليا شاباً عربياً يقوده جنديان بريطانيان في شارع من شوارع القدس .



ثلاثة من اليهود يقودون عربيـاً ، احدهم وهو بثيـاب مدنية من رجال الهاغانا ، والاثنان الاخران من رجال البوليس اليهودي

وهناك أذاقوا الاسرى من ألوان العذاب ما هدتهم اليه مروءاتهم ودل عليه حقدهم ولؤمهم ..

ولكن اليهود كانوا الى ذلك الوقت غير مصدقين بأنهم قد صار لهم دولة ، وغير مصدقين بهذا الحلم الجميل

إنهم كانوا غير مصدقين بأن دولتهم ستتحقق بهذه السهولة ، او سوف تبنى بهذه السرعة

ولقد ظنوا ان ما يرونه من جلاء العرب ، ونزوحهم عن بلادهم ، ان هو إلا لخطة مرسومة ، سيكون من ورائها انقضاض العرب عليهم انقضاضاً كالصاعقة

وقد خشوا أيضاً الهجوم السريع الذي ستقوم به جيوش الدول العربية

لهذا كله اخذوا يحسبون حساب المستقبل ، واخذوا يتقربون الى بعض رجال العرب من الاسرى عندهم ، واخذوا يضعون عندهم يداً رجاء ان تنفعهم اذا اطبقت الجيوش العربية عليهم

ولهذا بادروا باطلاق سراح بعض الأسرى ، وتسليمهم لهيئة الصليب الاحمر ، فكان من هؤلاء راوي هذه القصة السيد عقاب اليحيى ...

وأضاف قائلا أنه عندما أراد اليهود اطلاق سراحنا جاءوا بنا الى (اللجون) وهناك رأينا بقايا نيران وامتعة ملقاة ، فسألنا عن ذلك فأخبرنا ان اليهود قد أتوا بمن تبقى من شيوخ وعجزة من رجال ونساء (الطيرة) وجمعوهم ثم وضعوا عليهم (البانزين) وحرقوهم على مسمع ومرأى من الجيوش العربية المرابطة هناك

سقوط الطيرة

وقد سمعنا ونحن في نابلس عن تلك البسالة الخـالدة التي سجلها اهل الطيرة في الدفاع عن بلدتهم

ولقد ذاق اليهود من اهل الطيرة الأمرّين ، ولقد حاولوا التفـاوض معهم فلم يفلحوا ، ولذا أخذ اليهود يقذفونها بالحمم من مدافع (اخوذا) التي تقع فوق الطيرة مباشرة ، فلم يبال اهل القرية بذلك فصمدوا

وأرسلوا رسلهم الى الجيوش العربية لتسعفهم ، وانتظروا طويـلاً وطويلاً . واخذ اليهود يقذفونهم من الطائرات ، فأصبحوا بـين اربعة نيران السماء تمطرهم والجبال والسهل والبحر .

ومع هذا كله فقد صمدوا وصمدوا

وكانت دار الاذاعة في القدس كل يوم تتحدث عن بطولاتهم وكان المجاهدون في الطيرة يظنون ان المدد سيأتيهم

ولكن طال انتظـارهم على غير جدوى ، حتى فنيت ذخـيرتهم واصبحت بنادقهم كالعصي في ايديهم

ولا تسأل عن مئات الشباب ، كيف قتـلوا من غير ان يجدوا من يواريهم . واخيراً ماذا كان ؟؟.

وكان ما لا بد منه ، تركوا البلدة وهاموا على وجوههم ، ودخـل اليهود وحرقوا الرجال والعجز ، وقتلوا النسـاء ، ومزقوا الاطفـال . ودامت هذه المقاومة ستين يوماً

جبع . اجزم . عين غزال

وفي نابلس التف حولنا شباب من اهل هذه القرى الباسلة حقاً ، والتي فعلت ما عجزت عنه الدول العربية السبع مجتمعة ، فقد قاوموا اليهود شهرين متتاليين ، على رغم ان اليهود قد أحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم ، وكانت اغلبية مدن فلسطين بعد حيفا ساقطة بيد اليهود على التوالي

وكان اليهود يضربون هذه القرى الثلاث من الجبال والبر والبحر ، واستمروا في قتالهم طيلة هذه المدة الى آخر رصاصة معهم ، وقد استغاثوا مراراً وتكراراً بالجيوش العربية ، ولكن لم يلبهم أحد ، وكانت النتيجة ان هام الناس على وجوههم طعمة للوحوش . وبقي من بقي منهم طعمة للذبح والنار

* * *

مذكـــرات اسير

وهنا احب ان اطلع القــراء ، على شيء من معاملة اليهود بمن يقع في ايديهم من اسرى العرب ، ليعرفوا قيمــة هـــذه الدولة التي أنشئت في وسط بلاد العــرب وليعرفوا لأي شيء انشئت ؟؟ وفيما يــلي (مذكرات اسير) للسيد [مروان عقـــاب اليحيى] من الطنطورة الباسلة الشهيدة

* * *

بدأت الاضطرابات في فلسطين ، بعد إعلان قرار التقسيم ، وأخذت تشتد يوماً بعد يوم ، وكنت أسكن في مدينة (حيفا) التي تحولت إلى جحيم لايطاق بعد ان اقفرت شوارعها ، وأغلقت أبواب متاجرهـا ومدارسها ، وصار الموت يهدد كل من يخرج من بيته في النهار ، فالقناصة اليهود يطلقون النار على كل من يظهر في الحي العربي الذي يشرفون عليه من كل الجهات ، حتى إذا ما أقبل الليل اشتد إطلاق النار وملأ الجو صوت انفجار القنابل وقامت الهجمات من كل جانب تصحبها أعمـــال النسف والتدمير

وفي العشرين من نيسان سنة (١٩٤٨) اشتدت وطأة الهجوم اليهودي على الشوارع العربية في حيفا ، فسقط الواحد تلو الآخـــر ، وأصاب

لأهالي المدنيين ذعرٌ شديد من جراء أعمال العنف التي قـــام بها اليهود والانجليز فلجأ قسم من السكان العرب إلى مدينة (عكا) ولجـأ القسم الآخر الى القـرى التي ما زالت بأيدي العرب ، ولجأت مع أهـلي إلى قرية (الطنطورة) مسقط رأسي وهي تقع على شاطىء البحر ، على بعد ستة وثلاثين كيلو متراً إلى الجنوب من مدينة (حيفا)

واحتل اليهود قرية (كفرلام) التي تقع على بعد ثلاثة كيلو مترات إلى الشمال من (الطنطورة) كما احتلوا (قيسارية) التي تقع على بعـد سبعة كيلو مترات إلى الجنوب منها وإلى الشرق تقع مستعمرة (زخرون يعقوب) وبهذا أصبحت القرية محاصرة من ثلاث جهـات باليهود وفي الجهة الرابعة يقع البحر

ورفض أهل القرية الاستسلام ، وأخذوا يعززون مراكزهم للدفـاع عنها لآخر لحظة ، ومما اشعل نار الحماسة فيهم ، أنه لم يبق على شاطىء البحر من (الناقورة) حتى (يافا) بلدة عربية حرة سوى قريتهم هذه .

وفي منتصف ليلة الثالث والعشرين من أيار سنة (١٩٤٨) هاجم اليهود القرية من ثلاث جهات ، واستبسل أهلوها في الدفاع عنها ، وقام اليهود بإنزال بحري بواسطة قوارب صغيرة ، فصار الهجوم من الجهات الأربـع ، وأخذت المقاومة تضعف حتى انحصرت في الطرقات والبيوت ، وأسفر الصباح عن جثث القتلى من كلا الطرفين ملقـاة في الطرقات ، وعن الدماء وقد امتزجت بالتراب ، وعن اليهود وقد احتلوا جميع القرية

لن أنسى ذلك اليوم ما حييت فقد جمع العـــدو النساء والأطفال ، في مكان كوّمت فيه جثث القتلى من العرب لأثارة الرعب فيهم ، فهذه ترى من القتلى بعلها وتلك ترى أباها وأخرى تلمح أخاها ، فلم يجزعن ، بل زدن شموخاً وإباءً ، فقد استشهد البعل والأب والأخ في تأدية الواجب ... وجمع اليهود الأحياء من الرجال ، وأخذوا يذيقونهم

الموت جماعات ووحدانا ، فبين الفينة والأخرى تسمع النساء أصوات طلقات رشاش ، فيتساءلن عنها فيجيبهن الحارس بأنهم ينتقمون لقتلاهم ، وأنهم سيقضون على جميع من تبقى من الرجال ، وكانت طريقة الانتقام بشكل لم يسبق له مثيل في العـــالم قط ، فقد جاء أحد الضباط وأمر جنوده بانتقاء أربعين من خيرة شباب القرية ... وجيء بالأربعين إلى ساحة البلدة، وصاروا يأخذون كل أربعة معاً ، ويأمرونهم بحمل جثث القتلى والجرحى إلى المقبرة ورميهم في حفرة كبيرة هنـــاك وبعد أن يؤدوا مهمتهم يقتلون أحدهم ويأمرون الثلاثة الباقين بحمله ورميه بالحفـرة ثم يقتلون أحد الثلاثة ، ويأمرون الاثنين الآخـرين برميه في الحفرة وهكذا وكنت أنتظر دوري بجلد وصبر حتى سمعتهم يأمروننا نحن الأحيـــاء ، بركوب السيارات ، ومنذ تلك اللحظة قطعت أخبار النساء والأطفـال عنا ، وسارت القافلة إلى أن وصلت مستعمرة (زخرون يعقوب) وهناك أمرنا بالنزول ، وأخذنا إلى قبو مظلم رطب ، كأنه قبر كبير حفر لنقبر فيه ونحن أحياء

كنا ثلاثمئة رجل ، والقبو لايتسع لنا ونحن وقـــوف مها التصقنا ببعضنا وأخذ كل واحد منا يزاحم الآخـر ، ليظفر بموضع لقدميه وبقينا على هذه الحالة ثلاثة أيام كاملة لم نذق فيها شيئاً من الطعام ، وكنت أشعر بانحطاط عـــام في جسمي وبرأسي يدور ، وكنت أرى أشباحاً تزاحمني للاستيلاء على مـكاني وهياكل عظمية ملقاة فـوق بعضها على الأرض تئن من الجوع والعطش ، تدوسها الأرجل دون شفقة أو رحمة وأخيراً فتح الباب فنظرنا بلهفة اليه وإذا بشخص يقول بأننا سننتقل إلى مكان آخر ... أمرنا بالركوب بسيارات شاحنة ، فـكانوا يملأون السيارة من الاشخاص وقوفاً حتى إذا أغلقوا بابهـا ، أمروهم بالجلوس ومن يظهر رأسه فوق حافة السيارة كان الموت له بالمرصاد ولكن أنى لنا أن نجلس في مكان لايتسع لأقدامنـا ؟ من هنا أبت على الصهاينة

ديمقراطيتهم ! إلا ! إشباع الرؤوس المرفوعة ضرباً وتنكيلا ، فجرى الدم وسال وتلطخت الثياب حتى قضى الله أمراً كان مفعولا ، وسارت القافلة تحت الحراسة القوية إلى المعسكر الجديد وصلنا المعسكر الجديد وإذا هو بقايا قرية عربية محتلة هي (أم خالد) نصبت حولها الأسلاك الشائكة ، وسويت طرقها فصارت معسكراً لنا نزلنا فيه ، وقد بقيت في هذا المعسكر خمسة عشر يوماً ، حيث كانت الحياة فيه مملة فالأكل قليل ، حتى اننا قضينا الخمسة عشر يوماً بأكل نوعين فقط — البطاطا والسمك المجفف الذي تشمئز النفس من رؤيته — فكانوا يعطوننا حبة بطاطا مسلوقة صبحاً ونصف سمكة مجففة عند العشاء ... وكان العمل شاقاً ومتواصلا ... حتى ان قميصي من كثرة حمل الحجارة ، تمزق من عند الكتف فلم يأبه الصهاينة له ، ولا لي بل اهتموا بالعمل أولا — وقد استعملوا في بعض الأوقات العصي لمن يمتنع عن القيـــام بما يكلف به — وكان النوم على أرض الغرف الباردة بدون شيء حتى دون الحصير ، فبدأ الهزال في الاجسام يزيد ، وبدأت الأقذار تتراكم على أجسامنا ، حيث صارت ميداناً فسيحاً للحشرات الجلدية ، وبعد ذلك أتت أسمـاء مئة وخمسين شخصاً للنقـل الى معسكر جديد ، وكنت بينهم وتخلف شقيقاي مع الباقين ، وقد كانت صدمة شديدة لي ان انفصل عن شقيقي ، وقد زيد عليها صدمة أشد وهي اننا (المراد نقلهم) بعد ان تركنـا الأسرى الأخرين ، أمرنا بالصف طولاً وعرضاً ، يبعد كل فرد عن الآخر متراً ، وبعدها أمرنا بنزع ملابسنا للتفتيش ... نزعنا القمصان الخارجية ... وبعدها السراويل .. والقمصـــان الداخلية ولم تبق إلا خلقة تستر العورة ... وهنا أيضاً أبت على اليهود عزة أنفسهم !!! الا نزع ما تبقى... نظر كل منا إلى الآخر ونظرنا إلى أعين اليهود المسلطة علينا كأنها تقذف أسهم النار في أجسادنا ، ولكن صوتاً جهورياً مع عيار ناري ، أمرنا بالرضوخ للأوامر وإلا !!! نزعنا مـا تبقى وأمرنا إلى الله ، وبدأ

التفتيش ببطء ونحن نتحرق كأننا على جمر للنهاية أتت النهاية . فبعد عدة لكمات أكلها من وجد معهم (شفرات) حلاقة او (نقود) تليت أسماؤنا للتفقد ومن يقال اسمه يجب عليه أن يقول (نعم سيدي) وأتى اسمي فقلت (نعم سيدي) ولكنها خرجت تم عن شعوري الداخلي من بغض وحقد ، فغضب أحد اليهود (ونرفس) وهوى بالضرب على الجسم النحيل .

وتكررت مأساة النقل الأولى مـــرة ثانية ، في نقلنا إلى المعسكر الجديد ... وصلنا المعسكر الجديد ، وهو قرية عربية أيضاً اسمها (إجليل) تقع بالقرب من (تل أبيب) وفي هذا المعسكر بدأت المصائب تنصب علينا من أول يوم بل من اول ساعة ، فبعد وصولنا بلحظة أتت الأوامر بنقل حجارة بعض البيوت المنسوفة داخل المعسكر خارجاً ، وبدأت أشباح هزيلة تحمل الحجارة ببطء وهوادة والحراس يصرخون (أسرعوا .. فالأكل آت) مضى النصف الأول من النهار بالعمل الشاق وبدون أكل . ومضى النصف الثاني من النهار بالعمل الشاق وبدون أكل ايضاً

دخلنا الغرف الرطبة ذات الرائحة النتنة ، كي يسقط كل منا حطاما على الأرض الى الصباح ، حيث استيقظنا على الصفارات تنادينا بالعودة الى الشغل ، وبدأنا برجاء اليهود ان يمهلونا حتى يأتي الأكل ولكنهم ابوا وعزمنا عل الاضراب ، لكن القوة غلبت ونزلنـــا الى العمل مكرهين ومضى النصف الاول من النهار الثاني بالعمل الشاق وبدون أكل إلى ان جاء الأكل وكان قطعة يابسة من خبز الشعير وماء مغلياً على الحطب مصبوغاً بشيء احمر يقولون انه شاي !! ولكن طعمه ورائحته تنفي هذا القول وتكذبه معلنة انه عشب محروق .

واخذ كل منا فنجانا وأردنا البدء بالأكل — لكنهم امهلونا ليحضروا السكر حتى يغيروا طعم الشاي ومن يسمع كلمة سكر يصدق !! فقد

أحضروا علبتي (سكرين) بحجم علبة الكبريت الصغيرة فنال الواحد حبة بحجم حبة العدس ، ولم تغير شيئاً من طعم الشاي ، وفي عصر ذات اليوم حضر رئيس يهودي يتكلم الانجليزية بطلاقة ، وأخبرنا بأن اليهود اعترفوا بأننا أسرى حرب ، وسوف يطبقون علينا نظام اسرى الحرب ، حسب قانون جنيف من نفس اليوم

لما سمعنا قانون جنيف للأسرى ، تنهدنا منزلين عن ظهرنا حملاً ثقيلاً وبدأ كل منا يهنىء الآخر بقرب الفرج بعد ما أصابنا من ضيق

وعند صبح اليوم الثانى اتت سيارة كبيرة فحملت بعض الخيـــام لاستعمالها بدل الغرف الرطبة ، وحرامات صوفية اخذ كل منا واحداً ، ووجه فرشة من الكتان مع فنجان وصحن بدون ملعقة ، وقائمة بنوع الأكل ومقداره لكل شخص أذكر بعضها « الخبز ٤٠٠ غم للشخص في اليوم – ما يعادل رغيفين عاديين تقريباً يكفيان الشخص العادي لوقعة مع المرق – و ٣ غم شاي ، ٢٥٠ غم خضرة ناشفة و ٢٥ غم سكر و ١٥٠ غم معكرونه أو بطاطا وغير هذه أشيـــاء بسيطة ، كالزيت النباتي والبصل الناشف كلها « بالميزان الحساس »

ولم تقف المصيبة الجديدة عند هذا الحد بل زيد عليها بأن الخضرة الناشفة هي نوعان فاصوليا وعدس . وان البطاطا مفقودة لكثرة استعمالهم لها ، لذلك وجب علينا ان نأكل المعكرونة التي لا تصدق انها معكرونة فرائحتها التي تدل على الرطوبة وطعم السيرج فيها يوقف شعر البدن . وبقينا نأكل نفس الأكل خمسة أشهر حتى لم يبق سوى الجلد والعظم

وبقينا أيضاً على طراز واحد من الحياة اليومية هو استيقاظ الصبح في الساعة السادسة للتفقد فنصطف كل أربعة في صف واحد ويعدوننا ثم نذهب الى أخذ الخبز اليومي والشاي الذي كان في أغلب الأيام بدون

سكر لندرته عند اليهود فيأكل الشخص كل مخصصاته من الخبز في الوقعة الأولى من الجوع ولخوفه من السرقة إذا بقيت ، وبعد ذلك نبقى في الانتظار حتى الظهر فنأخذ غذاءنا وهو إمـا عدس مسلوق او حمص وعليه ملح فتبدأ الايدي بالشغل لعدم وجود الملاعق

وبعد ذلك يبدأ الانتظار لوجبة العشاء فنأكلها وهي كما قلت معكرونة وننام . وأما من جهة العمل فلم نشتغل بعد الايام الثلاثة الاولى في هذا المعسكر بشيء أبداً

ومن جهة النوم فان الشخص قادر على تصور شخص ينام على قطعة من الكتان تحتها أرض رطبة وفوقه حرام واحد

ومن جهة الملابس فقد أحضروا لنا (ملابس خـــاكي) مستعملة وصيفية ... وقد كانت هناك مشكلة الدخان حيث بدأ الأسرى يدخنون الحشيش الناشف المسمى (سموة) لقلة السيجارات فمات أحدهم بسببه ...

واما من جهة المراسلات فـــلم تكن هناك أية مراسلة مع كـثرة احتجاجاتنا ولم يكن الشخص يعـلم عن اهله وعائلته شيئاً وفي مدة الخمسة اشهر هذه أتى أهل اللد والرملة كأسرى حرب أيضاً فوضعهم اليهود في معسكر تحت معسكرنا يبعد عنا نحو نصف كيلو متر تقريباً ، وكنا نشاهد حالهم البائسة إذ بقوا حـوالي الاسبوع يلتحفون السماء ويفترشون الأرض وكانوا يشربون الماء المتجمع على الأرض وقد قتل اثنان منهم لاندفاعهم نحو الباب من اليأس ، وكان قتلهم برصاص اليهود

وفي نهاية الخمسة أشهر أتى أمر بنقلنـا من المعسكر الذي نحن فيه لأنه غير صالح للسكن الى المعسكر الذي كنا فيه سابقاً وهو « أم خالد » ولكن ما أن وصلنا حتى أرجعونا لعدم وجـود اماكن ، إلى المعسكر الذي فيه أهل اللد والرملة



امرأة وبنتها
قتلتا في حادث « قبيه »

ولم نقاس كثيراً في الانتقال غير أننا بقينا طوال اليوم بدون اكل وكان يوماً من أيام رمضان فكان الصيام من غروب شمس اليوم الاول حتى صباح اليوم الثالث ، أي ستاً وثلاثين ساعة بدون أكل ولما وصلنا إلى معسكر أهل اللد والرملة وكان مقسماً بالاسلاك الشائكة الى عشرة اقسام يدعى كل قسم (قفص) وضعونا في قفص لا يوجد فيه شيء حيث قضينا ليلتنا بالجوع والبرد

وفي اليوم الثاني خصص لنا قفص نمره (٣) حيث أقمنا فيه لا أقل من اسبوع ننصب الخيام الموجودة فيه نهاراً من حر الشمس ونلتحفها ونفترشها على الأرض ليلاً

وكنا نشرب ماء من البراميل أبيض اللون لاستعمال البراميل قبلاً للكلس ، وقد كانوا يعبئونها بواسطة السيارات

وقد بدأت الحياة تتحسن في المعسكر بعد ذلك لاتصال بعض الاشخاص بواسطة تشديدهم على اليهود بمندوبي الصليب الأحمر الذي كان ساهياً أو متساهياً عن حالتنا والذي بدأ يشدد على اليهود بتنظيم المعسكر فنظموه بمساعدة بعض الأفراد من الاسرى من كل الجهات فصار الاسرى يذهبون للشغل وكنت بينهم في معسكرات الجيش ونظموا الرسائل فبدأنا بمراسلة أهلنا بعد ان عرفنا مقرهم بواسطة الصليب الأحمر وبدأوا ايضاً بمراسلتنا .

ونظموا إحضار الملابس وتوزيعها ، وقد كان هذا المعسكر في أواخر مدة الأسر من أحسن معسكرات الأسرى تنظيماً وقد وجد فيه ثلاثة آلاف شخص من الاسرى المصريين والفلسطينيين ، وبعض السوريين والعراقيين والانكليز

وعلى كل كان المعسكر معسكر اسرى حرب مهما حسن الامر ، فالاكل كما كان بالموازين الحساسة ، زيد عليه اللحم وكان من أذناب البقر المذبوح « ويطيني » مع العدس والحمص هي الخضر الناشفة

والازعاج دائم من اليهود في المعسكر وخارجه في العمل

ففي العمل كانت الشتائم والاهانات دائمية ، حتى صارت بالنسبة الينا عادية وكان العمل شاقاً إذ كان أغلبه في الحفر وفي التنظيفات

وفي المعسكر حدث مرة ان احد اليهود بدأ باطلاق الرصاص ليلاً من رشاش صوب المعسكر حيث قتل شخصاً وجرح اثنين كانوا جميعهم نائمين فلما سئل اليهود عن هذا العمل الوحشي قالوا بأن الحارس جاء من مدة وجيزة من النقب وهو (متحمس) فأطلق الرصاص ...

ومرة ثانية قتلوا شخصاً آخر عند باب المعسكر وقالوا بأنه حاول الهرب

وثالثة كانت في يوم سبت حيث كنا عاطلين عن العمل وإذ بفرقة من اليهود داخلة على المعسكر بأسلحتها الكاملة وبسرعة أطلقت الرصاص وكانوا يضربون كل شخص يجدونه في طريقهم ، وكنت في ذلك الوقت نائماً وإذا بضربة من عصا على رأسي وصوت بالعبرية يأمرني بالقيام فقمت مسرعاً وهارباً حيث هرب الآخرون الى زاوية من زوايا المعسكر وقد تجمعوا كأنهم في يوم الحشر والصهاينة ينظرون نظرات ملؤها الوحشية وحب الانتقام ، فاستعاذ الناس بالله وبدأوا بقراءة آيات الله موجسين خيفة

بقينا على هذه الحالة ساعتين بعضنا فوق بعض إلى ان اتى أمر بتفريقنا بعد التفتيش الى الخيام .

فسألنا عن الحادث فقالوا انه مجرد تفتيش عن السراديب خوف الهرب .. ولم تقع حوادث تستحق الذكر في الاشهر التي مضت غير الذي ذكرته

وفي الشهر الثاني حاولت جماعة كبيرة من اهالي قرية « الطنطورة » الهرب في الليل ، فنزعوا ثيابهم وبدأوا يتسللون من تحت الاسلاك رغم طول المسافة التي تشغلها الأسلاك الشائكة والتي تبلغ حوالي العشرة أمتار ورغم وجود الكشافات والمصابيح الكهربائية ورغم وجود الحراس أيضاً .

وقد كان عملاً جريئاً سجله أهل الطنطورة لأنفسهم ، واستطاع الهرب في ذلك اليـوم عشرون شخصا فقط ، لان الحرس تنبهوا للمؤامرة فأطلقوا صفارات الانذار وشددوا الحراسة ، ولكنهم لم يحركوا ساكناً لانهم ظنوها مجرد محاولة للفرار ، ولكن ما أن أقبل الصباح وعلموا ان الهاربين عشرون شخصاً ، حتى هجموا على قفص أهل « الطنطورة »حيث بدأوا بالتخريب في الخيم فقطعوا حبالها ووضعوا الزيت والكاز على الثياب والفراش وصادروا ثياب الكثيرين كما صادروا كميات كبيرة من الحرامات فنمنا تلك الليلة عند الساعة الثانية عشرة في البرد القارص

وفي اليوم الثاني جمعوا رؤساء الخيم ورئيس القفص ونفوهم الى « بئر السبع » مع مجرمي المعسكرات الثانية والبقية الباقية من اهـــل « الطنطورة » بدأ اليهود منذ ذلك اليوم بارسالهم جماعات جماعات من اشخاص متفاوتين في الخلق والعمر الى معسكرات ثانية حيث لقوا ضروب العذاب وكنت أنا في آخر فوج حيث نقلوني الى « عتليت » فأمضيت فيها اثني عشر يوماً كانت من أسوأ ايام اسري من حيث القذارة ومن حيث الاكل وأماكن النـوم ومن بعدها نقلت الى « صرفند » حيث اطلق سراحي مع جماعة من الاسرى

وقد استلمنا الجيش الاردني في القدس فعمل على تلقيحنا خـوفاً من الأمراض وأعطونا أوراقاً بامضاء الحـاكم العسكري (عبد الله التل) آنذاك يشهد بأننا كنا اسرى حرب ويطلب من السكان مساعدتنا للوصول الى الاماكن الموجودة فيها عائلاتنا واهلنا

ولكن اصحاب السيارات في القدس لم يقبلوا توصيلنا الى عمان بدون اجر بالرغم من معرفتهم بحالتنا فرجعنا الى (عبد الله التل) وكنت مع جماعة مؤلفة من بعض الأصدقاء فأعطانا المذكور لكل واحد منا نصف جنيه دفعنا منها عن كل شخص خمسة وعشرين قرشاً أجـــرة سيارة وعشرين قرشاً بدل نوم في عمان وخمسة قروش لأكل وجبتين فــكانت نهاية النقود

وقد كنا في ذلك الوقت بحـاجة الى نقود توصلنا الى دمشق فبدأنا بسؤال الناس وما من مجيب حتى وجدنا شخصاً من اهل قريتنا لم يكن أسيراً ساعدنا بدفع ما نحتاج اليه إلى ان وصلنا الى الشام وقد تركنـا خلفنا كثيرين من الأسرى يتضورون جوعاً في شوارع عمان ويتسولون كي يصلوا إلى اهليهم

ووصلت دمشق حيث اجتمعت بأهلي وحيث طويت صفحة من تاريخ حياتي لن أنساها ما حييت ! . .

* * *



حسين عبد الهادي عقل قتل في قبية ، وله من العمر ٦٤ وقتلت
معه ابنته لطيفة وهي في الثانية عشرة من عمرها

حيفـا ، حيفـا

يا لله ما أقسى هذه الأيام !!

ويا لله ما أقسى هذه الحوادث والأخبار !!

لقد قدّر لنا ، ان نعيش ونسمع كيف سقطت درة الدنيا ، وعروسة العالم ، وثغر فلسطين وأمل الشرق ، حيفا – بلدي – الجميلة

والتف حولنا الشبان ، يقصون علينا نبأ هذه الفـاجعة هم يتكلمون ، ويمزجون كلامهم بدموعهم ، ونحن نسمع ونمزج دموعنا بدم قلوبنا...

لقد كان اهل حيفا ، كأهل فلسطين يرتقبون ذلك اليوم المشهود ، والأمل المعهود ، ويعدون الثواني ، ويستبطئون الزمن ، ليشهدوا ذلك اليوم الابيض ، يوم الخامس عشر من أيار ، من عام ثمـانٍ وأربعين وتسعمائة بعد الألف

نعم حل ذلك اليوم ، لكن لا ليروا فلسطين قد استقلت ، ولا حيفا عربية اسلامية ، كعهدهم بها

حل ذلك اليوم ، والذي بعده والذي بعده ، ليشاهدوا بأم أعينهم مئات القتلى ، في شوارع حيفا ، لا يجدون من يودعهم الوداع الأخير ...

لا ولا من يضعهم في قبورهم

حلت الايام السوداء ، لتصبح حيفا ، وليس فيها سوى الروائح العفنة في كل مكان ، من جثث أولئك المجاهدين الأبرار

جاءت الأيام البيض ، ولكن كانت سوداء حالكة ، إذ كانت البنات الأبكار ، ينادين بالويل والثبور ، ولا يجدن معتصماً سوى ذلك الميناء ، يجتمعن فيه ليركبن البحر من حيفا الى عكا ، او إلى اقرب ميناء من موانىء لبنان كصيدا ، وصور ، وبيروت ...

لك الله يا حيفا

لقد شهد سكانك أهوالاً شيبت ولدانهم ، وفتتت اكبادهم ..

لك الله يا حيفا .! لقد باعك العرب والانكليز ، بأرخص الأثمان ، كأن لم تكوني منبت الأبطال ، ولا غيل الآساد والأشبال

كأن لم تكوني مطلقة اول رصاصة عرفتها فلسطين ، في سبيل الحرية والاستقلال

كأن لم تكوني مدرسة عز الدين ، وبلد الغر الميامين ..

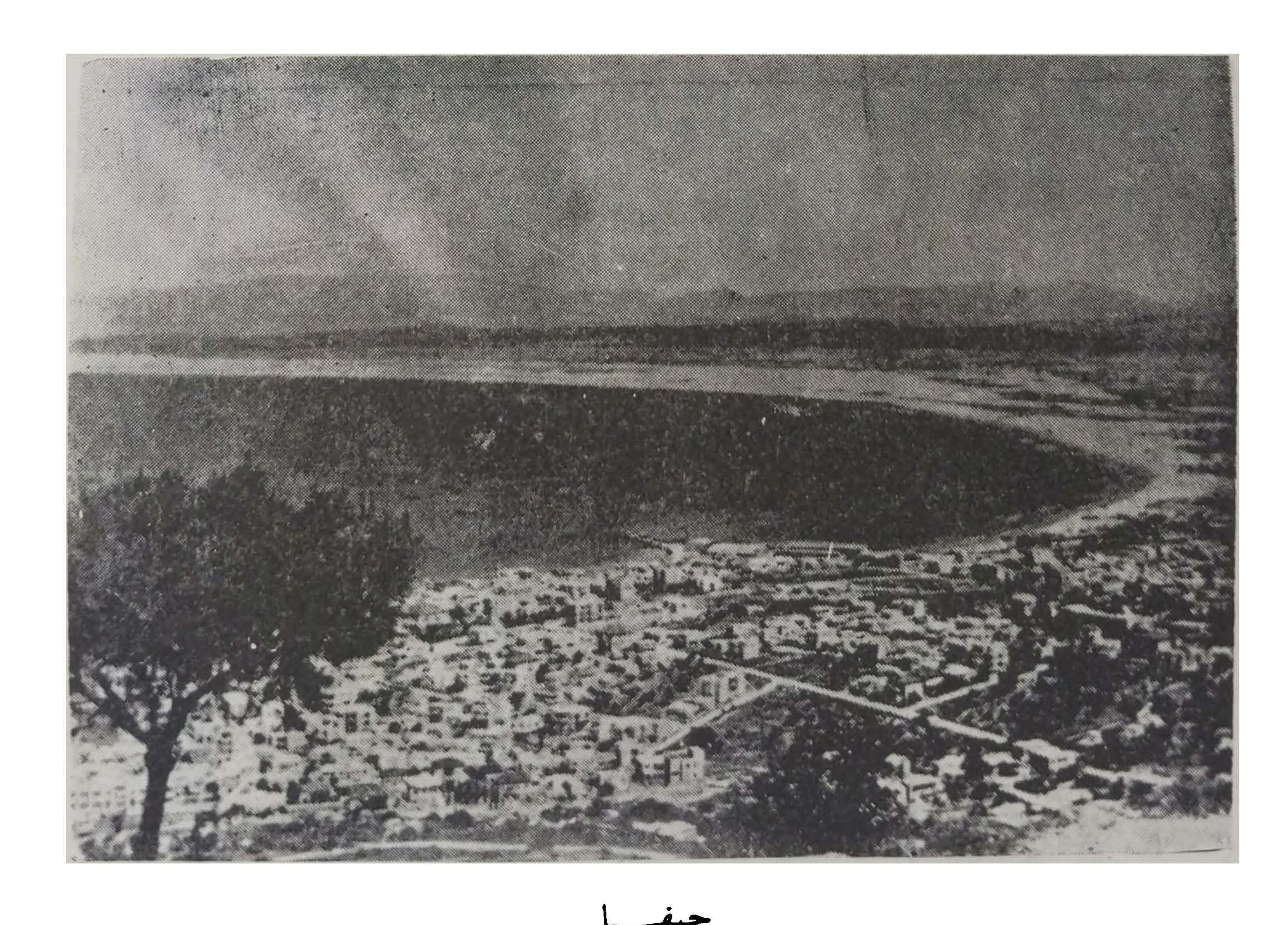
لك الله أيتها الذبيحة الشهيدة

* * *



امرأة من سكان حيفا من محلة (حواسة) مع أطفالها الأربعة اكبرهم لا يتجاوز الثامنة أخذهم اليهود فبقروا بطن المرأة بعد أن ذبحوا أولادها على حجرها

والصورة تمثل الجميع في مقبرة حيفا



حيفـــا

احتلها اليهود فور انسحاب الجيش البريطاني من المدينة . وكان ذلك في ٢٢ نيسان ١٩٤٨

قبل ١٥ أيار سنة ١٩٤٨

الفصل الثـــالث عشر
مقدمـــات النكبة

وهنا ، حتى يقف القارىء على الحقائق ، ويعرفها كأنه يشاهدها ، لا بد من أن أنقل له بعضاً من (مذكراتي) عن حيفا

ولا بد قبل الدخول في التفاصيل التي وقعت أخيراً ، من ذكر حقائق أولية ، حتى تعرف القضية من أساسها ، والبلية من رأسها لقد كان اليهود في حيفا يتمتعون بموقع حربي عظيم ، له أهميته وله حسابه ...

لقد كانوا يسكنون أعالي البلدة ، ويحيطون بها من جميع جوانبها ، فجبل الكرمل ، وما عليه من مستعمرات واستحكامات ، وجبل الحلقة او ما يدعى (بالنبي شعنان) وما وضع فيه من قلاع مشيدات

كل هذا وذاك ، جعل اليهود في موقف متفوق خصوصاً وأن أغلب بيوت العرب في الساحل ، وعلى المنخفضات من الأرض هذا من جهة ..

ومن جهة ثانية ، فان اليهود قد أقاموا على مداخل المدينة من الشرق ومن الغرب ، مستعمرات منثورة على طول الطرق

فمن ناحية الشرق مستعمرة (الياجور) و (نيشر) و (الشومرية)

و (الهريج) و (كفار يوحنان) و (كرفتا) و (كريات آمال) .

ومن ناحية الغرب (زمارين) و (عتليت) وغيرها وغيرها

ومن مدخل حيفا من طريق عكاء ، يوجد عدة قرى يهودية منها

كريات حاييم — موتسكن — جليم — كفار بيالك - كردانة[1]

الحقيقة الثانية

والحقيقة الثانية وهي لاشك مرة ومرة جداً ان اليهود كان لديهم من القوى والاسلحة الحديثة ، ما لا يصح مقارنته مع ما عند العرب ، من قوى وأسلحة تكاد تكون معدومة . وللعرب بعض الاعذار وقد تكلمنا عن بعضها فيما مضى

وإني على يقين ، ان اليهود كانوا قد أعدوا لهذا اليوم عدته ، وعملوا حسابه ليس من سنة ولا من عشر ، وإنما من قبل سنة (١٩١٨) .. من تلك الايام ، كانوا ينظرون هذه النظرة البعيدة والعميقة معاً ، وإلى هذا اليوم الاسود ... بنوا هناك على ظهر حيفا ، عمارة كبيرة هائلة تدعى (بهدار كرمل) قبل الاحتلال البريطاني لفلسطين

أما بعد الاحتلال فلا تسل عن تلك القلاع الحربية ، التي كانت تشاد على سمع الحكومة وبصرها هي قلاع في بنائها واحكامها .. ومساكن في ظاهرها وقد اكتشفت الحكومة البريطانية سراديب تحت الارض ، بل مدنا بكاملها تحت الارض ، تجري فيها القاطرات وكلها مملوءة بالاسلحة والعتاد والمدافع الثقيلة

ولكن لم يكن من الحكومة البريطانية الا الستر والاغضاء بل

---

(١) هذه اسماء قرى استحدثها اليهود والبريطان كجزء من سياسة تهويد البلاد .

والمعاونة العملية   هذه بعض الحقائق التي ينبغي ان نذكرها قبل البدء بذكر فاجعة (حيفا)

اعلان الاضراب

لم يدر بخلد أسوأ الناس ظناً بالانكليز ، ما بيتوه لعرب فلسطين عامة .. وعرب حيفا خاصة

لقد اعلنت الهيئة العربية العليا — على اثر صدور قرار التقسيم — الاضراب العام بفلسطين مدة ثلاثة أيام ، وكان لا بد لنا في حيفا ان نكون أول المضربين

وبدأ الاضراب وبدأت المناوشات بين العرب واليهود ، وبدأ غدر اليهود يظهر بأجلى معانيه   وأخبث ما يتصوره خيال أو وهم

كان الجبناء يركبون سيارة من السيارات الحكومية[١] محملة بالمفرقعات ، ثم يوقفونها أمام قهوة عربية مملوءة بالناس ، وأمام عمارة كبيرة يكثر فيها الاجتماع والاحتشاد ، وهناك تسمع الدوي الهائل الذي يعقبه تطاير الجثث والاشلاء ، وهكذا اخذ اليهود يغدرون بالعرب الآمنين

فكان لا بد للعرب في حيفا ، من ان يقفوا موقف المدافع على الأقل . فكيف دافعوا عن بلدتهم ؟ وحافظوا على انفسهم ؟ ...

الى الوراء قليلاً   عملية التطهير

وهذه حقيقة يعرفها مائة الف عربي على الأقل ، وهم أهالي حيفا وهي   ان مدينة حيفا قد حافظ عليها الشباب بواسطة العصي فقط ،

---

(١) تسليح اليهود ، وتدريبهم على القتال ، وانشاء فرق مسلحة والحاقها بالجيش البريطاني ، كل هذا لتهويد البلاد ، وللتمهيد لخلق دولة اسرائيل

من غير ان يكون معهم اي سلاح آخر . وللمسألة قصة طريفة لا تعرف على حقيقتها إلا بذكر المقدمة الآتية

لقد كنت مع إخواني اعضاء الجمعية الاسلامية ، مسيطرين كل السيطرة على جميع الشئون في المدينة وكان من حسن الحظ ان قمنا بعملية تطهير البلدة من البغاء وكافة الموبقات

وتتلخص هذه القصة ان البغاء السري والعلني ، قد انتشر في حيفا انتشاراً واسعاً بشكل يهدد الاخـلاق وينذر بالخطر وقد كتبنا الى الحكومة البريطانية عدة مذكرات وقابلنا المسؤولين عـدة مرات ، فأظهروا العجز التام عن مقابلة هذا المنكر

وكان من توفيق الله ، وجـود طبقة من خيار الشباب الصادقين ، فجهزنا منهم ما يقرب من ثلثماية شاب ، وسلحناهم بسلاح حديث مبتكر ذلك السلاح هو « العصي الرفيعة من نوع الخيزران »

وقبل غروب الشمس بساعتين تقريباً أعطيت الاوامـر الى الشباب بالزحف العام على دور البغاء والدعـارة ، وأعطيت لهم الاوامر بأن يقاوموا كل من يجدوه في طريقهم حتى النهاية ومن ناحية أخرى فقد احتيط للأمر فنصحنا البوليس العربي بعـدم التدخل ، والتواري عن أنظار الشباب ، والاغضـاء عن كل ما يجري في اثناء هـذه الحملة الشريفة الموفقة

ومن ناحية ثالثة ، فقد احتيط للامر أيضاً فجهزنا عـدة ناقلات ، وأنشأنا عدة مراكز لنقل الجرحى ومداواتهم

وصاح الشباب الله اكبر ، وقاموا بهجوم ساحق ماحق ، لم يسبق له مثيل وعاونهم على ذلك رجال البلدة وكانت حركة ميمونة انتصر فيها الحق على الباطل ، والشرف على الدعارة .·.

وأراد الجنود البريطان ان يقاوموا الحركة ، فباءوا بالفشل والخذلان ، فانسحبوا بدباباتهم الى ثكناتهم ، عندما علموا ان الشعب قد صمم على محاربة الرذيلة ، وكانت ليلة ذقنا فيها حلاوة النصر ، قضيناها في مقر قيادة الجمعية الاسلامية ، وما أن اصبح الصباح وعلم الناس الخبر بتفاصيله ، حتى هلل الناس وكبروا لهذا الحدث العظيم

العملية الثانية

واتبع هذه العملية توفيق آخر ، فأخذت الجمعية الاسلامية ترسل هؤلاء البغايا إلى بلادهن وكان لقناصل الدول العربية ، مساعدة عظيمة ومساهمة مشكورة بترحيلهن .

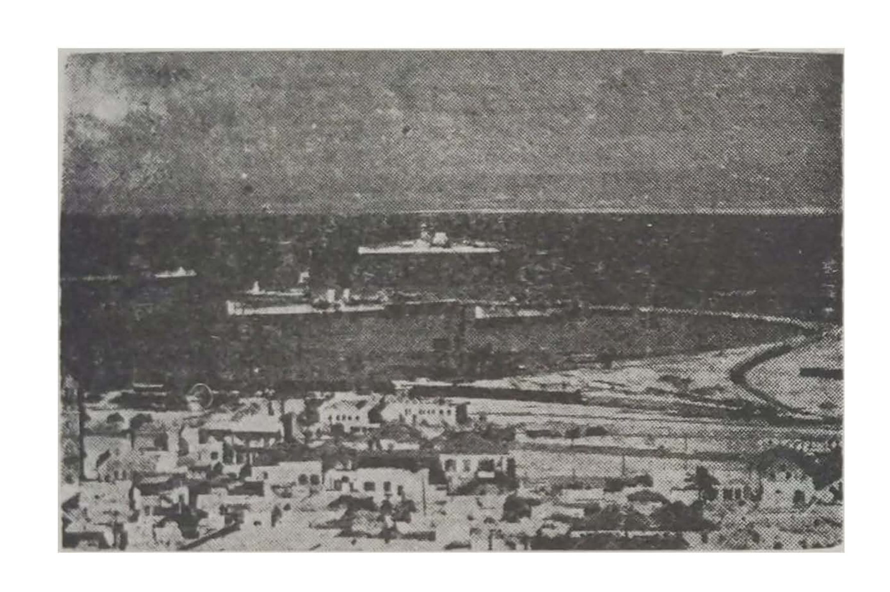
وقد خصصت الجمعية الاسلامية ، مبالغ من المال لتصرفها على النساء اللاتي ليس لهن بلد أو اهل ، فزوجت ما يزيد عن خمسمائة واحدة وتكلفت بالانفاق على كثير منهن .

فضل هذه العملية

ولقد كان لهذه العملية المباركة فضل كبير ، اذ جعلت الناس وخاصة الشباب ، ينضوون تحت لواء الجمعية الاسلامية ، التي كانت بطبيعتها المشرفة على كافة شؤون البلدة ، من أوقاف ومعارف ومدارس ومستوصفات ، والمصالح الدينية والاجتماعية الاخرى

وقد نتج عن هذه الحركة ، ان اغلقت الخمارات ، والمراقص ، ودور الميسر وقضي على اولئك الاشرار ، الذين كانوا يتعاطون تجارة الرقيق الابيض ، والذين كانوا يعيشون على دور العهر ، وأماكن الرجس والخبث .

وبعد مضي خمسة اشهر على هذه الحركات الميمونة ، وجدت الجمعية



مرفأ حيفا

بارجة بريطانية بانتظار المندوب السامي الاخير السر الن غوردن كاننغهام لتقله الى بلاده بريطانيا

الاسلامية نفسها امام معضلة وطنية كبرى ، ومسؤولية عظمى ، وهي حماية البلدة من تطويق اليهود ، ذلك التطويق الذي اسلفنا ذكره

حماية البلدة بالعصي

وكان لا بد من خوض المعركة وخاصة بعد ان ألقي عبء هذه المعركة على هذا العاجز الفقير ، وعلى المجاهد السيد رشيد الحاج ابراهيم . فماذا نفعل والبلدة خالية من السلاح ؟!.

وكان لا بد من تجربة هؤلاء الشبان مرة ثانية ، فأتيت بالشباب وأفهمتهم ان عبء المحافظة على البلدة قد اسند الى عزائمهم ، لتمتحن رجولتهم ، وليختبر صدقهم في وطنيتهم ، فتقبل الشباب هذه المهمة بحماس ، ونفوس مطمئنة

ثم اخذوا ينتظرون السلاح وكنت قد وعدتهم باعطاء كل واحد منهم بندقية فماذا كانت تلك البنادق !!.

لقد خرجت عليهم وأمامي شاب يحمل العصي ، وأمرته باعطاء كل شاب عصا ، واخبرتهم ان هذه العصي ، هي بنادقهم الوطنية وانها تفعل فعل المدفع ، بيد المؤمن الصادق ، وان المدفع العظيم ينقلب الى عصا خاسرة بيد الجبان الرعديد

وأخيراً افهمتهم ان كل شاب يقول أن ما بيده عصا ، يحاكم محاكمة عسكرية

ثم كانت العملية الحازمة ، ان وزّع هؤلاء الشباب الى فصائل ، ثم اسند الى كل فصيل حماية جهة من البلدة .. وكان من حسن الحظ ان كان أغلب هؤلاء الجنود من المسرحين ، الذي دربوا في ميادين الحرب في ليبيا وغيرها وكان عدد وافر منهم من رجال الثورات الذين اشتغلوا في القضية ، وشاركوا فيها بقسم وافر

وهكذا بدأت المقاومة في حيفا

شباب عرب عصيهم بنادقهم ، وصدورهم دروعهم ، وليس لهم من سلاح آخر سوى ما يقتنصونه او يسلبونه من اعدائهم

وأشهد لله شهادة خالصة ، اني ما رأيت ، ولا سمعت ، بأشجع ولا أروع من هؤلاء الشباب ، فلقد كنت أراهم بنفسي يقاتلون اليهود ، واليهود كما ذكرت مسلحون بأحدث أنواع السلاح ، وفي أماكن مرتفعة عالية ، وهؤلاء الشباب في اماكن منخفضة ، وسلاحهم لا يتجاوز العصا والحجارة ، ثم تنتهي المعركة وإذا بشبابنا يربحون عشرات البنادق ، والرشاشات الصغيرة ، والمسدسات ، مما أوقع الرعب في قلوب البريطان واليهود معاً

وهكذا استمرت المعارك في حيفا مدة طويلة من الزمن ، والناس ينتظرون السلاح .

أين السلاح ؟ :

واحتدمت المعارك في حيفا ، وسالت الدماء في الشوارع ، وصرنا كل يوم ندفن القتلى بالعشرات ، واصبح كل انسان في المدينة مهدداً بالخطر

القناصة اليهود ، أخذوا يضربون الناس ، وهم يمشون بالشوارع
ها هي المدينة قد أخذ يدب فيها الفزع
إننا نخاف ان يظهر عجزنا امام الحكومة ، وأمام اليهود
نحن الآن على مفترق الطرق
اصبحنا لا نستطيع النوم بالليل ولا بالنهار
الهاتف لا يفارقني لا ليلاً ولا نهاراً

اذا وضعت رأسي على المخـدة ، اضطررت ان اضع معي الهاتف ، لاعرف اخبار البلد ، وحوادث الساعة

انقلبت حيفا وقضاؤها ، الى ميادين حربية ، ففي كل يوم حادث ، بل في كل ساعة حوادث

وأخذنا نشتري السلاح ، بكل مرتخص وغال ..

مساكين هؤلاء العرب ، ها هو احدهم يبيع اسورة امرأته ، او قرط ابنته ، او مونة عياله ، ليشتري بها سلاحاً

مساكين هؤلاء الشباب ، ها هم يخاطرون بأنفسهم ، فيرمونهـا في الهلاك في سبيل بندقية ، او كمية متواضعة من الرصاص

البندقية تساوي قبيلة

الرصاصة تساوي رجلاً

ها نحن الآن نشتري المسدس ، بمبلغ ثمانين جنيهاً فلسطينياً . ووصل ثمن البندقية الى مائتين وخمسين جنيهاً فلسطينياً

المسألة مسألة سلاح فقط

الرجولة ولله الحمد متوفرة عند العرب

الشباب كثير ، اذا مات شاب خلفه الف شاب

ولكن أين السلاح ؟ هذه كل القضية

اجتمعنا نحن المسؤولين ، لنتداول الرأي ، فلم نر بداً من الالتجاء الى الدول العربية ، التي زادت النار ضراماً ، بسبب تلك التصريحات والاذاعات ، في كل ساعة وفي كل حين

الى القاهرة ودمشق

وكان لا بد من السفر للاتصال الشخصي بالمسؤولين الكبار . فسافرت الى القاهرة مرتين ، وإلى دمشق مرتين ، لاجل السلاح وللسلاح فقط

مخابرات هاتفية

ولا بد من القول هنا ، ان المخابرات الهاتفية مع مصر ، ومع دمشق ، كانت تكاد تكون مستمرة يومياً ، وخاصة بعد ان صار لدينا جهاز خاص باللاسلكي

القائد محمد الحمد

لا شك ان العبء كان ثقيلاً وثقيلاً جداً ، وان العواقب غير محمودة اذا لم يتداركها أولو الرأي

وهنا جاهرت إخواني اعضاء الجمعية الاسلامية عن حقيقة الموقف . وان الامر ابلغ مما يظنون ، وان المستقبل مظلم ومظلم جداً وأخيراً تم الاتفاق على تعيين قائد حربي ليكون مسؤولاً رسمياً عن جميع الحركات الحربية

وكان من حسن الصدف ان عرض علي صديقي (**محمد الحمد**) ان يستقيل من الجيش الاردني ، وأن يضع نفسه تحت تصرف الجمعية الاسلامية .

وكانت له شروط عسيرة ، من مسكن ، وراتب ، وسيارة ، وهاتف ، قبلنا كل شروطه ، رجاء ان يكون لنا قائد حربي ، يقوم بتدريب الشباب ، وتنظيم الخطة ، وقام رحمه الله بواجبه خير قيام الى ان استشهد



العرب ينسفون مركز البوليس البريطاني في حيفا

في الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة من مساء اليوم الثـاني عشر من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ ، دخل مناضل عربي مركز البوليس في حيفا وكان يسوق سيارة فيها لغم كبير . ورغم انـه كان يرتدي بزة بوليسية الا ان الخفر الواقف على الباب اشتبه به ، فطلب اليه الوقوف حيث كان . ولكن ما ان انقضى على دخوله ثلاث دقائق حتى انفجر اللغم وانهارت العمارة وقتل خمسة من رجال البوليس كانوا فيها : بريطانيان وثلاثة من العرب. وفقد ثلاثة آخرون كلهم بريطانيون . وجرح خمسون . وفي هذه الصورة ترى رجـال البوليس البريطانيين يسوقون الى مركز البوليس الجديـد عدداً من الشبان العرب الذين اشتبهوا بأن لهم ضلعـاً في الحادث .

ابو محمود سرور :

وكان لا بـد ايضاً ، من تنظيم خطة المجاهدين والمناضلين ، فعملت الترتيبات اللازمة مع البطل المرحوم (**سرور برهم**) الى ان توفاه الله.

وربما تكلمنا عن هذين الشخصين ، وعن الحركتين اللتين قاما بها ، وعن كيفية استشهادهما معاً في فرصة أنسب

ولكن أين السلاح ؟

وللمرة الثانية أرجع الى « مذكراتي » لآخذ منها بعض المعلومات ، وها أنا ذا ، انقل فقرات منها مقتصراً في بعض الحوادث ، على موضع العـبرة غاضاً النظر عن ذكر الاشخاص ولعلي لا اسيء الى التاريخ ، اذا لم اذكر ما يسيء الى الناس وبعض الشخصيات

وها أنا انقل بعض ما وعدت من مذكراتي

١ — بعد إلحاح استمر اياماً ، وصلنا كتاب بتاريخ ١٥ كانون اول سنة ١٩٤٧ من دمشق ، وفيه يخبروننا بأنهم أرسلوا لنا بواسطة (...) مائتي قطعة من الاسلحة أي بنادق افرنسية ولكل بندقية مائتـا ضرب كما ارسلوا لنا ثلاثين فرداً او مسدساً

ولكن أين هذه الاسلحة ؟ ومع انها متواضعة جداً ، الا أنها عظيمة جداً ايضاً ، لاننا نحتاج الى عشرين بندقية فكيف بمائتين ؟ وكنا نحارب بعصي ، فكيف وقد اتت المسدسات ؟ فرحنا وفرحنا ولكنهـا فرحة مـا تمت فان الواسطة ، سامحه الله لم يتصرف تصرفاً حسناً ، فتبخرت الأسلحة في الطريق ، قبل ان تصل الى حيفا . وسألنا الواسطة أين الاسلحة يا صاحبي ؟ وتلجلج صاحبنا وأخيراً زعم انها اسلحة غير صالحة

٢ – بعد اسبوع من تاريخ الكتاب المذكور ، وصلتنا كمية من الاسلحة وهي ست وثلاثون قطعة ، ثم ست وعشرون قطعة اخرى

٣ – جاءنا كتاب اعتذار ، يدعي مرسله بأنه وزع الاسلحة المختصة لحيفا لاشخاص مناضلين ، وكان هذا العمل بحسن نية ولكن ماذا نعمل ؟ البلدة تحترق ، والناس في هيجان ، والدماء سائلة ، وآخرون يلعبون بالنار

ان نفسي تحدثني ان اذيع على الناس هذه التصرفات ، ولكن يمنعني من ذلك ، ان العدو من أمامنا ، والبحر من ورائنا

٤ – اليوم تحدث أخونا السيد (رشيد الحاج ابراهيم) بالهاتف من منزلي ، مع سماحة رئيس الهيئة العربية العليا ، وكان قبل ذلك قد اتصل بسماحته ثلاث مرات ، وكان يتكلم معه باللغة التركية

لم أدر ما دار بينهما من حديث ، لاني لا أعرف التركية ، ولكن السيد رشيد أخبرني انه قد اطلع سماحته على حقيقة الوضع في حيفا وعن خطورة وحراجة الموقف كما اخبره عن المصادمات التي كانت تقع يومياً ، بيننا وبين اليهود ، وألح كثيراً بضرورة انقاذ البلدة ، بارسال السلاح بأسرع وقت ممكن ، وها نحن منتظرون

مسكينة انت يا حيفا ، اني اخشى ان ارى مصرعك ، واسمع صراخك ، وعويلك

٥ – السلاح الموجود في حيفا ، لا نعلم لمن توزع ، ولا نعلم من وزعه ويقال ، بأنه وزع لقرية (الطيرة) أربع وعشرون قطعه) وعشر (للياجور) ، وعشر اخرى (لبلد الشيخ) . وأما البقية الباقية فقد وزع قسم منها في المحلة الشرقية ، ولأفراد من المجاهدين . وبحسب المعلومات التي وصلتنا ، فان اكثر الخرطوش قد استهلك ، كما

ان البنادق الافرنسية ، اصبحت غير صالحة للاستعمال لقدمها ويقول بأن هذه البنادق من صنع سنة ١٩١٤ وقسم آخر من صنع سنة ١٩٢٦...

٦ – وصلتنا اليوم معلومات ، بأن معظم السلاح الموجود في محلة (...) اصبح غير صالح للاستعمال ، لعدم وجود الرصاص والخرطوش ، وذلك لسوء استعمالهم له بهذه الكثرة المفرطة

أما الكمية التي وصلتنا ، فقد سلمناها الى هيئة الدفاع المختصة ، ووزعت على المدينة بحسب الحاجة بواسطة الضابط المختص .

٧ – اليوم عينا عدداً آخر من المسرحين العرب ، الذين كانوا جنوداً في الجيش البريطاني ، وقد عين لكل واحد مبلغ عشرة جنيهات فلسطينية شهرياً

وقد تسلموا مواقعهم حالاً ، وكانت اعمالهم مرضية وعملياتهم منظمة.

٨ – ها قد أثرت الدعاية شر تأثير ، فقد لاحظ العرب من سكان المدينة ضعف سلاحنا ، فأخذوا يهجرون البلدة ويرحلون

وقد اختلت معنويات الكثير من الناس بسبب الدعايات الكاذبة .

٩ – أخشى اذا طال الحال على هذا المنوال ، ان تقفر البلدة اقفاراً تاماً لا نستطيع ان نتخذ أي اجراء للحد من هذا الرحيل، على رغم ما نلمس من خطورته ومن نتائجه ، الا اننا كلما أردنا أن نوقف عمليات الترحيل نجد ضميرنا يوبخنا ، لأننا ونحن الواقفون على الحقيقة ، نعلم حق العلم ، ان الحالة اكثر حراجة مما يظن فليمض هؤلاء في رحيلهم مظهرين عدم اكتراثنا ، واكثر ما يمكننا من معنويات...

١٠ – لقد كان اليهود فوق سيطرتهم على مرتفعات المدينة ، وعلى مداخلها من جميع الجهات ، كانت لهم أيضاً مراكز هامة في داخل

البلدة ، فماذا نفعل حتى نخرجهم من هذه الأوكار ؟ وبعد جهد ومشقة اقنعنا السلطة والجيش باحتلال هذه الاماكن حفظاً للأمن ..

١١ – ما أقسى هذه الايام ، انها لأيام مرة حقاً وقاسية جداً.. ان المسؤولية كبيرة وان الارواح لغالية وانه ليعز على الانسان ان يرى ابناء جلدته ، وبني قومه يموتون صرعى في الطرقات وفي كل مكان ثم لا يجد سلاحاً يقاوم به ثم ماذا نفعل ؟ لقد كنت اضطر في احيان كثيرة الى ان استعين بالانكليز .. نعم بالانكليز ليحموا ابناءنا العرب ، من كيد هؤلاء الفجرة اللئام

ما أدهى هؤلاء الانكليز .. اني لأظن ان الشيطان اصبح تلميذاً عندهم يتعلم ضروب الكيد ، وأنواع الحيل لا يلتزمون طريقة واحدة بل لهم في كل ساعة بل في كل دقيقة سياسة خاصة .. هم الآن مع العرب ، وربما ضربوا اليهود ، وردوا عدوانهم ، وغدرهم ، ولكنهم بعد دقيقة واحدة ، يضربون العرب ، ويشتركون مع اليهود في التنكيل والتقتيل

١٢ – اليوم عند الظهيرة ، جاءني جاري الذي يسكن بأعلى مكان في العمارة المجاورة ، واخبرني انه شاهد الانكليز من نافذة بيته ، وهم على اسطحة عمارة (الكرمليت) وهي العمارة المطلة على ساحة (الخمرة) وعلى معظم حيفا ، وهم يطلقون النار على كل غاد ورائح من العرب ، فهالني الامر فخاطرت وصعدت الى أعلى المنزل المذكور ، فشاهدت هذا المنظر المؤلم ، كما شاهدت الغواني اليهوديات ، يداعبن جنود الجيش البريطاني ، ويقدمن لهم كؤوس الخمر فلم استطع ان اتصور هذا الموقف فنزلت الى الهاتف ، واستقدمت قائد الجيش البريطاني الى منزلي ، فقصصت عليه القصة ، فبالغ في تكذيب الخبر ، فأكدت له إني رأيت ذلك بأم عيني ، ثم تحديته وخرجت به الى العمارة ... ومن

حسن الحظ ان المنظر كان لا يزال موجوداً فاكبر الامر جـداً وخرج لساعته ، وأمر الجنود بالنزول من ذلك المكان لا أزال اذكر عبارة قلتها لهذا القائد لقد اعلنتم انكم تريدون الخروج من البلاد ... ولكن الظاهر انكم ابيتم ان تخرجوا ، الا بعد ان تقنعوا العرب انكم انتم اصحاب الصفحات السود ، التي ملئت سواداً ، وانكم تأبون إلا أن نذكركم (بخير) دائماً

١٣ – لقد كان بيتي من أخطر البيوت في حيفا ، لأنه واقـع في أخطر مكان فليس بيني وبين خطوط اليهود إلا عشرات الامتار لا يفصل بيني وبينهم إلا شارع (ستانتون) من جهة الجبـل ، وشارع (الخطيب) حيث ساحـة الخمرة ، وحيث احتشاد اليهود في المركز القديم .. وللمرة الثانية يضرب بيتي بالقنابل من قبـل اليهود الجبناء ، مروعين الاطفال والنساء

١٥ – لقد نزلت عند نصيحـة بعض الاخوان ، فأخرجت النساء والاطفال الى داخل المدينة ، حيث حللنا في بيت المرحوم الحاج عبـد الواحد الحسن ولكني بقيت مـع الحراس والشباب في نفس البيت الأول

١٥ – مضى يومان على حيفا ، وهي هادئة بسبب تهديدات الحكومة واجراءاتها ، وبسبب مصادرة الحكومـة لكثير من البيوت ، التي كان يستعملها اليهود لاطلاق النار والقنابل ، لقد استطعنا ان ننام قليلاً في هذين اليومين

١٦ – نجتمع كل يوم ، نحن أعضاء اللجنة القوميـة من مسلمين ومسيحيين نستعرض الحـالة السيئة ، وما وصلنا اليه من حالة بائسة حزينة ... وان شئت فقل من يأس وارتباك وهـا نحن نصدر البيانات ، تلو البيانات ، نطلب من الناس الهدوء والسكينة ، ونصبر على

أذى الجهال الذين يطلبون منا ان نخوضها حرباً دامية ، متوهمين – اصلحهم الله – اننا نملك مدافع وطيارات ولا نزال نجتمع ونوزع على انفسنا الاعمال ، هذا للاتصال بالحكومة ، وهذا للاتصال بالجيش ، وهـذا للاتصال بالمستشفيات والأطباء، وهذا للاعمال الادارية ، وهكذا . وهكذا...
ولكن مثلنا تماماً كما قال الشاعر

القاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك اياك ان تبتل بالماء !!

١٧ – اليوم جاءنا هاتف من القائد العام ، يخبرنا فيه انه يريـد الاجتماع باعضاء اللجنة القومية ، وحدد لذلك موعداً وتم اللقـاء في بيت أحد الزملاء

لقد كانت جلسة غريبة القائد الانكليزي طويل جسيم ، ومعه حاشيته واتباعه ، فبدأ الكلام مهدداً متوعداً ، قائلاً انه سوف يأمر الجيش البريطـاني بالتنكيل بالعرب وبانزال أشد العقوبات عليهم ... فسألناه عن سبب هذا الوعيد ، فأجاب بأن جندياً بريطانيا واحداً ، وجد قتيلاً في شارع عام ، بقرب حي من الاحياء العربية

وهنـا تصدى للرد عليه السيد رشيد الحاج إبراهيم ، فرد عليه رداً سياسياً جميلاً

ولكنني لم استطع السكوت حاولت أن أسكت فخفت ان انفجر وهنا طلبت من المترجم ، ان يترجم عني فقلت ان مـا سأتحدث به من الكلام هو على مسؤوليتي الخاصة ، وانا أتحمل عواقبه ونتائجه ثم قلت ما خلاصته انا أفهم جيداً غيرة حضرة القائد ، على جنوده ، ولا شك انها غيرة مشكورة محمودة ولكن الغريب هو ان البريطان عندهم (ميزانان) يخالف كل منهما الآخر ، فاذا قتل بريطاني

واحد بيد العرب ، قامت قيامة البريطان واعتبروها جريمة كبيرة لا تغتفر لأن دماً شريفاً قد دنِّس

اما إذا قتلت فرقة بريطانية بكاملها بيد اليهود ، فهؤلاء ما عملوا شيئاً وما اتوا ذنباً ولا يستحقون حق اسداء النصيحة

ثم قلت كنت أود من حضرة القائد الباسل ان يوجه تهديداته لليهود الذين أهانوا شرف بريطانيا ، والذين جلدوا زملاءه ، الضباط البريطان عراة وامام زوجاتهم أيضاً

كنت أود ان يغار حضرة القائد على زملائه هؤلاء اما نحن العرب فذنبنا الوحيد اننا اشراف دعاة امن وسلام وطلاب حق

الانكليز هم الانكليز دهاة لا فرق بين اهل السياسة واهل الحرب منهم ، فقد تقبل هذا القائد قولي الشديد هذا ، بابتسامة انكليزية ، وبرودة انكليزية ايضاً

ثم ودع وانصرف وما ان وصل إلى مقر قيادته حتى اتصل بمنزلي هاتفياً ، قائلاً انه يريد زيارتي في البيت في الساعة الرابعة بعد الظهر

فتعجبت لهذه الزيارة وفي الساعة الرابعة اتى القائد وركبه وبعد المجاملة المعتادة قدم شكره على صراحتي التي أظهر اعجابه بها ، وأظهر انه من اصدقاء العرب وندد بسياسة بريطانيا تجاه العرب ثم قال انه ليسعدني ان تعتبرني صديقك ثم استأذن بأن يأخذ لنا صورة مجتمعين .. وهكذا فقد اخذ عدة صور على اوضاع مختلفة ، ثم ودع وانصرف شاكراً بعد ان وعد بتقديم ما يمكنه من مساعدات

ولقد كان هذا القائد صادقاً او هكذا تراءى ، فقد قدم الينا كل ما طلبناه منه من مساعدات للبلدة

١٨ – اليوم فوجئت بزيارة هذا القائد وقد قال انه جاء لأمرين الأمر الاول للتوديع بمناسبة انتهاء مهمته وسفره إلى بريطانيـا ، الأمر الثاني تحذيرنا من القائد الجديد ، لأن ميوله يهودية صهيونية

ولقد صدق ايضاً ، فرأينا عند مجيء القائد الجديد ، ان الدنيا قد تغيرت وان الوضعية قد قلبت رأساً على عقب

سحبت مراكز الجيش التي كانت حاجزاً فيما بين العرب واليهود ...

اخذت هجمات اليهود تتكرر

نصب اليهود المدافع الثقيلة على جبل الكرمل ، واخذوا يقذفون الاهالي بالليل والنهار

١٩ – جاءتنا الاخبار بأن هجوماً شديداً شنه يهود اليـاجور على اهالي قرية (بلد الشيخ) وكانت معركة حامية دافع فيهـا العرب بالسلاح الابيض ، وكانت المعـارك على ابواب البيوت ، وفي وسطها ، وقد وقع عدة قتلى وجرحى من الفريقين ، وانهزم اليهود بخسارة فادحة جارين قتلاهم بالحبال

وردتنا هذه الاخبار في الصباح ، فامتطينا السيارات ومعنا قائـد المنطقة السيد (محمد الحمد) وبعض الشباب ، وذهبنا إلى بلد الشيخ ، وعزينا المنكوبين ، وواسينا المجروحين ، وأقمنا مراكز جديدة للدفاع ، ونظمنا الحركة بقدر الأمكان .

ولا انسى ان اسجل في (مذكراتي) هذه ، تلك البطولة النادرة ، والرجولة الخارقة ، التي سجلها اهل بلد الشيخ في صمودهم امام اليهود ، واستبسالهم في مقاتلتهم ، وبذل الأموال بغير حساب ، في تحصين القرية بانواع السلاح

٢٠ – لقد تحرجت الحالة في حيفا تحرجاً شديداً ، واصبحنا عرضة لهجمات اليهود في كل ساعة ، وقد علمنا ان اليهود قد اخرجوا ما عندهم من دبابات ، وانضم اليهم عدد وافر من الجيش البريطاني .

ها هم اليوم ضربوا (حارة الحليصة) وقاموا بهجوم شديد عليها ، وجرح قائد المنطقة السيد (ابو محمود الصفوري) في رجله

في هذه الساعة جاءتنا الانباء ، انهم ، ضربوا عمارة المجلس الأهلي ، وتهدمت العمارة عن بكرة ابيها

اليوم ضربوا بيت المغربي ، وهدموه على الاطفال والنساء .

الشكوى عامة ، والحالة محزنة البلد خالية من السلاح . البنادق لا تتجاوز المائتين في بلد فيها مائة الف عربي الرصاص يكاد يكون مفقوداً المستشفيات ملئت من الجنود والجرحى المدنيين ساعة الخطر تكاد تدق حيفا كأنها بركان هائج الناس لا يدرون ما يصنعون فماذا نعمل ؟ .. ما العمل ؟

* * *

من مذكراتي ايضاً

الفصل الرابع عشر

من حوادث حيفا

١ – اليوم دخلت الجمعية الاسلامية ، فوجدتها مكتظة بالناس على شكل لم أعهده من قبل ، فدهشت من هذا الازدحام ، فسألت ما الخبر ؟ فقيل لي ان القوم يريدون سلاحاً ، وذخيرة ، وألغاماً ، وقنابل

ماذا يمكنني ان افعل ؟ ان الناس يظنون ان السلاح عندي بغير حساب ، بل ذهب الوهم ببعضهم ان لدي مصانع أسلحة لقد رأيت ان أنسب حل ، هو مصارحة هؤلاء الناس بأننا لا نملك سلاحاً ، ولا ذخيرة ، الا ما كان بيد الحراس والجند . وان الجمعية لا تستطيع ان تهب شيئاً لأحد نعم صارحتهم بذلك ، ونصحت كل فريق ان يذهب الى بلده ، او قريته وان يحتال بنفسه ، على ايجاد السلاح ، غير منتظر معونة احد ، او هبة احد ولكن هل اقتنع هؤلاء الاخوان؟ كلا ورب الكعبة فقد خرجوا كاظمين غيظهم ، ولكني متأكد أنهم ما

تركوا شتيمة ، ولا مسبة الا ونسبوها لي سيقـول عني قومي اني قصرت ، او بخلت عليهم ، ولكن الى الله أشكو وعنده الحساب

٢ — اليوم جاء اهل « الطيرة » واخبروني ان الوفد الذي أرسلوه الى القاهرة ، لإحضار السلاح والذخيرة لما يأت بعد وقد مضت شهور وهي في حساب الواقع ، وحساب القتـــال ، وانتهاز الفرص ، سنوات طويلات

لقد أصبح اهل الطيرة ، في حـــيرة شديدة ، فالسلاح لم يزل في مصر ومالهم البالغ أربعة آلاف جنيه ، او يزيد لا يزال في مصر ايضاً ولكن القتال من فوقهم ومن جوانبهم ومن تحت أرجلهم فماذا يفعلون ؟ لقد أدخلنا الأمل الى قلوبهم ، وأنعشنا الحماس في نفوسهم ، ورددناهم خير رد وما اعظم العربي حين يتحمس !! إنه والله يلقى الموت بثغر باسم

٣ — لقد احترنا وتحيرنا من نقاوم ؟ امامنا الانكليز وأمامنا اليهود ، ولكن اخطر من هؤلاء جميعاً ، بعض هؤلاء العرب وهم اللصوص لقد انتهز هؤلاء الفرصة . فرصة انشغال الناس بهذه الحوادث والكوارث ، فاستيقظت فيهم غريزة النهب والسلب ، فكونوا العصابات ، وتسلحوا بالسلاح الفتاك ، وتجمعوا من هنا وهناك ، وجاءوا الى حيفا ام الذهب والمال .. وبلغت الوقاحة في بعضهم ان أخذوا يبيعون المخزن الكبير ، ولا يزال قفله فيه قبل ان يفتح !! واغرب من هؤلاء من باع القاطرات ، وهي لا تزال في المحطة او في طريقها الى المحطة !! اذن لابد من (تشكيلة) جديدة لمقابلة هؤلاء الاشرار ، وللضرب على أيديهم بالحديد والنار ، انها ظاهرة مؤلمة ، ولكن الخبيث موجود في كل امة من امم الارض .

٤ — ارتفعت أسعار الحاجيات والحاجات الضرورية من مأكل ، ومشرب ، وملبس ، ومن لحوم وخضار وغيرهـا ، ارتفاعاً فاحشاً .

وانتهز التجار الجشعون الفرصـة ، ليغتنوا على حساب الفقراء ، وفي هذه الظروف هذه هي طبيعة الحياة الخير في مجراه ، والشر في مجراه . والشرير شرير ، سواء في صورة تاجر ، أم في صورة قاتـل ، أم في صورة لص كلهم يقدم على إجرامه ، لقاء هذا الذهب ، الذي ذهب بعقولهم ، وابصارهم

واخذت الشكوى والصيحات من الناس من كل جـانب فما العمل ؟ لقد كثرت الواجبات ، وتتابعت الفروض ولنقاتل الاعداء في الجبهات المختلفة ، ولا حول ولا قوة الا بالله . وأخيراً فقد كان لزاماً ان نشكل (فرقة) خاصة من الشباب تحمل على نفسها عبء هذا العمل . (وتشكلت) لذلك المحاكم الشعبية ، والجلادون الشعبيون والسجون الشعبية ولتكن حكومة داخل حكومة

٥ – قلَّ ان تعرف الغوغاء حقائق الامــور ، وبواطن الاشياء ، والعجلة والتسرع في الاحكام والاعمال ، هو منطق الشعب ، وخاصة في الايام الـسود ، والليالي الحالكة ، وكثيراً ما يأتون بأعمال عواقبها وخيمة ، في الوقت الذي يظنون فيه انهم قاموا بوطنية كبرى ، واعمال تقربهم الى الله زلفى الأعداء ينظرون الينا من كل جانب ، وينظرون الى اعمالنا ، ويزنونها بميزان المدنية والوحشية ، أو بميزان التقدم والرجعية . فكان لابد لنا تجاه هذا كله ، ان نمنع هؤلاء الاغرار ، من التعدي على حوانيت اليهود ، ومخازنهم الواقعة في الاحياء العربية ، وكان لابد لنا أيضاً من تسليم هذه المنهوبات الى السلطات الحكومية ، التي كانت لا تزال موجودة رسمياً . وكان لابد من ان نسلم بعض اليهود من النساء والأطفال ، وبعض المدنيين الذين كان يلتقطهم العـرب بين حين وحين ... لقد كان لهذه الحوادث ، وقعها الحسن عند السلطات ، وقد كنا نحرجها كثيراً بهذه الاعمال ، ونضطرها للوقوف بجانبنا في كثير من الاحيان ، وكذلك

لاقت استحساناً هائلا عند الطبقات الفاهمة الواعية ولكن ما وقعها عند عامة الشعب ؟ إنه كان في نظرهم خيـــانة وجبنا ، وتآمراً على الوطن وبالله ما أقسى حكم بعض الناس في كثير من الاحيان

٦ - لايعرف وضعية حيفا على حقيقتها الا الذين درسوها من أبنائها ، والمطلعين على خباياها وخفاياها لقد أخذ اليهود يتوسلون الى العـرب بواسطة « الخواجه شبتاي ليفي » رئيس البلدية ، بأن يوافقوا معه على جعل حيفا بلدة مكشوفة ، او منطقة حــرام ، لايطلق فيها رصاص ولا يصاب احد بسوء

لقد كنا ميالين الى هذا الرأي ، وبعبارة أخرى ان بعضنا كان متحمساً له كل الحماس ، لما نعلم من دواخل الأمـور ومع هذا كله فقد أظهرنا الاباء والاستكبار والعناد

ومن طرف خفي فقد أرسلنا وفداً لمفاوضة بعض المسؤولين خوفاً من أن تتهم (حيفا) بالخيانة او الجبن وأطلع وفدنا المسؤولين على الأمر من غير ان يبطنوا خافية ومع هذا فقد رجعوا بخفي حنين

وشاعت قالة السوء ، بأن اللجنة القومية في حيفا ، تريد ان تجعل المدينة (مكشوفة) وهكذا العامة واشباه العامة

* * *

الى هنا اقف بك أيها القـارىء عند هذه النتف ، والشذرات التي نقلتها اليك من مذكراتي الخاصة ، وهي قطع من هنا وهناك يبدو فيها الاضطراب ، وعدم التنظيم ، وانما كانت كذلك ، لأنها لم تنقل بشكلها الطبيعي ، وترتيبها الأصلي ، والقصد منها ان تعرف أوائل النكبة في حيفا ، كأنك فيها أو من مشاهديها

من يومياتي عن حيفا

من مآسي حيفــــا

١ - بعد منتصف ليلة (١٦ يناير) جاءت سيارة يهودية مصفحة ، ووقفت في شارع صلاح الدين ، من جهة طريق شركة الكهرباء بجانب (جسر شل) من النــاحية الشرقية من البلدة ، وكان ركاب السيارة يرتدون البسة الجيش البريطاني ، ودخلوا بحجة التفتيش ، لمخزن قرب عمارة السيد بشير المغربي المؤلف من ثلاث طبقات ، ووضعوا في داخل المخزن قنبلة كبيرة ، سرعان ما انفجرت بعد ما ولوا هــاربين ، وقد وقعت العمارة على من فيها من اطفال ونساء وعجزة ، ولم تتخذ السلطات تجاه هذا العمل الوحشي أي شيء يذكر

٢ - بينما كانت سيارة الباص (رقم ١) التي تسير بين حيفا وبلد الشيخ واحدى سيارات باص الناصرة ، تسيران بجانب منطقة السعادة بين حيفا وبلد الشيخ في الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم الواقع في (٥ كانون ثاني) وهما تحملان العمال العــرب العائدين الى منازلهم ، وإذا بسيارة يهودية تمر بجانبهما فأخذ ركابها المسلحون يطلقون النار على سيارتي الباص ، وولت هاربة ، فأصيب خمسة اشخاص بجراح ، وكان بعضها

خطراً ، والغريب انه كانت تقف بجانب الحادثة سيارة مصفحة فيها عدد من رجال الجيش البريطاني ولكنهم لم يحركوا ساكناً

٣ – مرت سيارة مجرمة بشارع (العـراق) في الساعة الثانية من بعد الظهر وقد أطلق أحد ركابها النار ، فأصاب فتى عربياً

٤ – تم صباح أمس ، سحب السريتين الثانية والرابعة من الجيش الاردني ، من حي « النبي شعنان » المسمى « بالحلقة » ولقد كان لوجود هاتين السريتين العربيتين أثر عظيم ، إذ كانتـــا سبباً في منع اعتداءات اليهود على العرب القاطنين في محلة الحليصة ، ولقد كانت هاتان السريتان شوكة في حلق اليهود أما بعد الآن فسيذيقون سكان « الحليصة » الأمرين بسبب موقعهم الحربي وهكذا كان ، فلقد صارت محلة الحليصة أو الحي الشرقي بكامله ، بين نارين من ناحية الشرق ومن ناحية الغرب ، واصبح في حكم المطوق ...

لقد قمت بزيارة هاتين السريتين وغيرهما من سرايا الجيش الاردني في حيفا ولقد كانت لي صلات قوية مع كثير من رؤساء هذه القطع وعلى الرغم من أنها كانت تابعة للجيش الانكليزي ، ولكنها مع ذلك فقد أفادتنا نحن العرب في حيفا افـــادة قوية وانى أشهد لله شهادة خالصة ، بأنهم كانوا نعم النصير والمعين في الملمات ولقد كانوا يوقعون باليهود افدح المصائب ، وينزلون بهم أشد البلاء ، في المناطق التي كانوا يرابطون بها ، وخاصة في محلة (النبي شعنان) ومنطقة (بيت كاليم) او حيفا القديمة

ولقد أظهروا من ضروب الشجاعة ، والثبـات ، والتضحية ، مـا اسجله لهم بكل فخر واعتزاز ، ولقد صدق المثل العربي الذي يقـول (الدم لا يصير ماءً) فإن دمهم العربي الحر كان يناديهم بأداء الواجب فسرعان ما يلبونه



جثث من القتلى مكدسة فـوق بعضها البعض   منظر من غدر اليهود وتمثيلهم

كل هذا جعل اليهود ، يستغيثون بالانكليز لسحب هـذه السرايا ..
فلبى الانكليز لهم هذا الطلب وانى لعـلى يقين لو أن الأمر ترك
اليهم ، أو لو أن امرهم بيدهم ، لكانوا وحدهم على استعداد للقضاء على
يهود حيفا فلقد كان الواحد يساوي ألفاً ... حياهم الله ...

٥ - في (١٢ شباط) وقعت حادثة اليوم ، وتتلخص فيما يلي

مرت سيارة صغيرة يهودية ، تنقل أربعـة من الركاب اليهود بجانب باص قرية « اجزم » وأخذ ركاب تلك السيارة اليهودية الغادرة يطلقون النار على السيارة العربية الكبيرة المملوءة بالركاب وكاد يغلب العرب غير أن مهارة السائق العربي انقذت الموقف فما كان منه إلا ان مال نحو السيارة اليهودية وصدمها . صدمة قوية قلبها رأساً على عقب ، فقتل ثلاثة من ركابها واصيب الرابع بجراح خطرة

٦ - أخذ اليهود يطلقون النار بشدة على بيوت العرب ، فقد القى المجرمون اليوم ، قنبلة على منزل عربي يقع في شارع (المأمون) خلف عمارة مركز البوليس الشرقي .

٧ - في (١٣ شباط) قـام اليهود المجرمون ، بالاعتداء على مقر النادي الرياضي العربي ، الكائن في شارع (يافا) من الناحية الغربية من البلدة ، وفي صبيحة اليوم ، قام الجيش البريطاني بتفتيش مقر المنظمة ، والقوا القبض على بعض الشباب ، واستولوا على بعض الذخيرة .

وما أن علمنا بالخبر ، حتى ذهبنا وقابلنا المستر « ماكيل » وكيل مدير البوليس في حيفـا ، وانتهت المقابلة باطلاق سراح الشبـــاب ، واسترداد السلاح .

٨ - القي القبض على السيد (يونس نفاع) من قبل الجيش البريطاني ،

في أثناء إطلاقه النار على مراكز اليهود ، وما ان وصل إلي الخبر حتى اسعفني الله بهذه الحيلة المحكمة ، والتي ألخصها فيما يلي

لقد كان قائد الجيش البريطاني في منزلي قبل هذه الحادثة بساعة ، وقد طلب مني ان أوقف حركة المناضلين العرب في الناحية الغربية ، لانها تستهدف الجنود البريطان اثناء ذهابهم وإيابهم ، فأظهرت له اني سأقوم بما طلب ، فعندما وقعت حادثة السيد (نفاع) المذكور ، وجدتها خير سبيل لما أريد ، فحالاً اتصلت هاتفياً بالقائد البريطاني واستقدمته الى منزلي وقلت له : ألم تكلفني بايقاف نشاط العرب في الناحية الغربية ؟ فقال بلى .. فقلت له لقد ارسلت اشخاصاً مسلحين لايقاف أولئك ، وابلاغهم لزوم التوقف عن إطلاق النار ، فما كان من جندك إلا أن القوا القبض عليهم فاستغرب ذلك كل الغرابة وطلب مني ان اسمي اشخاصاً فسميت له السيد (يونس نفاع) المار ذكره ، فما كان منه إلاان بادر وذهب الى مركز البوليس ، واطلق سراح المذكور وقدم اعتذاره .

٩ – احتال اليهود ، فأخذوا يلبسون الثياب العربية ، ويدخلون الى الاحياء العربية ، ثم يضعون مـا شاءوا من متفجرات وقنابل . فقد اطلقوا النار على (حيفا القديمة) قرب (محطة الكرمل) واشعلوا النار في اربع سيارات عربية وفروا هاربين .

١٠ – بعد أدائي صلاة الجمعة في جـامع الاستقلال ، فوجئت بخبر مزعج ، ذلك ان البريطان ، قد طوقوا الجامع الكبير ، وقاموا بتفتيش دقيق ، وازعجوا المصلين ، فتوجهت الى (شارع الملوك) حيث كانت الدبابات والمدرعات مرابطة هناك ، لتطويق الجامع من ناحية البحر ، فطلبت مقابلة القائد العـــام ، فأخذت في دبابة بريطانية ، الى المحطة الغربية ، حيث يرابط القائد العام هناك ، وقد كان معي عدد قليل من رجالات البلدة ، فشرحت للقائد ذلك العمل الوحشي الذي قام به الجند ،

لانهم اقتحموا بيت الله بسلاحهم ، وداسوا كرامة اكبر مسجد اسلامي في المدينة ، وافهمته اننا نحن المسلمين نحرص كل الحرص على كرامة بيوت الله ، فلا ندخل اليها سلاحاً خشية الوقوع في هذه المآزق ، فما كان من هذا القائد إلا الاعتذار ، والتأسف على ما بدر من الجنود

وقد احضر الذين قاموا بعملية التفتيش ووبخهم على فعلهم . وقد شاع في تلك الاثناء في المدينة ان الانكليز قد اعتقلوني وذلك لأنهم رأوني اركب الدبابة البريطانية في اثناء ذهابي لمقابلة القائد ورجوعي الى المنزل .

١١ – هاجم اليهود اليوم مقـــر رئاسة البوليس الواقع في (شارع الملوك) فقتل عدد من الانكليز ، وجرح بعض العرب

١٢ – مرت سيارة يهودية مكشوفة من (شارع الملوك) ولدى اقترابها من « كاراج » بيروت الواقع تجاه بنك الامة العربية ، وقفت هناك ونزل منها ثلاثة يلبسون الزي العربي « حطة وعقال على الرأس » وانزلوا صفيحة كبيرة وحملوها لحمال عربي وأعطوه أجـــرته (عشرة قروش فلسطينية) وساقوه إلى حيث تقف السيارات العربيـة المملوءة بالركاب العرب ، ثم ركبوا سيارتهم وولوا الادبار ، واعقب ذلك دوي هائل ، وتطايرت الجثث والضحايا في الجهات كلها

وقد كانت الجمعية الاسلامية ، واللجنة القومية في أثناء انعقاد جلسة هامة وفي اليوم الثاني اعترفت عصابة « الارغـــون » بأن هذا العمل الدنيء قام به بعض اعضائها ، وانذرت العرب بأنهم سيرون ما هو اخطر .

١٣ – تسرب اليهود من ناحية (النبي شعنان) وكانوا يلبسون ألبسة عربية ، حتى وصلوا الى موقف (باصات رقم ١) ثم اشعلوا فيها النار .

١٤ – لقد كان من اثر هذه الاعمال الاستفزازية التي قام بها اليهود ، ان قام العمال العرب الذين يشتغلون في « شركة بترول العراق » الواقعة بين

حيفا وعكا ، فغضبوا لاخوانهم العرب الذين يذهبون كل يوم ضحية غدر اليهود واعمالهم اللئيمة ، من اطلاق الرصاص والقنابل بواسطة سيارات هاربة متنقلة ، فقاموا بقتال منظم ، في داخل المعمل ، وكان فيه ما يزيد عن مائتي موظف من كبار اليهود الفنيين العالميين ، فهجموا عليهم وأعملوا فيهم ضرباً وقتلا ، وانتهت المعركة او المجزرة بقتل اليهود شر قتل عرفوه في تاريخ حياتهم ، وكان العمال العـــرب ينادون بالثارات الشهداء ، وكان يوماً حزيناً عند اليهود عامة في فلسطين ، وكارثة كبرى بالنسبة اليهم ، وهكذا شاء الله ان تدور الدائرة على الباغين ... ولقد كان هذا العمل من البطولات الخالدة

١٥ – لقد اصبحت حيفا ميداناً في كل جهة ، فاطلاق النار والرصاص لا ينقطع ، وضرب القنابل متواصل ؟ وصوت المدافع يملأ الاجواء

« ساحة الخمرة » ساحة قتال فقد وضع العرب المتاريس والاستحكامات واكياس الرمل في آخر « سوق الأبيض » ووضع اليهود استحكاماتهم مقابل العرب ، في أول « المركز القديم » وها هما الفئتان الحرب بينهما سجال ، ومن يظهر رأسه من كلا الطرفين يكون نصيبه الهلاك المحقق .

وقد وضع العرب كذلك المتـاريس والاستحكامات ، في أول درج « سقيرق » المؤدي الى شارع الكنائس ، كما وضعوا استحكامات في كل جهة يشرف عليها اليهود

إن الحرب في حيفا حرب شوارع وبيوت ، فـــرب بيت اعتوره الفريقان عدة مرات ، ورب شبر او متر لم يؤخذ الا بملئه دماء

لقد أظهر الشباب العرب من البطولات ما يسطر بماء الذهب ، فهذا شاب حدث السن يهجم على اليهود ويتحداهم ، وليس معه إلا مسدسه الصغير ، وها هو الرصاص ينزل عليه كالمطر ، فلا يصده هذا ولا يرجع

إلا وقد أخذ الجريح العربي المطروح على الارض ، وحمله ثم سار تحت وابل من الرصاص ...

١٦ – حقاً إن اليهود لمجرمون .. لقد سولت لهم انفسهم الشريرة ، بان يدمروا حيفا العربية عن بكرة أبيها ، غير ناظرين الى شيوخ عجز ، او أطفال ابرياء ففي هذه الليلة دُقّ علي الباب بعنف شديد ، وكنت نائماً في البلدة القديمة ، وإذا بالحرس يقولون ان اليهود قد أنزلوا (برميلاً) كبيراً مملوءاً بالمتفجرات ، وكانوا يريدون ان يدفعوه نحو البلدة ليدمروها تدميراً . ولكن الله سلم فأطلق عليهم احد الحراس النار فولوا الأدبار ، ولم يتمكنوا من إتمام فعلتهم

وبقي علينا ان نأتي بخبير عليم بالتفجير ليذهب الخطر ، وهكذ بقينا حتى الصباح والناس في قلق وفي رعب ، الى أن ابطل مفعول هذا البرميل

١٧ – ياها من ليلة ليلاء ، لم ينقطع اليهود الأشرار عن اطلاق الصواريخ[1] والقنابل ، وكانت من جنس عجيب غريب ... فاذا وقعت هذه القنبلة على الأرض لا تقف ، وإنما تجري الى عدة أمتار ، الى ان تصادف حاجزاً يحجزها ، وفي اثناء سيرها يسمع لها دوي كدوي الرعد ، وفرقعة كفرقعة الحديد ، أو أشد والحكومة البريطانية وهي لا تزال مسؤولة رسمياً في البلاد لا تبدي أي اهتمام ، بل ربما كانت هي المحرضة من طرف خفي ، بل ربما كان جنودها هم الذين يدربون على هذه الأعمال .

١٨ – لقد اعلنت الحكومة اليوم احكام منع التجول من الساعة الرابعة

---

(١) ليس هذا مجازاً ، فقد كان اليهود لديهم جميع انواع الاسلحة الفتاكة ، ومنها الصواريخ ، وكان هذا قبل سنة ١٩٤٨

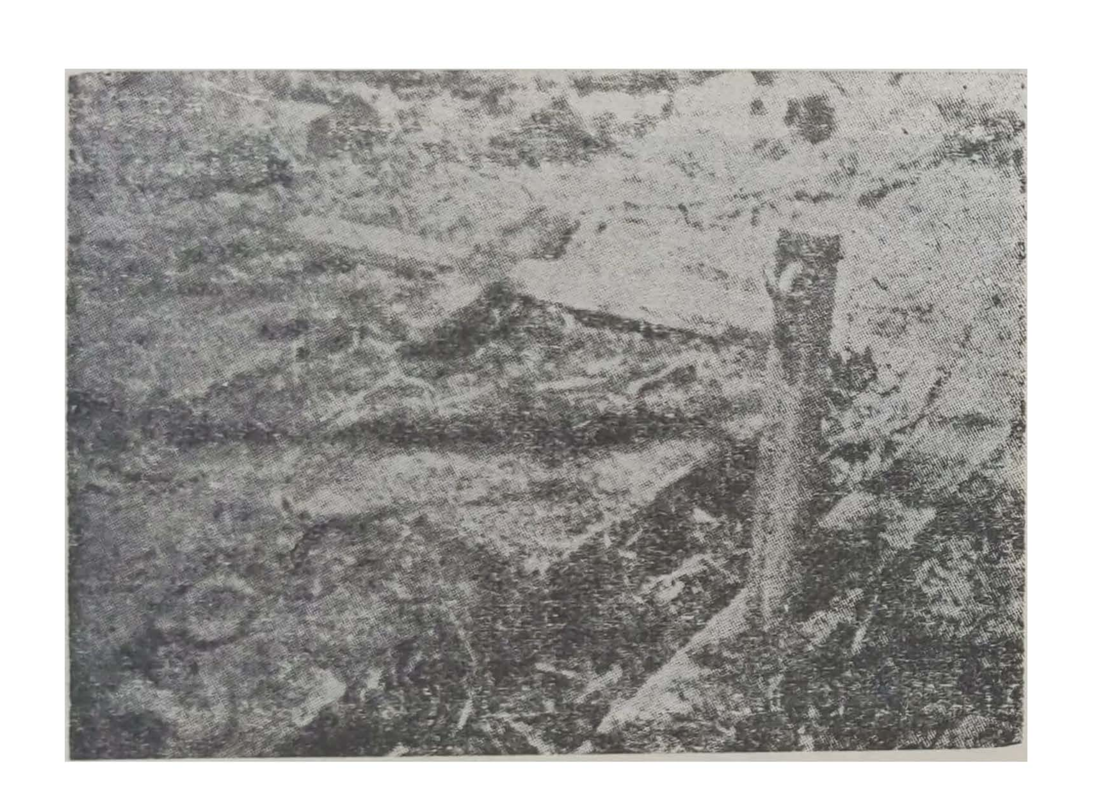
بعد الظهر الى الساعة الثامنة صباحا ، من اليوم الثاني ، وكان لزاماً علينا أن نبقى الى ساعة متأخرة في الليـــل في الجمعية الاسلامية للنظر في شؤون مستعجلة

ها قد انتهى العمل ، فهل نقضي هذه الليلة في داخل الجمعية ، أم نقضيها في بيوتنا ؟ واستقر الرأي على ان نسأل الحكومة ، فيما اذا كان بامكانها أن تأذن لنا بالسير ؟ لقد ابدت الحكومة استعدادها بأن تنقلنا الى بيوتنا بواسطة دبابة خصصت لنــا ، وبالفعل فقد ارسلت الدبابة ، وركبنا فيها فاذا بهـا تسير نحو « الهدار كرمل » حيث معقل اليهود هناك ، ووقف السائق وفتح الباب ، وزعم انه ذاهب ليأتي « بالبانزين » وغاب السائق البريطاني طويلاً وإذا باليهود يعرفون ان من بداخــل الدبابة ، هم اعضاء اللجنة القومية ، او بعبارة اخـرى ، الذين يديرون الحركة الحربية في البلدة ، وكان صيداً سهلاً ، ولقمة سائغة ، ولكن الله نجانا بأعجوبة

١٩ – لقد كان العرب يستعذبون هذا العذاب بل وأضعافه أيضاً ، ويستهينون بالموت أتدري لماذا ؟ لانهم سيستقبلون الجيوش العربية الظافرة

لقد سهرنا الليلة عند صديقنا «   » وكانت ليلة جميلة لان احاديثها كانت تدور حول هذا الحلم الجميل ، وهو دخـول الجيوش العربية الى حيفا ولقد تحمس صديقنا الشاب فأقسم أنه سيقبل رجلي اول جندي قادم من جيوش العرب يالها من ليلة حلوة ويا لأحلامهـا الجميلة الحلوة

ويا خسارة تلك الدماء العزيزة التي سفكت ويا لأرواح أولئك الشهداء ويا اطفالهم ويا نساءهم لكم رب العالمين



حتى الامــــوات في مقابرهم

لم يسلموا من اذى اليهود .. عندما هاجم اولئك المجرمون مقبرة المسيحيين في حيفا فنبشوا القبور وحطموا الصلبان كما ترى في الصورة



تظاهرة المسيحيين على نبش القبور

ثار المسيحيون الذين كانوا قد آثروا البقاء في اسرائيل على نبش القبور وتحطيم الصلبان .. وقاموا بمظاهرة صاخبة ضد هذا العمل البربري .. يتقدمهم رؤساء الدين وفي الطليعة رئيس اساقفة الروم الكاثوليك المطـران جورج حكيم

اليوم وقعت حادثة غريبة ، فقد جاء قائد المنطقة الجديد وهو انكليزي بالطبع ، ليتعرف علي في منزلي ، وكان شاباً قوياً عليه مخايل الرجولة ، فنصحته بأن يعامل العرب باليسرى فوعد بذلك ولكن رأيت في عينيه الشر فخرج وركب سيارته مع جنده وحرسه ، وأخذ يتجول في شارع « ستانتون » فلمح شباباً في دجى الليل مسلحين ، فحدثته نفسه ان يستوقفهم فاستوقفهم فأبوا ان يقفوا ، فانحدروا نحو الدرج المؤدي الى حارة الكنائس ، وهنا حدثته نفسه مرة ثانية بأن يلحقهم هو وجنده ، فعز على هؤلاء الشباب ان يتحداهم هؤلاء الجنود ، فوقفوا ودارت بينهم وبين هذا القائد وجنده معركة حامية ، انتهت بانتصار الشباب ، وقتل جندي ، وجرح هذا القائد جرحا بليغاً في يده وانسحب الشباب تحت ستار الليل

وحمل الجنود قتيلهم وقائدهم الى السيارة العسكرية ، وعندما وصلوا به الى المستشفى العسكري البريطاني ، سجل افادته فاذا به يصرح بان الشباب الذين ضربوه يعرفهم ، وان هذه مؤامرة قد دبرها (الشيخ محمد نمر الخطيب) وحمل اليّ هذا الخبر أحد جنوده الذين كانوا معه

أما الحقيقة ، فانها لم تكن مؤامرة ولم يدر بخلدي أن اكيد بضيف كان في منزلي قبل ساعة ، أما الشباب الذين اصطدم معهم فصحيح انهم من الحرس الذين كانوا عندي في البيت عندما كان في زيارتي .. فما العمل ؟ ولنتدارك هذه القضية ، وخوفاً من وقوعنا في اشتباكات اخرى مع الانكليز فقد ذهبت في اليوم الثاني مع الاخ (المحامي السيد صلاح العباسي) لزيارته وتوالت بعد ذلك الزيارات والهدايا اليه ، فكان لها وقع جميل في نفسه مما دعاه الى تقدير العرب ، وتحسين الظن بهم ، وتغيير افادته أيضاً ... وكان اول عمل قام به بعد خروجه من المستشفى ،

هو ان زارنا وقدم اعتذاره عن سوء ظنه السابق ، ولنا مع هذا القائد حكايات وقصص لطيفة سجلها أخونا (العباسي) في مذكراته

٢٠ – لقد كان لزاماً علي فوق ما اقوم به من أعمال مضنية ، ان أقوم ايضاً بامداد الصحفيين بالاخبار والدعايات واملاء الحوادث .. فهذا جرس الاستاذ (سلوم) يدق وهذا مراسل الدفاع قد أتى بورقه وقلمه

٢١ – اليوم بلغنا انه قد ارسل لحيفا قائد جديد فطلب مقابلتنا ..

لقد كنا وضعنا لحيفا قائداً وهو السيد (محمد الحمد) وانتهى الامر ، وربطناه باللجنة العسكرية بالشام بعد ذلك ولكن هذا التصرف لم يعجب (فريقاً) من الناس فماذا فعلوا ؟؟ لقد سعوا لإرسال قائد جديد لحيفا حقاً اننا نهدم انفسنا ايضاً ، وبعبارة أخرى اننا نساعد الخصم على هدم انفسنا ، وتخريب بيوتنا ولكن الله سلم فكان قائداً عاقلا متزناً ، فقد اطلع على الحالة في البلدة ، واقتنع بأنه ينبغي ان يرابط قرب (شفا عمرو) ليكون الخط الثاني لمدينة حيفا ، وهكذا كان

٢٢ – لقد اخبرني السيد ( ) بأن اليهود يريدون « رأسي » بأي ثمن ، وانهم قد وضعوا الرقباء لذلك ، وانهم قد ائتمروا اكثر من مرة لتدبير خطة قتلي او اغتيالي ، وانهم يتمنون الساعة التي اقع فيها في ايديهم ليمتصوا دمي ويطحنوا عظمي طحناً

لقد كان الذي اخبرني ذلك كثير الصلة باليهود ، ويعلم احوالهم بصفته في القضاء ، ولصفات أخرى بحكم عمله

ولكن كنت اجيب دائماً ، وكل ماقدّر الرحمن مفعول

٢٣ — لقد تعرضت اليوم (للموت) عشرات المرات ، ان لم يكن مئاتها ، وبسلاح من ؟ بسلاح اخواني العرب فيالها من قتلة مريرة .. لقد اضطررت ان اغادر بيتي الاول ، الى منزلي الذي وضعت فيه اطفالي الصغار ، فقد كنت كلما سرت عشرة امتار « ينبع » من امامي ، وعن جوانبي المناضلون العرب ، وينادون من ؟ قف

هذا كله ، على الرغم من ان الحـــراس الذين معي يصيحون باسم القادمين ، فما وصلت البيت الا بعد ان ذقت الموت ، وعرفت شكله ، وطعمه ، وريحه

٢٤ — سلمت للقائد بيتي لتوفر الشروط التي طلبها فيه ، واستعمل البيت مكاناً للقيادة العسكرية .. ولكن البيت اذا كان صالحاً لكل شيء فأنه لا يصلح لان يكون مقراً للقيادة العسكرية ، لقربه من اليهود ، وسير سياراتهم الكبيرة والصغيرة ، في الشارع المحاذي له

وحاولت ان اقنع السيد (محمد الحمد) ولكنه رحمه الله كان شاباً واثقاً بنفسه ، معتداً بها كل الاعتداد وبعد جهد نقلنا مقر القيادة الى الجمعية الاسلامية والجمعية كذلك لاتصلح لأن تكون مقراً للحركات الحربية ، وأخيراً نقلت القيادة الى شارع (الناصرة) حيث استقرت هنـــاك

٢٥ — لقد اضطرتني احـــوال البلدة لأن اجتمع مع مدير البوليس ونائبه ، وبعض ضباط البوليس من العرب ، ودار الحديث والحديث ذو شجون .. فاذا هم يستغربون من تصرف الحكومة في أمرها الرعايا البريطان بأن يغادروا فلسطين في الحـــال ، الى هذا الحد وصل خوف الإنكليز من اليهود

٢٦ — لقد كنا نضطر لأن نعقد اجتماعاً سرياً ثلاثياً . كل ليـــلة



المسيحيون يتظاهرون في حيفا

هذا منظر آخر للمظاهرات الكبرى التي قام بها المسيحيون في حيفا ضد اليهود الذين اقتحموا مقابرهم وفي الصورة ترى عددا كبيرا من الراهبات سائرات في صمت رهيب

من السادة : (رشيد الحـاج ابراهيم ، ومحمد الحمد ، ومن كاتب الكلمات محمد نمر الخطيب) واين نعقده ؟ كنا نبتعد عن كل بيت فيه هاتف او امور مشوشة ، وكانت اغلب هذه الاجتماعات ، تتم في بيت السيد رشيد ، في (البرج) وبعد منتصف الليل غـالباً ، ولقد كان الموت دائماً يهددنا

٢٧ – لقد اضطررنا الى تجنيد النساء لمداواة الجرحـــى ، وهكذا انشأنا بواسطة السيدة مـريم (مستشفى الأمين) ورعته الفضليات من النساء العربيات رعاهن الله ..

٢٨ – لقد تغيرت فكرتي عن الجندي البريطاني كل التغـير – لقد كنت اخذت عنه صورة جميلة ونبيلة ، ولكن الحوادث اثبتت لي عكس ذلك تماماً

فالجندي البريطاني يرتشي (بعلبة سجاير) او ببضعة قروش ، اليس هذا دليلاً على نهاية هذه الدولة ؟.. نرجو ان نرى ذلك بأعيننا

٢٩ – حيا الله ابناءنا الموظفين العرب ، سواء كانوا في سلك البوليس والشرطة ، ام كانوا في دائـرة البريد او غيرها فقد صـاروا كلهم عيوناً لنا يبلغوننا كل خبر مفيد ولا غرابة في ذلك فقد رأوا بأم أعينهم وشاهدوا بأنفسهم ان كل يهودي (عين) لأمته (وعامل) من عوامل كيانها ورقيها

٣٠ – لقد أخذت الحكومة البريطانية تتخلى عن البلدة شيئاً فشيئاً ، واخذت تسلم الدوائر ، دائرة بعد دائرة – فتسلم الدائرة التي في الحي العربي للعرب ، والتي في الحي اليهودي لليهود .. ولكن والأسفاه فأن اغلب هذه الدوائر واعظمها قيمة وقدراً في الاحياء اليهودية ...

ها هي ذي قد سلمت اليوم مركز (البوليس في الحي الشرقي) لمن

فيه من العرب ، ولكن مع الاسف ليس معهم من الذخيرة ما يمكنهم من الدفاع عنه

وقبلا سلمت مركز (البوليس العربي) المسمى (بالقشله) وهو واقع امام اهدافٍ عدة لليهود ، فكيف يمكن حمايته ؟؟...

٣١ – الجمعيات والنوادي في حيفا ، كثيرة العدد ، وقد تزيد عن الثلاثين وكل له قيادته وله رأيه ، ولكن الله وفق فأعاننا على جمعها .

٣٢ – لقد كان الدفاع على اشكال متعددة فكل حي وضعنا فيه الحرس والجنود المناضلين ، وكل من استطاع ان يتسلح ويحمي بيته واهله فعل ما يمكنه

* * *



هكذا اصبحت حيفا .. دماء ، وقتلى ، في الطرقات

صفحات للتاريخ

بيانات عن اللجنة القومية في حيفا

لقد اصدرت اللجنة القومية بحيفا عدة بيانات ، لتحذير العرب من غدر اليهود ، ولتثبيت العزائم ، واستنهاض الهمم

وان فيما حوته هذه التقارير من معلومات ، وما تدل عليه دلالة واضحة من اضطراب وسوء حالة ، وتصوير لنفسية الشعب ، من هيجان وقلق ، وحيرة وبلبلة

كل ذلك جعلني اوثر نقلها حرفيا ليدرك القارىء الحالة تماماً[١]

* * *

بيان رقم ١

من اللجنة القومية في حيفا

أيها العرب الأباة

لقد بدأت اللجنة القومية عملها ، وهي سائرة في الطريق الذي

---

(١) الفضل في اثبات هذه البيانات للسيد (صلاح العباسي) فقد ارسل الي اصولها فله الشكر .

سيصل بكم إلى ما تصبون اليه من عز وسلطان ، وهي يقظة ساهرة ليلا ونهاراً ، عاملة على ما يضمن سلامتكم ، ويؤمن سيادتكم ، ويحفظ كيانكم ، وتطلب اليكم شباباً وشيباً ، رجالا ونساء ، ان تتعاونوا مع لجنتكم ، للقضاء على الاستعمار والصهاينة ، ودفع كل غائلة عن وطننا العزيز

إن لجنتكم تطلب اليكم أن تمهدوا لها الطريق ، بمعرفة كل واحد واجبه ، والانصراف الى الاعمال الجدية ، لتتمكن من توجيهكم الى الغاية السامية والهدف المنشود

أيها العرب الاباة أمامنا واجبات جسام ، ولمضاعفة الجهد ومواصلة الكفاح ، نرجو أن يتذرع كل عربي وعربية ، بالصبر والثبات ، وان لاتستفزه الشائعات ، وان يظل في مركزه وعمله عند حدوث أي حادث ، خشية إلحاق الأذى به ، ومنعاً للفوضى

أيها العرب الاباة اتصلوا عند وقوع اي حادث بمكتب اللجنة القومية بواسطة التلفون رقم (٣٥٤٠ و ٢١٦٧) وهي تلفت نظركم الى الوصايا التالية ، راجية تحقيقها ، تأميناً للنظام ، ومحافظة على الأنفس والاموال والاملاك ، هي

١ – لايجوز الاعتداء على أي عربي

٢ – يجب نسيان كل خصومة ، وطي كل خلاف

٣ – لاتتجمهروا في الطرقات والساحات والمقاهي المكشوفة وغيرها .

٤ – ان القيام بأي اعتداء فردي ممنوع منعاً باتاً

٥ – امنعوا الاطفال من التجمع والتعرض لكل ما يعود عليهم بالاضرار

٦ – اياكم والاستغلال والتلاعب بالاسعار ، وخاصة الدقيق والخبز .

٧ – محظور على كل عربي القيام بأعمال السلب والنهب ، وإشعال الحرائق ، لأن هذه الاعمال تسيء إلى سمعتنا

أيها العرب الكرام

اللجنة القومية معكم ، في أعمالكم وفي منازلكم ومتاجركم ، لاتنفك عن قيامها بالواجب نحوكم في أي زمان وفي أي مكان ، وتقدر عبء المسؤولية التي تحملتها في سبيل انقاذ الوطن وتحريره من كل معتد أثيم .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله »

حيفا في ٢٥ محرم ١٣٦٧ و ٨ – ١٢ – ١٩٤٧

اللجنة القومية – حيفا

* * *

بيان رقم ٢

بيان عام للجمهور العربي بحيفا

١ – ممنوع التجمهر بالطريق والساحات

٢ – ممنوع اطلاق النار مطلقاً

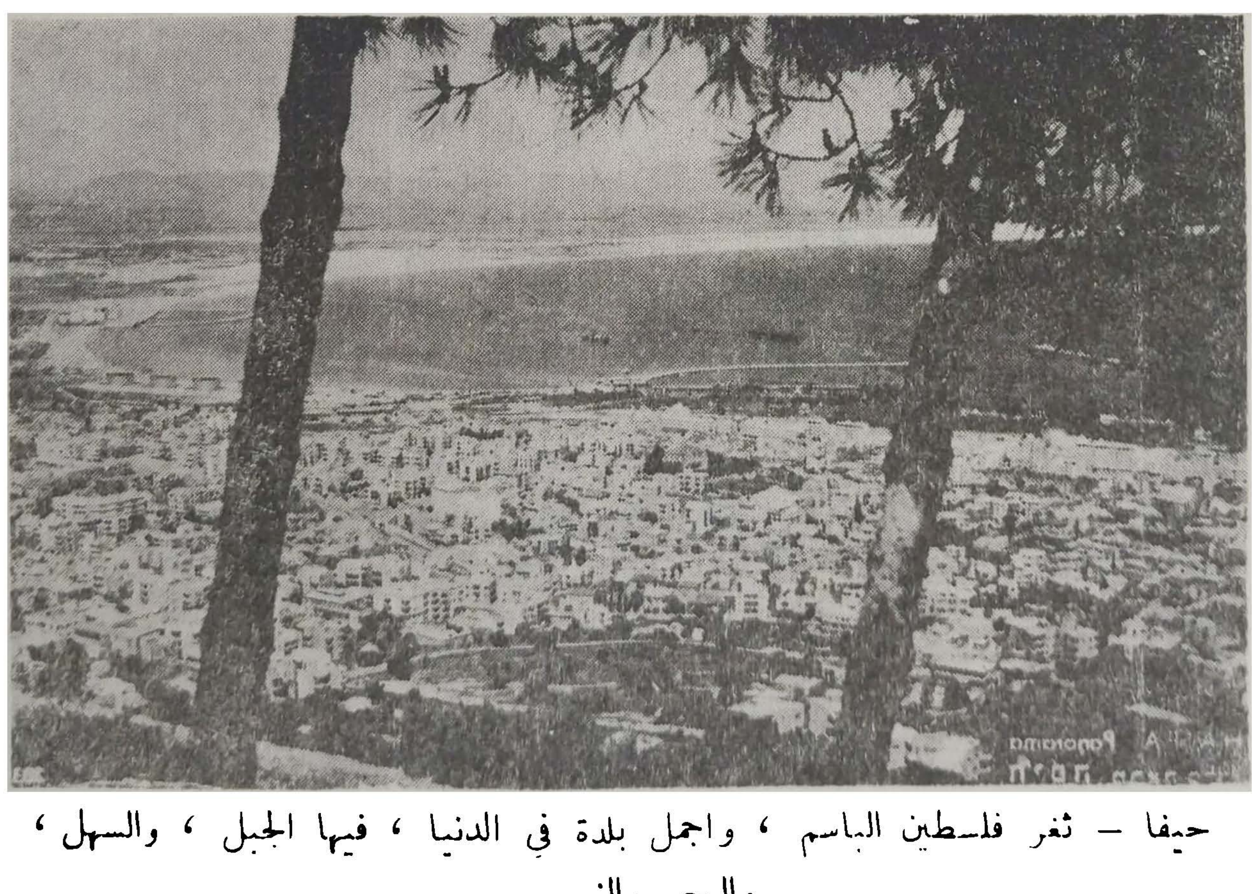
٣ – ممنوع الاعتداءات مطلقاً

٤ – ممنوع التجول وتجمع الاولاد بالشوارع والازقة ويجب ان يكونوا في مدارسهم او بيوتهم فقط

٥ – ممنوع القيام بالاعمال الفردية

ينبغي على الجمهور ان يتصل باللجنة القومية بحيفا بالامور الهامة العامة وليس بالمسائل الفردية

اللجنة القومية – حيفا



حيفا — ثغر فلسطين الباسم ، واجمل بلدة في الدنيا ، فيها الجبل ، والسهل ، والبحر والنهر

بيان رقم ٣

أيها الشعب العربي الكريم

احذروا الطابور الخامس !

احذروا دعاة الهزيمة !

انبذوا الجبناء الاذلاء !

احتقروهم حيث كانوا وكموا افواههم حيث حلّوا

ان هناك نفوساً دنيئة تعمل في الظلام ، وأيدي مجرمة خفية تصطاد في الماء العكر ، وألسنة سوء تشيع بينكم الاخبار الكاذبة ، والاشاعات الملفقة ، ترمي من ورائها نشر الفوضى ، وخلق الذعر ان لهم مآرب خاصة يخدمون بها الخصوم

هذا الطابور الخامس ، طابور خفي ، يعمل تحت سطوة المنفعة ، يزحف في الشدائد ، ويزحف في السلم ، وقد نجح في جولته الاولى اذ انه اثر في بعض النفوس ، فتركوا اموالهم نهباً للخصم ، ونزحوا عن بيوتهم ليحتلها العدو

يا سكان حيفا العرب شيباً وشباباً ، رجالهـا ونساءها ، فتيانها وفتياتها ، انتم معقد الامل ، انتم حجر الرحى ومناط الرجا ، اثبتوا في مراكزكم ، ثبتوا اقدامكم ، ردوا كيد الاعداء الى نحورهم ، قاوموا الفوضى والهزيمة والدسائس

اياكم ان يتسرب اليأس الى نفوسكم ، او يتسلل الرعب الى قلوبكم ، لا ينجو من الموت من خاف الموت ولا يعطى البقاء من احب البقاء ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين .

١٢ – ١٢ – ٤٧ **اللجنة القومية**

بيان رقم ٤

الى الجماهير العربية

لقد تشكلت في الأحياء العربية في مدينة حيفا ، لجان محلية ، تابعة للجنة القومية ، وتسترشد برأيها ، في كل ما يتصل بأمن السكان وطمأنينتهم وحراستهم ، ولهذه اللجان الحق بمنع السكان من النزوح عن بيوتهم ، وخاصة على الحدود المشتركة

واللجنة تعود فتحذر الجمهور العربي الكريم ، من التجمهر في الساحات وعند شركات النقل ، وفي الطرق والزوايا ، كما تحذرهم من العدو الذي يتنكر باللباس العربي وبالزي العسكري بقصد الغــدر بالسكان الآمنين ، واللجنة تدعو التجار الى فتح متاجــرهم ، والعمال بالرجوع الى عملهم ، وفي يقين اللجنة أن دور المفاجآت وشيك الانتهاء

١٤/١٢/١٩٤٧ — اللجنة القومية بحيفا

* * *

بيان رقم ٥

يا سكان حيفا العرب

إن اللجنة القومية ، التي هي منكم وإليكم ، الساهرة على مصالحكم ، المهتمة بأموركم والدائبة على المحافظة على أرواحكم وأموالكم بشق الطرق ، تطلب اليكم العمل بما يلي من إرشادات هامة ، والقيام بتنفيذها بحذافيرها :

١ – لا تخشوا أحداً إلا الله ، قابلوا الشدائد بحزم وعزم وايمـان ، واصمدوا أمام الطوارىء ، واثبتوا أمام الحوادث ، ولا تهنوا ولا تحزنوا .

٢ – دعوا الجدال جانباً ، واتركوا الانتقـادات المسيئة ؛ إذ فيها الضرر كل الضرر ، وإذا مـا عنت لأحدكم فكرة مفيدة ، فليبعث بها الى اللجنة وهي تتقبلها منه مع الشكر

٣ – اتكلوا ، بعد الله ، على لجنتكم الدائبة على خدمتكم ، الساهرة على حاضركم ومستقبلكم ، ونفذوا قراراتها وبياناتها بكل دقة ويقظة

٤ – اعتمدوا على المنظمات او الحرس الوطني ، إذ أنهم قد أخذوا على عاتقهم امر المحافظة عليكم ، ورد غارة الاعداء عنكم لا تتدخلوا بشؤونهم قدموا لهم كل مساعدة يطلبونها منكم ليتمكنوا من القيـام بالمهمة الملقاة على كواهلهم على أحسن وجه وأكمله . انهم حصنكم الحصين ودرعكم المتين

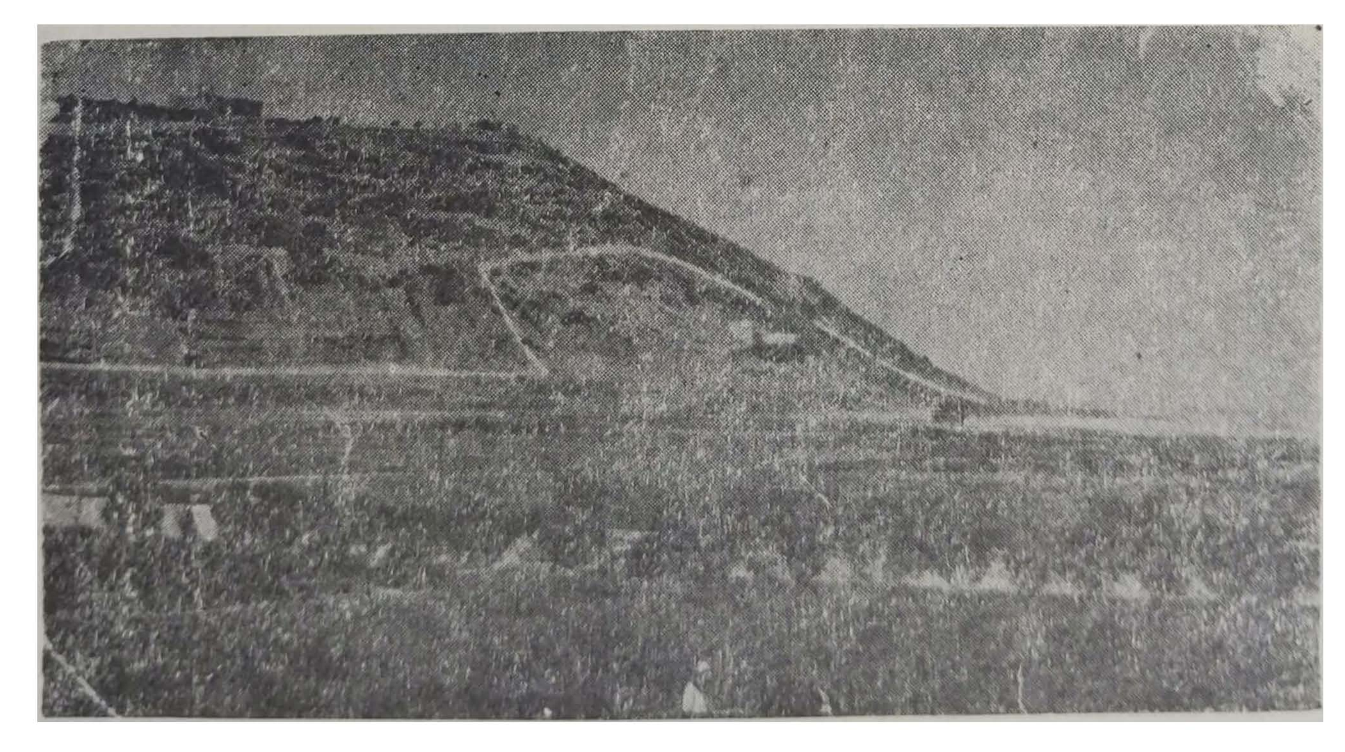
٥ – انبذوا الجبناء الذين يحاولون الفل من عزمـكم والاستخفاف بقوتكم . اطردوهم من بين صفوفكم ، واضربوا بأقوالهم ومحاولاتهم عرض الحائط واحتقروهم . انهم أشد ضرراً من الأعداء

٦ – لا تتجمعوا ولا تتجمهروا اياكم والبلبلة والجزع والفـرار والصراخ تبينوا من الاخبار الملفقة الكاذبة ولا تصدقوها

٧ – حافظوا على معنوياتكم ، وشدوا من عزائمكم ، ولتكن اعصابكم من فولاذ ، ولا تخافوا ولا تجبنوا فالجبن قتال

٨ – لا تغفلوا ابداً عن اقـامة الحرس في كل مكان ليلا ونهارا وخاصة في القرى

٩ – لا تعتدوا على أحد ، وخاصة النساء والاطفال ، وأما الاشخاص المشبوهون فسلموهم لهيئاتكم ، او لأقرب مركز من مراكز الأمن العام



منظر لجبل الكرمل في حيفا ، وعلى سفوحه ، ووديانه ، وتلاله ، كانت تدور المعارك ، تارة مع الإنكليز وتارة مع اليهود

١٠ – قاوموا اللصوص ، والمعتدين على أموال الناس ، دون شفقة او رحمة لأنهم جرثومة فتاكة ضارة

١١ – استمروا بأشغالكم واعمالكم ، ولا تهملوا وافتحوا متاجركم ودكاكينكم ومحال اعمالكم حسب العادة

١٢ – سددوا حالا ما فرضه عليكم بيت المال ، ولا تؤجلوا ولا تماطلوا

١٣ – اثبتوا في منازلكم ، ولا تخلوها للغير ، ولا تذعنوا لتهديد او وعيد

١٤ – احفظوا ألسنتكم ، وكموا أفواهكم ، ولا تتحدثوا مطلقاً عن كل ما يتصل بكم من معلومات تتعلق بوطنكم وجهادكم ، وما تتخذه هيئاتكم من ترتيبات ومقررات لحماية وطنكم وعلى كل من يبلغه سر او أمر هام من اسرار وامور هيئاتكم ان لا يبوح به لاحد حتى ولو كان فيه هلاكه

١٥ – كونوا ذلك الرجل الذي يؤدي واجبه بأمانة ، اذ الرجل من يقوم بالواجب الملقى على عاتقه بصدق واخلاص ، والرجل كل الرجل من ينصب من نفسه داعياً من دعاة الخير لبني قومه ويوجههم التوجيه الطيب تنفيذاً لمقررات الهيئات القومية

١٦ – تجنبوا الاصطدام برجال الأمن وكونوا على حذر

١٧ – اخبروا هيئاتكم القومية ، عن كل أمر هام ترونه وتعتقدون بصحته وفائدته كتابة ، وذلك خير وأنفع من الاخبارات الشفوية

١٨ – اقتصدوا ما امكنكم ، وقللوا من مصاريفكم ، واحتفظوا بأموالكم ، ومونوا بيوتكم بالحاجيات الضرورية ، ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين

١٩ – لا تتركوا بيوتكم في الليل ، ولا تخرجوا الى الشوارع والمقاهي ، بل الزموا بيوتكم واقفلوا ابوابها واطمئنوا

٢٠ – راقبوا الاعداء الذين يتنكرون بلباس العرب ، ويتزيون بزي رجال الأمن للقيام بأعمال الغدر والخيانة

٢١ – ليحتفظ كل منكم بصورة من هذه الارشادات ، للرجوع اليها ، ولا تنسوا ما بها ونفذوها دائماً

١٦/١٢/٩٤٧ اللجنة القومية بحيفا

* * *

بيان قرار رقم ٦

بيان من اللجنة القومية بحيفا

ايها الشعب العربي الكريم

لقد حدثت في الأيام الاخيرة حوادث دامية ، استشهد فيها ابطال من المجاهدين الأبرار ، وجرح فيها عدد كبير من الاخوان الاعزاء ، كما سقط فيها كثير من النساء والاطفال العزل ، ولقد كتب الله تبارك وتعالى لمن قتلوا الشهادة ، ولمن جرحوا عظيم الاجر

ان اللجنة القومية ، تعزي جميع العرب بشهدائهم الذين سقطوا في سبيل الله دفاعاً عن الوطن المقدس

ففي سبيله تعالى دماؤهم الزكية ، وفي سبيل الاقصى أرواحهم الطاهرة

ايها العرب الكرام

لقد وجهت اللجنة القومية اليكم البيان تلو البيان ، وأوضحت لكم ما يجب ان يكون عليه كل واحد منكم من استعداد ، كما حذرت في بياناتها من الاعمال الفردية التي ليست في مصلحتنا

اننا نكرر تحذيرنا من ان كل عمل فردي يضر بمصلحتنا ، لانها تترك الفرصة للفوضويين واصحاب المآرب السيئة ليندسوا بين الصفوف ، وليقوموا بأعمال تسبب الخلل في صفوفنا والفوضى في اعمالنا ، واذا كان الله سبحانه وتعالى سيكتب لنا في جهادنا النصر ، وسيحقق لنا ما نصبو اليه في هذه المرحلة الدقيقة من مراحل جهادنا من حرية واستقلال ، فنحن أحوج ما نكون الى توحيد قيادتنا ، وتنظيم صفوفنا وتكتيل قوانا ، بحيث لا يندس بيننا فوضوي ولا ذو مأرب ، ويكون اتجاهنا جميعاً تحت راية الحق والوطن ، خدمة قضيتنا

ايها العرب الكرام

لا تندفعوا وراء الاشاعات الضارة ، ولا تضربوا في الهواء ، ولا تقاتلوا الفضاء ، واعلموا ان مصلحتنا في هذا الظرف تتطلب ان يرتبط كل عامل منكم بلجنته المحلية ، وان ترتبط اللجان المحلية باللجنة القومية فقط

واللجنة توصي بعد هذا ان ينصرف كل واحد الى عمله وان يفتح كل تاجر متجره ، وان يزاول العمال اعمالهم حسب العادة

وتعتبر اللجنة كل عمل فردي ، عملا يشجع اللصوص والمعتدين على أموال الناس ، ولا يشرف القضية التي نقف جميعاً لخدمتها

ايها العرب الكرام

ان مصلحتنا الوطنية ، تتطلب ان يحتفظ كل منا بما لديه من قو

ومن عدة وعتاد ، وان لا يعتدي ، وان يحتفظ كل عربي بدمه الغالي لمعركة الحق معركة الحيـاة والموت وتعتبر اللجنة القومية كل مبدد لقوته مستهتر بعدته خارجاً على أمته ، وقد فوضت لجان الاحياء والحرس القومي بالقاء القبض على كل فوضوي عابث بنصائحها وارشاداتها ، وعلى كل مبدد لقوته مستهتر بعدته

عاشت فلسطين حرة عربية مستقلة ، والسلام على من اتبـع الهدى .

٢٧ – ١٢ – ٤٧

رئيس اللجنة القومية بحيفا

* * *

من يومياتي أيضا عن حيفا

متفرقـــات

١ – اليوم عينا (ياسين الطنيب) قائداً لمنطقة (حواسة) وعينا جنداً للدفاع عنها ، ولكن بعد ذلك الهجوم الذي قام به اليهود ليلا على هؤلاء العزل ، وقد فعلوا من المنكرات ما يعجز القلم عن وصف بعضه .

٢ – ها نحن نذوق من الأهوال ما يشيب الولدان الخطر في كل جهة وفي كل بيت وفي كل مكان ، وهذا نتيجة طبيعية لإهمال العرب كل هذه المدة وقد صدق من قـال الآباء يأكلون الحصرم ، والابناء يضرسون ...

٣ — الزمن لا ينتظر ، وهو يمر مر السحاب ، لقد كنا نحسب لهذا اليوم حسابه (على قـدر طاقتنا) فأنشأنا في جمعية (الاعتصام)[1] قسماً خاصاً لتدريب الشباب على اطلاق النار ، وصنوف القتال ، وكان ذلك بطريق السر ، والويـــل اذا عرفت الحكومة بذلك حقاً لقد انتفعنا بهؤلاء الشباب كل النفع ، وذهب كثير من شباب الاعتصام في سبيل الله

٤ — حيا الله شباب (التهذيب والمواساة) فقد قاموا بما كلفوا به من حماية المنطقة التي ولجت اليهم حمايتها . وهاهم قد تسلحوا بأموالهم الخاصة ، واقاموا لهم مقراً للدفاع الليلي في دار (عامر)

٥ — استولى اليهود اليوم على دار المرحوم (عبد الرحمن الحـاج) وهي تشرف اشرافاً تاماً على قسم من البلدة واخذوا يقذفوننا بالنـــار .

٦ — وقعت معركة جبـارة في درج (الناطور) ذهب ضحيتهـا زهرة من شباب العرب ولكن ضحايا اليهود كانت لاتحصى

٧ — شلت الحركة التجارية نهائياً ، فليس في الشوارع الا المناضلون ولا تسمع الا ازيز الرصاص

٨ — لقد امتلأ مستشفى (الامين) بالمجروحيين واصبح غير كاف . فاضطررنا لفتح مستشفى آخر في الحي الغربي ، قامت به عقيلات فاضلات من كرام الأسر وكان ذلك بمساعدة السيدة (قمر وزميلاتها)

٩ — حيا الله اصحاب شركات السيارات ، فقد تباروا في خدمـة القضية فكل قد وضع سياراته تحت تصرف الجمعية الاسلامية ، واللجنة القومية

---

(١) تألفت هذه الجمعية بحيفا برئاسة المؤلف في ٢١ من ذي القعده سنة ١٣٦٢ الموافق ١٩ — ١١ — ١٩٤٣ ، وكان لها فروع وخاصة في (شفا عمرو) وطولكرم .

١٠ – اليوم فاوضنا رجـــالاً من الجيش البريطاني ، بواسطة بعض المتصلين بهم ، على بيعنا كمية كبيرة من السلاح الحديث ، فماذا نقـول لهؤلاء الشباب المتحمسين .؟ الواقع اننا لا نملك المال ، واغلب أغنيـاء البلدة قد غادروها

١١ – ما هذا السلاح الذي ترسله الجامعة العربية ؟ بينما نرى أحدث الاسلحة عند اليهود حتى البندقية المصورة ، وحتى المدافع بأنواعهـا . نرى الجامعة العربية حفظها الله ترسل لنا السلاح البالي ، والبنادق التي أكلها الصدأ ومع هذا كله فليس له رصاص وربما تمزقت البندقية من اول طلقة اذا لم يكن رصاصها من جنسها ...

ومع هذا كنا نقول للجنود ! الصبر طيب يا شباب

١٢ – الحاجة ماسة الى قنابل يدوية وربما كانت ألزم من البندقية للبطش بالاعداء وتفريقهم ...

ولكن أين هي ؟ لقد جاءني الاخ (ابو محمود سرور) قائد المنطقة الشرقية وأخبرني ان لديه كمية متواضعة مخزونة من ثورة سنة (١٩٣٦) وربما لحقها تلف او عطب ، فأفهمته بلزوم احضارها لاصلاحها ، فأحضر ما يقرب من مائتي قنبلة ... وفي الحال اطلعت عليها الخبراء فأفتوا انها لا تزال صالحة للاستعمال ، وعند تجربتهـا خرجت كذلك ... ولكني هل استطيـع ان اقول (لأبي محمود) ذلك انه اذا فهم هذا اصر على اخذ بعض هذه الكمية وهكذا فان هذه الكمية المتواضعة كانت رأس مالنا في الجهاد والجلاد وعليها كان المعول في أول الأمر

١٣ – ما اغلى الشيء عند حاجته !! وما أرخصه في غير حاجته ان قطرة الماء لها كل القيمة في قفر او في بيداء وهي عادية جداً في المدن الآهلة ، وعند الانهـــار والينابيع . كذلك هذا السلاح ، لم

يكن له اهمية قط عندما كنا في امان وسلام   اما الآن فهو اعز من المال والولد   هو اغلى من الروح والنفس ، هو ألزم من الهواء والماء والخبز ...

لا أزال اذكر الايام الاول ، يوم ان كان الشباب يتسلحون بالعصي الرفيعة   لقد كان من اعذب امانيهم ان يروا مسدساً او بندقية

لم يكن لدي الا مسدس واحد صغير فكان الشباب يحملونه بالدور هذا من ساعة كذا الى ساعة كذا ، وهكذا   وكان العيد الاكبر يوم ان اشترينا سبعة مسدسات (رقم ٧) وحينذاك هلل الشباب وكبّروا وكأنما جاءهم الفتح والنصر

١٤ — لم أر اصعب من قيادة الشعب الفلسطيني من بين شعوب العرب قاطبة ، فالشموس والاباء متأصلان فيه وخاصة في حيفا لانها بلدة حديثة نزح اليها الناس من كل حدب وصوب ، وكل جماعة تريد الزعامة وكل فرقة تنحو نحو السيطرة وتريدها على الآخرين

ولا تنس ما فعلت السياسة والاحزاب من احن ، وما حشدت من حقد ، وما حصدت من كراهية وتفرق   ولكن الزمن كفيل بأن يضع كل احد في موضعه وما اصدق ما قيل   الزمن جزء من العلاج

الشدائد تفعل بالناس كما تفعل الشمس اذا طلعت فانها تظهر كل شيء على حقيقته وفي لونه وفي شكله

ها قد اتت الشدائد الكبرى على حيفا ، وليس هناك من لغة سوى لغة النار ، والعقل الجبار ...

ها هي (الخنافس) قد اختفت فقد فضحتها الشمس

وها هي (الزعانف) قد تلاشت فقد فضحها النور   وكشفتها الاحداث



مؤتمر عمان

في ٢٣ نيسان (ابريـل) ١٩٤٨ ثلاثة من الرؤساء الذين حضروه
وهم من اليمين الى اليسار ،

١ – الملك عبد الله بن الحسين ، ملك المملكة الاردنية
٢ – الامير عبد الاله بن علي بن الحسين ، ولي عهد العراق
٣ – عبد الرحمن عزام باشا ، الامين العام لجامعة الدول العربية .

لقد ذاب (الدجالون) وهرب (الثرثارون) ومن بقي منهم لاذ بالصمت والسكوت قل جاء الحق وزهق الباطل

لقد عرف الشعب ، الحابل من النابل ، وميّز بين الفارس والراجل ، واندحر الباطل واشياعه ، وانتصر الحق وأتباعه ، وقيل بعداً للقوم الظالمين

وقديماً قيل

سيذكرني قومي اذا الخيل اقبلت وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

١٥ – اليوم جاءنا خبر هام وخلاصته ان كباراً من اللصوص استولوا على قاطرات ملأى بالملابس العسكرية ، وبأجهزة عديدة للاسلكي وغيره وقد فرّغوا كل ذلك في عنابر كبيرة قرب المحطة الشرقية .

وكان لا بد لنا من الحزم ، ومن صدمة قوية لهؤلاء وعدم التراخي امامهم فأخذت المناضل الجريء السيد (أبو علي دلول) واقتحمنا تلك المخازن ثم كانت الخطوة الثانية ان استلمناها عن بكرة ابيها لتوزع على الجنود والمناضلين وقد سلمناها يداً بيد للسيد (يونس نفاع) ووضعها في مقر القيادة

١٦ – اليوم الجمعة لقد كانت (جمعة) يوم ان كانت حيفا حيفا ...

يوم ان كنت ترى الناس متوجهين الى بيت الله زرافات ووحداناً ، يتسابقون الى التبكير لحضور الدرس ، ونوال افضلية السبق

أما اليوم فماذا اقول ؟ لقد دخلت جامع (الاستقلال)[1] وهو اكبر

---

(١) قام على بنائه جماعة فضلاء اشهرهم الحاج عبد الله ابو يونس ، ولقد كان الشيخ عز الدين القسام اول خطيب له ، ومن هذا الجامع ، والجامع الكبير ، اندلعت الثورات وقامت المظاهرات وفيها كانت مدرسة المجاهدين

وكان المؤلف آخر خطيب لهذا الجامع .

جامع بعد الجامع الكبير ، فاذا هو خال او كالخالي لقد كان الناس فيه ألوفاً ألوفاً ، صفوفاً صفوفاً ، فوق بعضهم البعض ، وكان النـاس يسجدون على بعضهم من شدة الازدحـام وكنت اذا دخلت لا أطأ إلا على لحم وأما اليوم فان المصلين في يوم الجمعة يعدون بالعشرات لا بالمئات

لا أدري كيف خطبت الجمعة ، والرصاص يتطاير من فوق الجـامع وعن جوانبه

إنه يوم حزين ، يدمع له القلب قبل ان تدمع له العين لقد كان خطابي في الثبات والصبر ، وان الجيوش العربية آتية لا ريب فيها والعرب كثير والمدد متواصل ورجال الجزيرة لا تنضب ، وان العرب لو بصقوا على اليهود لأغرقوهم ، وانهم لو رمـــوهم بالحصا لجعلوا فلسطين كلها جبالا ، ولكن كيف يصدقني الناس ، والواقع لا يصدقني ، ها نحن نستنجد في كل يوم ، ولا ننجد إلا بالمواعيد

ورحم الله من قال « أنا الغني وأموالي المواعيد »

ولا ننصر إلا بالتصاريح ، ولا نغاث إلا بالكلام الشهي ، والحديث العذب ، المعسول

ولكن هل هذا ينقذ النفوس ، ويشفي الجرحى ؟!..

* * *

١٧ — الآن قد نفضت الـــتراب عن يدي لقد اشتغلت اليوم حفاراً للقبور ، نعم ، وفي سبيل الله ما لاقيت

لقد كان الوقت بعد الغروب حينما جاء اخونا المجاهد (سعيد عطية) وصاح في وجهي صيحة نكراء فسألته عن الخبر فقال مجاهد بدمه لم نجد

من يساعدنا في حفر قـــبره   قلت نعم وستجدني إن شاء الله من الصابرين ، ثم نزلت الى المقبرة وجمعنا من قدرنا من الشباب ، واستنهضنا هممهم في مواراة أخ مجاهد قتل غدراً من اليهود في ساحة الشرف والوغى ...

وهنا انزل الحـاج (أمين الغفري) مصباحاً من بيته ادلاه بالحبـل لنتمكن من دفن الشهيد ، والرصاص متواصل ، وكنـــا نحفر ونخشى الحافر ، ان يكون قد أعد حفرته بيده

لقد كان ذلك الشهيد ابن مصطفى الديك رحمه الله تعالى

* * *

مقتطفات من المذكرات

خـــاطرات

اليهود

لايزال العرب إلى الآن في البـلاد العربية ، يجهلون حقيقة اليهود — وقوتهم ، ومدى تأثيرهم في العالم كله

والعرب قسمان الجيل القديم ، وبعض من الجيل الحديث . اما الجيل القديم فهم لايزالون يحلمون ان اليهود كما كانوا يسمونهم (اولاد الميتة) جبناء ، بخلاء ، أذلاء ، واننا (نحن العرب) نستطيع ان نرميهم بالبحر .

ولو لم نستعد ... ولو لم نتعلم

ولو بقينا هكذا في فوضانا

وفي جهالاتنا

وفي خصوماتنا

وفي تناحرنا

اما (البعض الآخر) فالمصيبة معه اعظم ، والبلية فيه اكـــبر . فهؤلاء لما يشعروا بعد بالخطر اليهودي ، والأفعى الصهيونية واخاف أنهم لن يشعروا ..

* * *

نحن هنا من نقاتل .؟؟

اننا نقاتل شعباً منظماً ، متعلماً ، داهية ماكراً خبيثاً ، وفوق ذلك فقد جمع ثروات العالم ، ومقدرات الدنيا بين يديه

لقد كان اليهود في المانيا ثمانين الفاً ، وسط ثمانين مليوناً من الشعب الألماني الجبار المتعلم كأرقى شعب في العالم كله

ومع هذا فقد استطاع اليهود ان يجعلوا مقدرات المانيا بأيديهم ، وان يمتصوا دماء الشعب الألماني ، ويجعلوا المانيا مستعمرة يهودية .. فكان من لطف الله تعالى ان سلط عليهم (هتلر) فردهم عبيداً ونكل بهم شر تنكيل وأقام المجازر البشرية ، لاشلت يمينه

لا أزال اذكر الى الآن ذلك السؤال الذي طرحه علي أحد كبار الحجيج في مكة[1] قال كيف تغلّب عليكم اليهود وهم شرذمة ؟.

قلت يا صاحبي نحن لانقاتل اليهود الذين تعرفونهم ، وانما نقاتل القوى التي تغلبت على العالم ، نقاتل القوة التي قهرت (هتلر) واذلت (اليابان) نقاتل الصهيونية العالمية التي تستخدم (ترومان) وتستعبد (تشرشل و اتلي) .

إننا نقاتل الصهيونية العالمية المستولية على (لندن) والمستعمرة (نيويورك) و (واشنطن)

واني اؤكد لك يا صاحبي لو ان هذه القوى سلطت على غير أهل فلسطين لسحقتهم سحقاً ، ولكن أهل فلسطين وهم بقايا السيوف ،

---

(١) كان ذلك عام (١٩٤٩) وكان المؤلف الموفد الخاص للمرحوم الملك عبد العزيز آل سعود ، بمهمة خاصة ، من قبل فخامة شكري بك القوتلي رئيس الجمهورية السورية آن ذلك .

وأحفاد الذين طردوا الصليبيين ، استطاعوا ان يصمدوا مدة ثلاثين سنة على الأشواك والأهوال والمنايا والحتوف

* * *

من سيء الى أسوأ

وماذا يعمل أهل فلسطين المساكين   لقد خرجوا من حكم الاتراك وهم أميون جاهلون

ثم دخلوا في حكم البريطـان الذين كانوا آلة بيد اليهود ، فأفسدوا عليهم كل شيء

ومع هذا فقد صمدوا .. يهود فلسطين هم علماء عالميون من اطبـاء وحقوقيين ومهندسين ، وميكانيكيين ، ومخترعين وصناعيين ، ومما يخطر على فكرك من علم ، وفن ، ومعرفة

حتى ان كثيراً من سائقي السيارات كانوا من حملة الشهادات العالية ودكاترة وأطباء .!!

وفوق هذا فانهم عندما وقعت الواقعة استخدموا كبـار الفنيين العسكريين من روسيين ، وانجليز ، واميركين ، لأدارة فنون الحرب في ميادين القتال . هؤلاء هم أعداؤنا يا صاح ..

* * *

نحن وهم

النظام لا يخلق دفعة واحدة .

التعليم لا يكون في دقائق ..

اقول هذا بمناسبة ما ارى في صفوفنا من فوضى وخلل .



عند اشتداد الازمة في فلسطين بايامها الأخيرة ، اوفدت جماعة الاخوان المسلمين بالقاهرة ، الاستاذ عبد المعز عبد الستار ، للأصلاح بين الفئات المختلفة وقد جاء حيفا وحل ضيفاً على المؤلف

وفي الصورة يرى في الوسط بالعمامة المصرية ، وعن يمينه الشيخ مصطفى الصوري ، والشيخ محمد السباعي ، والصيدلي محمد الحنفي ، وعن شماله المؤلف ، والشيخ عبد الرحمن مراد ، والشيخ محمود الحنفي والجالس محمود منور يوم كنا ، وكانت حيفا ..

لقد اصدرت (اللجنة القوميـــة) عدة بيانات ، واذاعـت شتى الاذاعات تحظر الأعمال الفردية ، والاعمال الفردية لاتزال

وتحذر من الفوضى ، والفوضى لاتزال . ولكن لنا عذرنا ولهم عذرهم ، لقد اردنا ان نخلق دولة في دقائق ، وشعبا في ساعات فأخفقنا

أما هم فقد اعدوا لهذا اليوم عدته من مئات السنوات ، وهيأوا كل شيء وصدق من قال

أأبيت سهران الدجـى وتبيته نوماً وتبغي بعد ذاك لحـاقي ؟؟

لقد كنا وكانوا تماماً كما يأتي

هم قد اعدوا كل شيء ولم يبق إلا اعلان الدولة

ونحن لم يكن عندنا شيء فأعلنا دولة

المسجد المحزون

اليوم مررت حول (الجامع الكبير[1]) فنظرت الى داخله وأروقته فوجدته خالياً ليس فيه سوى (عصافير) هنا وهناك

خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت ان تنقري

لقد كان هذا المسجد قبل أيام لاقبـل أشهر يضج بالمصلين ، ويموج بالداخلين والخارجين ، هنا كان يعظ فضيلة الأستاذ الشيخ (سيد علي جعفر) الذي انتدبه الجـامع الأزهر الشريف بنـاء على طلب الجمعية الاسلامية ليكون واعظاً لحيفا وهنا وهنا

---

(١) اكبر مسجد في حيفـا يرجع بنـاؤه الى اقـدم العصور ، قام على اوقافـه وامامته وخطـابته آل الخطيب ، وكان آخر خطيب له الشيخ يونس الخطيب الذي توفي في طرابلس رحمه الله .

لقد كان نعم الواعظ والمرشد ، تعلقت به القلوب ، والتفت حوله النفوس الزكية ، لقد اضطرت الجمعية الاسلامية ان تضع (مكبرات) للصوت ليستفيد الرائحون والغادون في ساحة الجرينة

رحم الله تلك الأيام

هل تعود ؟؟

مررت بالمسجد المحـــزون اسأله هل في المصلى او المحراب مروان ؟

عزام باشا

نحن في (حيفا) وان كنا نرى الاهوال التي بعضها يجعل الولدان شيباً

ولكننا آمنون مطمئنون إلى النتيجة إنهـا لاشك حسنة وعظيمة وجميلة سوف لا تسقط حيفا بأيدي اليهود أبداً

انها آخر ملجأ للجنود البريطان هذا اولاً

أما ثانيا فأني أنا شخصياً قد سمعت من عزام باشا أمين الجامعة العربية منه ذاته عينه نفسه تأكيدات جازمة ان حيفا لن يتركها الانكليز لتسقط بيد اليهود

ان بعض هذه الوعود وبعض هذه التأكيدات تجعلنا في سبات عميق وفي نوم أطول من نوم أهل الكهف

ومع هذا فأننا لم نتم لأننا نرى اعداءنا متيقظين دائماً ، وكيف ننام والسيف مصلت على رؤوسنا ؟ والقنابل من فوقنا ومن تحت ارجلنا ؟

واليوم قلت لنفسي كيف تتفق وعود (عــزام باشا) وما نرى من هذه الاهوال ؟؟..

صفحات اخرى للتاريخ :

سير الحوادث من بيانات اللجنة القومية بحيفا

لقد ازدادت الحالة سوءاً على سوء ، وهجر كثير من النـاس البلدة ، وأصبحت (حيفا) خالية أو كالخالية ، وأصبحت الحالة تنذر بالخطر الاكبر

ولقد أصدرت اللجنة القومية عدة بيانات اخرى ، كل سطر منها ، بل كل كلمة من كلماتها تدل على سوء الوضعية التي وصلت اليها (حيفا) في اخريات أيامها ... فهذا تاجر فتح بطنه ، وهذا موظف ترك واجبه ، وهذا عامل ترك عمله ، وهناك عصابات من اللصوص تألفت

وها أنا ذا انقل هذه البيانات[1] بنصها لتكون مع هذه المذكرات صفحات للتاريخ واثباتها يكفي عن التعليق عليها

* * *

(١) الفضل في اثبات هذه البيانات للاخ السيد صلاح العباسي بارساله اياها

بيان رقم ٨

بيان اللجنة القومية بحيفا

الى البقالين والتجار والمستهلكين العرب

ايها الاخوان

لقد وصل الى اللجنة شكاوى متعددة ، حول تلاعب بعض التجار الجشعين بالاسعار ، وحصص المستهلكين العرب الشهرية من دقيق وسكر وغيره ، منتهزين هذه الاوقات الحرجة ، لتمتلىء بطونهم من مؤن الجائع ، وخزائنهم من دراهم الفقير ، ولا يسع اللجنة الوقوف مكتوفة الايدي أمام جشع هؤلاء التجار وطمعهم ، ولذلك قررت معالجة هذه الشكاوى بحزم لا يعرف الهوادة ، وبعزم لا يعرف اللين

وليعلم البقال الذي لا يقدر ظروف امته وأبناء جلدته ، انه بطمعه يسيء الى قضية بلاده ، ويسيء الى وطنه

أيها الأخوان

ليذكر البقالون العرب ان الوضع في البلاد يتطلب التضحية بالدماء وبالارواح ، وأن (الربح المادي الضئيل) الذي يرقبه بعضهم من أرملة فقدت زوجها ، أو ابن فقد أباه ، او من مجاهد نصب نفسه لله ، ووقف دمه لوطنه ، هو ربح لا يعود عليهم إلا بالسوء والضرر ، وهو الربح الذي يعصف بالأموال ، ويفني الاعقاب

لذلك فاذا عالجت اللجنة هذه الشكاوى فانما تفعل ذلك حرصاً على المصلحة العامة وحباً بالوحدة الوطنية ، وابقاء على المودة والمحبة بين ابناء الامة المهددة .

أيها الاخوان

ان اللجنة ترجو ان يطلب كل مستهلك حصصه الشهرية المعتادة من بقاله ، كما ترجو ان لا يدفع أي مستهلك عربي زيادة عن سعر ما هو معروف للمؤن ، وهي مستعدة لسماع أي شكوى ، وإيصال كل صاحب حق الى حقه ، واتخاذ الاجراءات الرادعة بحق كل تاجر جشع

والله تعالى هو ولينا جميعاً وهو حسبنا ونعم الوكيل

١٩٤٨/١/٨ اللجنة القومية بحيفا

★

بيان رقم ٩

بيان اللجنة القومية بحيفا

الى العمال العرب في شركات الزيوت
ومعسكرات الجيش وورش سكك الحديد
وجميع العمال العرب في حيفا وقضائها
وإلى أفراد البوليس وغيرهم من الموظفين العرب

أيها الاخوان الاعزاء

ان اللجنة القومية بحيفا ، تعتبر قضايا العمال والموظفين من أهم القضايا التي يجب ان تعالج بمنتهى الحزم وغاية السرعة .

وقد أخذت اللجنة على عاتقها الاهتمام بقضاياكم والأخذ بناصركم ومعاونتكم في كل ما يضمن سلامتكم ويؤمن مصالحكم حاضراً ومستقبلاً ،

لذلك لا ترى اللجنة اي ضرورة لانفصال احدكم عن عمله او التأخير عن تأدية واجبه ، كما تطلب الى افراد البوليس البقاء في أعمالهم وتحذرهم من الهرب بأسلحتهم وعتادهم ، لما ينتج عن ذلك من اضرار يجب ان نتجنبها

ايها الاخوان

ابقوا في أماكن عملكم ، واعتقدوا ان كل من ترك عمله يسيء الى نفسه ويسيء الى وطنه ، لأنه بالاضافة الى خسارة عمله ومورد رزقه يفسح المجال لعامل اجنبي ليحل محله .

وترى اللجنة ان موارد بلادنا يجب ان تبقى بأيدينا ولا يتسنى لنا ذلك إلا اذا استمر العمال في شركات الزيوت ومعسكرات الجيش في اعمالهم والموظفون وافراد البوليس .

وليعلم العمال وأفراد البوليس والموظفون ان واجبهم الوطني في الوقت الحاضر البقاء في اعمالهم .

وثقوا ان اللجنة ساهرة على مصالحكم ، مستعدة للعمل مهما كلف الأمر لضمان مستقبلكم وحمايتكم وهي لن تتأخر عن معالجة كل أمر يهمكم .
والسلام عليكم .

٨ / ١ / ١٩٤٨ اللجنة القومية بحيفا

* * *

بيـان رقم ١٠

بيـان من اللجنة القومية بحيفا

أيهـــا الشعب العربي

في وسط هذه المعركة التي نخوضها اليوم بكل قوانا ، معركة الحياة او الموت ، ومن خلال اصوات الشهداء الابرار الذين رووا تربة البـــلاد بدمائهم الزكية وسقطوا صرعى الظلم والعدوان ، وفي هذا الجو المكفهر ، الذي يرتفع فيه أنين الجرحى ، ولا نسمع فيه إلا دوي القنابـــل وأزيز البنادق ولعلعة الرصاص ولا نرى إلا دوراً تحرق وتهدم ، وشبابـاً غضاً يسقط ويذوي في اعتـــداءات مروعـة آثمـة ، يقوم بها الخصوم بين حين وآخر .

وفي هذه الايام التي يقف فيها العالم العربي دوله وشعوبه لنصرتنا ، ويقدمون أبناءهم في سبيلنا ، ويجندون قواهم ومواردهم لرد العدوان عنا ، في هذا الوقت ، تخرج فئة ضالة مرتزقة نفعية ، لا ضمير لها ولا وجدان تخرج لا للقتـــال والنزال ، ولا لرد العدوان والكيد ، وإنمـا تخرج ويا للأسف ، للسلب والنهب ، للاعتداء واللصوصية ، تخرج لتملأ جيوبهـا مالا حراماً ، وسحتاً مهلكاً ، تخرج لتشهر السلاح في وجه أبناء الأمـة وتنهب الارزاق والاموال ، وتعيث في الارض الفوضى والفساد .

إلى هذه الفئة الضالة نوجه النـداء ، لا تساهل معكم بعد اليوم ولن تنسى لكم الامة هذا الموقف المخزي ، ان غضب الله يحل على كل سارق . ونقمة الامة تحيق بكل مارق ، فارجعوا عن هذا الطريق الضال وعودوا الى صوابكم ورشدكم ، وكل من جاء منكم قاصداً النهب والسرقة فليرجع

الى مدينته او قريته تائباً مستغفراً . وقد الفت في هذه المدينة لجنـــة للأمن تابعة للجنة القومية ، كما الفت محاكم شعبية عسكرية ومدنية تتولى محاكمـة السارقين والعابثين ، وإحقاق الحق ، وتأمين الناس على أنفسهم وأموالهـم ، وستكون ضربتهـا قوية قاصمة ، وقد اعطيت لها الصلاحيـات الواسعة للضرب على ايدي المعتدين والمجرمـين وستكون اللجنة القومية والقيادة الوطنية ولجنة الأمن هي الهيئـات المسؤولة عن الأمن والنظام في مدينة حيفـا .

ايهـا الشعب العربي

إن الشرائع السماوية والمبادىء الانسانية تحرم اعمال السرقة والنهب ، وتحارب مرتكبيها . وان الشعب العربي والهيئة العربية العليا ، يعتبران هذه الاعمال خروجاً على المبادىء الوطنية . فلنجند جميع قوانا ومواردنا وجهودنا ونشاطنا لتحطيم أعدائنا ورد العدوان عنا ، والسير بالأمة الى طريق المجد والعزة والحرية والاستقلال .

١ / ٣ / ١٩٤٨ اللجنة القومية بحيفا

* * *

بيان رقم ١٢

بيان الى الشعب العربي الكريم

ايتها الأمة المجاهدة

من حقك ان تستقري في وطنك الغالي ، ومن حقك ان تنالي ما نالته الامم من قبلك في اوطانها من عز وسلطان .

من حق ابنائك الكرام ان ينعموا بتراثهم الخالد وبحريتهم واستقلالهم المنشود .

لقد مضى على جهادك الطويل المضني أربعة وثلاثون عاماً ونيفاً فما وهن لك عزم ، ولم تلن لأبنائك الغر قناة .

وما كان العرب الكرام في هذا القطر من اقطار العروبة يخرجون من معمعة لتحطيم قيد إلا ليرمي بهم الاستعمار والصهيونية في قيد آخر ، وانقضت الاعوام والأحابيل تحاك ، والدسائس يسري في البلاد سمها ، والامة العربية ماضية في جهادها ، متصلبة في حقها كريمة في تضحياتها. ولسان كل فرد منها يقول : ان الله لا بد ان ينصر عبده ، ويعز جنده ، ويهزم الاحزاب من متشردين ومستعمرين وحده .

وشاء الله ان تأتمر الدنيا في آخر فصل من مهزلة الصهيونية الأثيمة ، ليوقع بها النكبة ، ويحل بها النقمة ، فكان قرار هيئة الأمم بالتقسيم ، ولكن امة تعلم انها على حق في جهادها ...

وتعلم ان حياتها رهينة بما تقدم من مهج وأرواح ، فقد اعتبرت المؤامرة كغيرها من المؤامرات وحزمت أمرها على خوض المعركة لتنصر الحق لأنه الحق .

وبينما تتجمع الجموع ، وتنعقد الرايات ، وتتقدم الطلائع ، ويصل الى آذان ساسة العالم المتآمر ، اصوات صهيل خيولنا ، وقعقعة اسلحتنا ، وزئير اسودنا .

وبينما تفوح في ربوع الوطن الغالي رائحة الجنة ، تحملها أرواح الطلائع من ابنائنا الاعزاء ، وإخواننا الاوفياء

إذا بالمؤامرة على تمزيق بلادنا تصرع في مهدها وتدفن في لحدها .

وإذا بالاميركان وشركائهم من الدول المؤيدة للتقسيم ـ ما عـدا روسيا الشيوعية ـ ترجع القهقرى .

الى ارادة الحق ، الى ارادة الامة العربية الكريمة .

الى ارادة المرابطين في الثغور ، والمدافعين عن الحمى بالصدور وبالنحور .

ايها العرب الكرام

ان اللجنة القومية ترفـع اليكم اولى بشائرهـا ـ بأن المؤامرة على تقسيم بلادكم وتمزيق وطنكم قد فشلت ، وان حلم الاعداء بتأسيس الدولةالموهومة على انقاضكم قد تبدد ـ .

وهذا لا يعني ان جهـــادنا قد انتهى بل قد ابتدأ ، وسيستمر حتى يرفع الخصم يديه مستسلماً

فعلينا ان نواصل عملنا وان نحذر المفاجــآت ، والغدر ، وان نثبت مراكزنا ، ونعمل على ما توحي به هيئاتنا وقياداتـا ، وبهذه المناسبة ترى اللجنة القومية لزاماً عليها ان تلفت انظاركم الى ما يلي

١ – انا نعتبر ما تم حتى الآن نصراً تمهيدياً لما يأتي به المستقبل القريب من نصر كامل ، فعلينا اذاً ان نحيي ذكرى شهداء هذه المرحـلة الأبطال وان نخلد ذكراهم .

٢ – ان نتجنب اي صدام مع رجال الأمن والجيش في المرحلة القادمة وأن تستمر سياستنا في عدم الاعتداء على دوائر الحكومة ومنشآتهـا كما كانت في السابق .

٣ – ان نتجنب الاعمال الفردية .

٤ – ان يحتفظ كل منا بمركزه وان ينفذ ما يصدر اليه من أوامر وتعليمات .

عاشت فلسطين حرة عربية موحدة مستقلة
وعاشت ذكرى الشهداء .

حيفا ١٠ جماد الاولى سنة ١٣٦٧ هـ الموافق ٢٠ /٣/ ١٩٤٨

البيان رقم – ١٢ اللجنة القومية بحيفا

ملاحظة :

لم اعثر على البيانين رقم (٧) ورقم (١١) .

تعليق متواضع :

فرحة ما تمت ... وواخجلتاه من دماء الشهداء ومن أرواح الاجداد والآباء ...

* * *

وصفحات للتاريخ ايضاً

من بيانات الاعداء

لقد رأيت من تمام الواجب علي للحقيقة والتاريخ ان اضم الى بياناتنا العربية السابقة بيانات اخرى للاعداء ..

احدها بيان اصدره المجلس القومي اليهودي والآخر اصدرته (الهاغانا) والثالث (الهاغانا) أيضاً . . .

ومنها يطلع القارىء على كثير من لؤم اليهود ، بمحاولتهم إيقاع التفرقة في الصفوف ، والدس بين الجماعات وكيف انهم طبقوا المثل القائل – ضربني وبكى وسبقني واشتكى ...

وأخيراً فيها اعتراف بجرمهم واجرامهم وها هي منقولة اليك بحروفها مع عجمتها ، ولكنتها ... مع يهوديتها ... أيضاً

* * *

بيان رقم ١

الى العرب

ايها العرب : ان المجلس القومي ليهود فلسطين (فاعد لئومي) يخاطبكم بروح السلام ، ويدعوكم الى عدم السير وراء المحرضين على الاضطرابات وسفك الدماء .

ومهما يكن اولئك المحرضون فانهم لا يبغون مصلحة الجماهير العربية بل مصلحتهم هم . اذكروا : اربع سني الاضطرابات التي سبقت نشوب الحرب الاخيرة قد اوقعت البلاد في حالة الدمار والنهب والقتل . وكان عدد العرب الذين قتلوا بايدي العرب لا يقل عن عدد اليهود الذين سقطوا بايدي اولئك القتلة انفسهم ـ وان تلك الاضطرابات لم تفزع اليهود .

ولا يتوجه اليهود اليكم بهذه الاقوال لانعدام القوة لديهم ، فمن الواضح لكم انه اذا لم تضع الحكومة حداً لاعمال النهب والقتل التي بدأ بها العرب واذا لم تكبحوا جماحها انتم ، فسيتخذ اليهود جميع الوسائل للدفاع عن انفسهم بانفسهم . وهم قادرون كل المقدرة على الدفاع عن انفسهم الا انهم لا يودون الخصام بل الاخاء .

ان اليهود ينوون انشاء دولتهم ضمن الحدود التي عينت لهم بموجب قرار الامم المتحدة ، بتعاون اقتصادي وود تام نزيه ، انهم لا يبغون الهدم بل البناء .



المرحوم السيد عبد الرحمن الحاج

اول رئيس عربي لبلدية حيفـــا ، كان شديد التمسك بدينه ووطنه. تولى رئاسة الجمعية الاسلامية ، وادارة الاوقــاف الى ان توفاه الله في ١ شبــاط سنة ١٩٤٦ ننشر صورته لمناسبة تكرر ذكره في الكتاب

ان العمران اليهـودي هو الذي ادى الى ازدهار وغنى البـلاد كلها في الماضي ، وهو سيكون في المستقبل ايضاً مصدر بركة لا ينضب لليهود والعرب معاً .

لا تأبهوا لمثيري الفتن وأزيلوا المحرضين عن الميادين العامـة واقبلوا اليد الممدودة للسلام .

القدس كانون الاول ١٩٤٧

المجلس القومي ليهود فلسطين

* * *

بيان رقم – ٢

الى عرب فلسطين

لقد طلبنا اليكم اكثر من مرة ، خلال الشهر المنصرم ، الكف عن اطلاق النار ، والعودة الى الهـدوء ، والمساعدة على اعادة الأمن الى البـلاد ولكن كنا في دعوتنا المخلصة هـذه كالصارخ في واد ، وكالضارب في حديد بارد .

لقد ظن بعض الزعماء فيكم ، وما اتعسه من ظن صبيـاني ، بانه يكفي ان يقرروا رجم سياراتنا ، ووسائل النقـل عندنا بالحجـارة ، او نسفها بالمفرقعات – حتى نتزوي في عقر دورنا ونتلقى الضربـة تلو الضربة مهما كانت فظيعة وشديدة ، ونموت جوعـاً ، في حين تستمرون انتم في سفركم ونقل بضائعكم ومحصول اراضيكم بامان وسلام واطمئنان ، كانكم الاسياد ، وكاننا العبيد .

لقد ظن بعض الزعماء فيكم ، وبعض الظن اثم ، بانه يكفي ان ينظموا الاعتداء الدموي الوحشي ، تحت ستار الوطنية والنضـال ، على احيائنـا في القدس وتل ابيب وحيفا ، وعلى نسائنا واطفالنـا وعابري السبيل منا ، وعلى اطبائنا واخوات الرحمة فينا ، وعلى حوانيتنا ومتاجرنا وقوافلنا ـ حتى نتراجع ونتقهقر ، ونقبل طائعين مختارين حيـاة الذل والعبودية الى أبد الأبدين .

الا فاعلموا ان المتزعمين فيكم ، وان المحرضين في صفوفكم ، انالصائدين في الماء العكر من بني امتكم ، انما يحاولون سوقكم الى طريق الفناء ، وهو طريـــق خسارته مضمونة . واما ربحه فمشكوك فيه . ألا فانظروا ، مثلاً ، الى الهند ، فانها غارقة في بحر زاخر من الدماء الزكيـــة دون ما مبرر معقول او ضرورة قاهرة . ولسنا نريد ان ننحو نحو امثال تلك المجاوز الفظيعة ، ولكنا لا نألو ، ولن نألو جهداً في الكفاح بجد وحزم اذا ما امعن المتزعم في غيه ، والمحرض في مكائده والمشاغب في فتنه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

والسلام على من اتبع الهدى .

١٩٤٨ – ١ – ٦ «الهاغانا»

* * *

بيان رقم – ٣

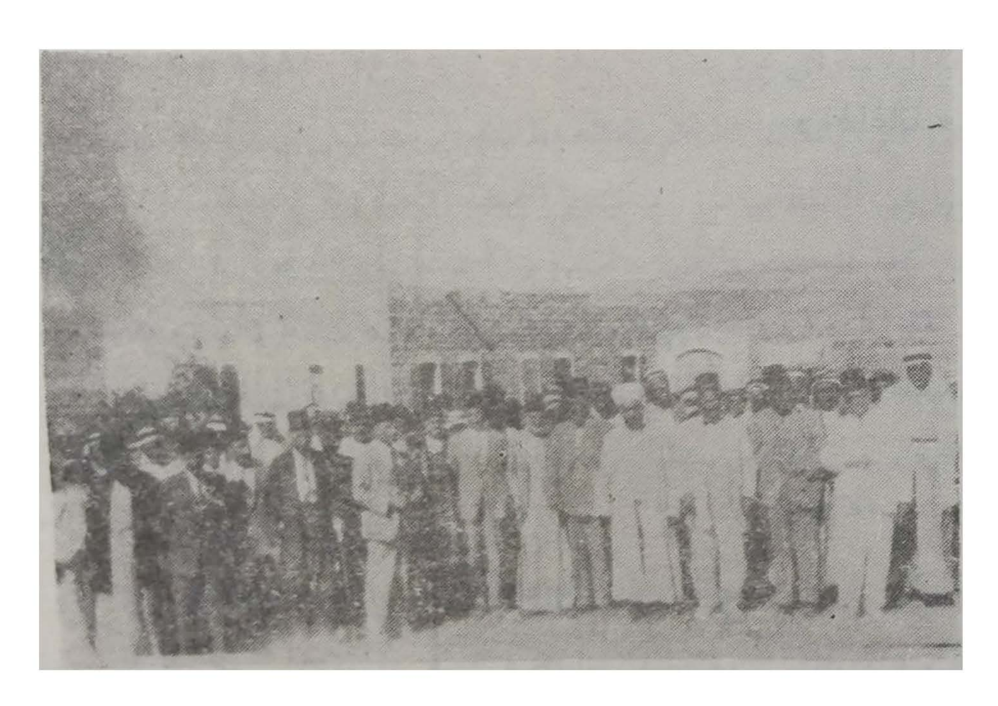
ايهـــا العرب

حاول رجال القناصة الجناة في الايام الاخيرة اطلاق النيران على المارئين كما حاولت عصابات المجرمين شق المواصلات اليهودية .

وقمنا في ليلة الجمعة ١٦ الجاري باعمـــال تأديبية متواضعة أدت الى قتلاء وجرحاء وعمارات مهدومة . وليست هذه الاعمال الا بداية تتلوها اعمال تأديبية اوسع نطاقاً وأوفر نتيجة ان لم يكف المجرمون الانذال عن اعمالهـــم الوحشية .

وقد ذقتم وبال امر هـــذه العصابة الخبيثة التي اجتاحت بيوتكم وتوغلت في قلب حيفا الهادئة المطمئنة وأخذتهـا ميداناً لارتكاب جرائمهم ، ولم يكن منا الا أن حاولنا قمع العدوان ودك اوكار الجنـاة وقطع ساعد المعتدي غير اننا نود ان نلفت انظاركم الى ان كل قتال هو سيف ذو حدين وقد تقع اصابات بين الاهالي المنعزلين عن الاشتباكات .

فليهب السكان العرب الى تطهير ديارهـــم من وباء هؤلاء الغرباء المشردين



جماهير من اهل حيفا تجمهروا لمناسبة وطنية ، ويرى في الوسط الشيخ يونس الخطيب ، والسيد عبدالرحمن الحاج ، وبعض الوجهاء الذين لا تحضرني اسماؤهم الآن

الذين طردتهم المجاعة والشقاء من قراهم ، والذين تسللوا الى هذه البلاد قاصدين لانفسهم الغنائم ، ولكم الدمار والهلاك .

فقد أيقنتم ان املاككم قد دمرت ، وأرواحكم قد ذهبت باطلاً ، وسالت دمائكم سدى ، وتعرضت أموالكم للضياع .

اننا نعرف عن كثب ، انكم لم تحبذون كل ذلك ، انكم تعلمون أن هدفنا السلام ، ونحن مستعدون أن نمد يدنا الى كل من يسعى حقيقة الى توطيد السلام في هذه البلاد ، ولكننا سننزل الويلات ، ونضرب بقبضة من حديد ، على يد كل من يتجرأ على الاعتداء على اخواننا .

فانهضوا أيها العرب واحذروا من بينكم هذه الفئة المجرمة ، وأوقفوا اعمالها .

وبذلك تعيدون السلام الى نصابه

« فمن سل سيف البغس قتل به »

حيفا ١٨ ـ ١ ـ ١٩٤٨

« الهاغانا »

ملاحظات :

١ ـ ليست هذه البيانات هي كل ما اصدره اليهود ، ووقع في يد اهالي حيفا . وانما هناك بيانات عدة ، لم يتيسر لنا الوقوف عليها وقت طبع هذه المذكرات وضاعت مع (من) و (ما) ضاع من النفيس والثمين ... وغيره..

ولا أسف .. فقد ضاع الوطن كله ..

٢ ـ تركنا هذه البيانات ـ وخاصة الثالث منها ـ على حالها من غير تبديل ولا تغيير .. ولا يخفى أن المراد فيها هكذا ـ المارئين ـ المارين ، قتلاء وجرحاء ـ قتلى وجرحى ـ لم تحبذون ـ لم تحبذوا ـ البغس ـ البغي ـ

٣ ـ كذلك هذه البيانات ارسلها الينا متفضلاً السيد صلاح الدين العباسي .

من اواخر « مذكراتي » عن حيفا :

ايام – وحوادث

يوم تاريخي :

لا أزال أذكر جيداً ذلك اليوم التاريخي ، في حياة حيفا ، بل وفي حياة العرب في فلسطين عامة ...

إنه ليوم وأي يوم ...

على أثر إعلان الحكومة البريطانية عزمها على الانسحاب من فلسطين وتخليها عن الانتداب ... دعت (الجمعية الاسلامية) بحيفا ، الى عقد مؤتمر عام من كافة الوجوه ، حضره مندوبو الجمعيات والنوادي ، وطبقات الشباب المثقف الواعي ، وممثلو العمال والقرى وغيرهم . . . وكان مؤتمراً تبارى به الخطباء ، وأبدى كل ذي رأي رأيه ، وتحدث كل بما عنده .

الريب من الانكليز

ولكن الذي لاحظته على الجميع ، انهم في شك وأي شك من تصريح الحكومة ، ذلك التصريح المتعلق في جلائها عن فلسطين في – ١٥ أيار سنة ١٩٤٧ – ... وكانوا يعتبرون هذا مناورة (انكليزية) يريدون من ورائها شيئاً آخر ...

إجلاء ، ان لم يكن جلاء :

وطال الأخذ والرد حول هذا الموضوع ، من غير أن يتوصل الجميع الى اتخاذ حلول عملية ، وعندها نفد صبري ، فقمت وتحدثت عن واجب الأمة ـ حيال هذا الحدث الخطير ، وقلت سواء صدقت (بريطانيا) في عزمها أو لم تصدق ، فينبغي أن تتخذ الأمة خطوات عملية حاسمة ، وخطة واضحة ، أمام هذا المستقبل الرهيب المظلم ...

وقلت في الرد على من قال ان (بريطانيا) لن تجلو عن فلسطين ! هب أن بريطانيا لا تريد الجلاء ، او لا يجب علينا أن نفكر في إجلائها ؟ فان لم يكن جلاء منها ، فليكن اجلاء لها منا ...

مقررات :

وأخيراً اتخذت مقررات هامة ، بعضها خاص (بحيفا) وبعضها بفلسطين عامة ... وكانت مقررات اجماعية وها أنا ذا أذكر بعض هذه المقررات :

١ ـ أن تعلن (الهيئة العربية العليا) نفسها حكومة عربية على فلسطين بدلاً من حكومة الانتداب التي اعلنت تخليها عن الحكم نهائياً

٢ ـ أن تشكل حكومة محلية في كل مدينة من مدن فلسطين ، تكون تابعة للحكومة المركزية العامة .

٣ ـ أن تقدم هذه الحكومة حالا بحماية الأمن الداخلي ، والمحافظة على حقوق الناس وأرواحهم ، وفض مشاكلهم ، وجباية الضرائب ، وغير ذلك من الامور الضرورية المستعجلة ، حتى لا يقع الناس في فوضى ، وتخبط في أمورهم

٤ ـ أن تعلن التعبئة العامة في البلاد ، وبعبارة أخرى اعلان (النفير العام) وطلب الخدمة العسكرية ممن بلغ سن (١٨ ـ ٦٠) عاماً ليكونوا تحت السلاح ...

٥ – كل من لا يستطيع حمل السلاح – ممن دخل في هـذا السن لأسباب صحية أو لأي أسباب أخرى مقبولة ... عليه أن يدفع لصندوق الحكومة العربية ، لمدة ستة أشهر بدلا نقدياً ، مقداره خمسون جنيهاً فلسطينياً ...

وقد قدر أن يكون مجموع ما يجبى من هذا البدل وحده ما لا يقل عن ثلاثة ملايين جنيه فلسطيني ، تصرف كلها في سبيل السلاح واعداده ، واقامة جيش عربي منها .

٦ – ترحيل النساء ، والاطفال ، والشيوخ العجز عن المدن والقرى العربية القريبة من المستعمرات اليهودية ، خوفاً من حدوث حوادث تسقط معنويات المدافعين من الشباب ، هذا من ناحية ، وللتفرغ لمقاومة اليهود ، وجيوش الاحتلال من ناحية أخرى ...

٧ – اقامة الاستحكامات ، والقلع ، والحصون وخاصة في الاماكن القريبة لليهود ، ليمكن الثبات أمام هذه القلع اليهودية الجبارة .

٨ – السعي في تسليح الشباب ، وان يسعى من الآن لايجاد الاماكن الخاصة لتدريب وتعليم فنون الحرب والقتال في المدارس الحربية ، سواء في سوريا أو لبنان أو في داخل فلسطين نفسها .

٩ – تفويض لجنة خاصة ، لوضع هذه المقررات موضع التنفيذ ، وابلاغها للهيئة العربية العليا ، وللجهات المختصة

وأخيراً :

ولقد اعلن رئيس الجمعية السيد رشيد الحاج ابراهيم [١] للحاضرين ، ان

---

(١) ولد بحيفا سنة ١٨٨٩ م وتوفي في ٢٨ آذار سنة ١٩٥٣ بعمان رحمه الله ، كان من أبناء حيفا الابرار ، وسنذكر له ترجمة خاصة .

الجمعية الاسلامية تعتبر نفسها الحكومة العربية المسؤولة عن حيفا تابعة للهيئة العربية العليا ، وبهذا القرار الاخير فض هذا الاجتماع التاريخي .

ابلاغ القرارات

وفي مساء هذا اليوم ، اجتمعت مع السيد رشيد ووضعنا خطاباً ضمناه هذه القرارات ، وغيرها من المقترحات مع بيان ما لدى اليهود من قوى وأسلحة ، وجند ، ووسائط . وما عندهم من إمكانيات وآلات وأدوات وتجهيزات الى آخر ما جاء في الكتاب

وارسل الكتاب مع السيد (اسماعيل الحسن) احد اعضاء الجمعية الاسلامية لابلاغه للهيئة العربية العليا ، وكانت (بعاليه) من لبنان ...

ماذا كان الجواب ؟!.

وماذا كان الجواب ؟ لقد كان الجواب ، ان الهيئة العربية العليا لا تستطيع ان تنفذ هذه (الطلبات) لان ذلك سابق لأوانه ، ولأن الدول العربية أخذت على عاتقها مسئولية الدفاع عن البلاد[1]

ماذا نعمل ؟!

وأخذنا نتهم انفسنا في حيفا . ونقول لعل المسؤولين يرون ما لا نرى ، ويعرفون ما لا نعرف ، ولعلهم اعدوا لليوم الاسود ما لا يصح كشف اسراره او إظهاره

ولننتظر انا معكم منتظرون

---

(١) يعود الفضل في اثبات هذه المقررات للسيد رشيد الحاج ابراهيم فهو الذي ذكرني بها بعد ان طوتها الايام من ذاكرتي

ويوم خطير

ها هي ذي الأيام تتوالى ، والاخطار تتجسم ، ويحدث كل يوم ما لم يكن بالحسبان

لقد كان الدفاع عن حيفا ، او القتال فيها ، امراً عسيراً خطيراً لاشتباك منازل العرب واليهود ، وقربها من بعضها البعض ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، لاستحكام وارتفاع الاماكن والبيوت اليهودية ، على الاماكن والمنازل العربية ومع هذا فقد وضعت خطة الدفاع ، وقسمت حيفا الى مناطق عسكرية ووضع لكل منطقة مسئولون

احتجاج وتقسيم حيفا الى مناطق[١]

« ١٩٤٧/١٣/٢٧ – اليوم اجتمعت اللجنة القومية ، وتقرر بالاجماع إرسال الاحتجاج التالي للقائد العام للقوات البريطانية باسم اللجنة القومية .

« اللجنة القومية بحيفا ، تستنكر توالي الاعتداءات على الشعب العربي من التحصينات اليهودية المعروفة للحكومة ، دون ان تتخذ الحكومة او الجيش أية إجراءات سريعة ضدها ، نحتج على إطلاق الجيش البريطاني النار على العرب والاحياء والبيوت العربية ، وتفتيشه ، مع انهم يهملون تفتيش اليهود المسلحين بأقوى أنواع الاسلحة ، نرجو مداخلتكم لمنع هذا التحيز في وقت كان العرب فيه مدافعين عن انفسهم ومالكين لاعصابهم وبعيدين عن البدء بالعدوان »

قبل ارفضاض الاجتماع حضر قائد حامية اللواء **محمد بك حمد الحنيطي**[٢]

---

(١) من « مصرع حيفا » للاستاذ العباسي .

(٢) استشهد في ١٧ آذار سنة ١٩٤٨ وسنذكر شيئاً من ترجمته

ومعه أركان حربه السيد يونس نفاع . وبعد التداول بالحديث تقرر تقسيم حيفا عسكريا الى عشرة مناطق كما يأتي

المنطقة الاولى منطقة الحليصة وحدودها : شرقاً جسر شل وتل عمال غربا وادي رشميا والجسر ، شمالا خط سكة الحجاز ، جنوبا : النبي شعنان

المنطقة الثانية أرض اليهود وحدودها شرقاً وادي رشميا والجسر ، غربا درج حسن شكري ، وشارع حاتم ، شمالا شارع الحجاز ، جنوبا شارع هلشومير ، وصلاح الدين ورشميا .

المنطقة الثالثة درج اليمن وحدوده شرقاً درج شكري وشارع حاتم ، غرباً ملتقى البرج مع استانتون ، وقسم من شارع شمالا شارع ستانتون ، ووادي الصليب ، وشارع العراق ، جنوبا شارع الافغاني والنزهة ، وشارع عمر المختار ، وشارع خالد بن الوليد .

المنطقة الرابعة البلدة القديمة وحدودها شرقاً نصب فيصل التذكاري ، غربا ملتقى شارع استانتون بشارع اللنبي ، شمالاً شارع الملوك واللنبي ومار الياس ، جنوباً شارع ستانتون

المنطقة الخامسة وادي النسناس وحدوده شرقاً شارع البرج الموصل للمدرسة الاسلامية ، غرباً طريق الجبل ، شمالاً شارع اللنبي وستانتون ، جنوبا شارع شبتاي ليفي والانبياء وحسن شكري

المنطقة السادسة حي عباس وحدوده شرقاً طريق الجبل ، غربا جبل الكرمل . شمالا شارع الحكومة ، جنوبا : طريق الجبل .

المنطقة السابعة حي الزيتون وحدوده شرقاً ملتقى شارع اللنبي



قادة الجهـــاد المقدس

١ — القائد : عبد القادر الحسينى ، ٢ — نائبه كامل عريقات ،
٣ — سكرتيره قاسم الريماوي ، ٤ — حارسه : عوض محمود ،
٥ — آمر فصيل فؤاد عريقات ، ٦ — آمر فصيل مالك
الحسيني ، ٧ — آمر فصيل عطا الله الحاج علي

بساتيلامارس ، غربا ملتقى اللنبي بشارع يافا ، شمالاً الموارس وقرية الياهو ، جنوبا الجبل .

المنطقة الثامنة محطة الكرمـل وحدودها شرقاً شارع مادر مثلث البوليس ، غربا شارع دلفين ، شمالا ، البحر ، جنوبا ، شارع تل أبيب

المنطقة التاسعة الكولونية الالمانية وشارع يافا وحدودهما : شرقاً : ساحة الخمرة وشارع مارالياس ، غربا شارع الحقـول (البساتين) ، شمالا شارع الملوك ، جنوبا ، شارع اللنبي والكرمة والاخضر .

المنطقة العاشرة وادي الجمال والشاطىء الأزرق وحدودهما : من شمال الغرب البحر ، غربا البحر ، شرقاً شارع يافـــا واللنبي ، جنوبا دير « مار الياس »

فوضى الدفاع :

من الواجب – وانا اكتب للحقيقة والتـــاريخ – ان اسجل اسفي الشديد على هذه الحـــالة المؤسفة ، بل والمخجلة أيضاً ، هـــا نحن اولاء نلاحظ ان اعداءنا اليهود يسيرون حسب خطة مرسومة ، سواء في الحرب او السياسة ان حروبهم حسب خطة منظمة اجماعية ، تحت قيادة عامة واحدة في جميـع انحاء فلسطين ... أما نحن ففي كل بلدة او قرية لنا قيادة ، بل وفي كل محلة قيادة ... فاذا سقطت قرية أو مدينة ، لا تتحرك لها باقي المدن ، أو القرى ، كأن هذا الامر لايعنيها

لقد كان كل فريق يسير على حسب ما يظهر له ، من غير ان يكون هناك رأي واحد للجميع ، ومن غير اتفاق على خطة دفاعية أو هجومية للجميع

الانكليز بعض الاسباب

أنا لا أنكر أن الانكليز كانوا عامـلاً هاماً في الموضوع ، فقد كانوا يمنعون اتصال العرب بعضهم ببعض ، ويحولون دون نجدة قرية لقرية ...

ولكن العرب - ويا للاسف - لم يفكروا في هذا الموضوع الخطير ، ولا أغالي اذا قلت حتى انه لم يخطر على بالهم ... لقد كسرنا عوداً عوداً ولو اجتمعنا ما قدر أعداؤنا علينا - واكلنا يوم أكل الثور الأبيض ...

بوادر استعداد اليهود ويقظتهم

اليهود يقظون ومتنبهون ، لأن لهم قيادة يقظة ومتنبهة وحذرة أيضاً ، وهاك مثالاً واحداً على ذلـك ، لقد عرفوا خطورة مرور سياراتهم من المناطق العربية ، وما يصيبهم من الاضرار ، في الارواح ، والامـوال فماذا فعلوا ؟ انهم اخذوا في تصفيـح سياراتهم بوضع ألوان من الحديد والفولاذ ، وأصبحت السيارة تسير وكأنها قلعة ، لا يؤثر فيها رصاص ...

وكان من بوادر يقظتهم ، ايضاً انهم حولوا جميع (التراكتورات) الزراعية الى دبابات حربية مقاتلة ... وهذا كان أول الغيث

أين قوة الحدود

لقد اعلنت حكومة الانتداب (اليوم) عزمها على تسريح قـــوة الحدود ، فاحتجت على ذلك الهيئات اليهودية ، واقاموا الدنيا واقعدوها ، وملأوها صراخاً وعويلاً ... اتدري لماذا ؟

ان ذلك ايضاً يدل على يقظتهم ونظرتهم الى المستقبل البعيد البعيد ...

لقد كان هنالك (قوة عربية عظيمة) تلك هي قوة جنود الحدود التي كان يطلق عليها (قوة الزنار الاحمر) وكانت من خير قوى الشرق

وأشدها مراناً ومراساً وتفننا في الضروب العسكرية ، وكان يقدر عددها بـ (١٢) الف جندي

وخشي اليهود ان تنقلب هذه القوى إلى قوى محاربة لهم ، او تنضم الى دولة عربية ، فيذوق اليهود منهم الاهوال

ولكن العرب او الدول العربية كانت (أبعد نظراً) من اليهود فلم تستفد من هذه القوى بشيء

وراحت نصائح بعض المتيقظين من العرب ادراج الرياح

ولو علمت بريطانيا – وهي العجوز الشمطاء – ان العرب سوف يستفيدون شيئاً من هذه الآلاف ، لما سرحت واحداً منهم

هروب رجال الشرطة

وزاد الطين بلة ان حكومة الانتداب اخذت تشجع من طرف خفي ، هروب رجال الشرطة من دوائر البوليس ، واخذت تغريهم باعطاء كل واحد منهم بندقية ، وشيئاً من الرصاص

وثمن البندقية عظيم ، فمئة وخمسون بل ومئتا جنيه بلغ ثمن البندقية الواحدة وهذا المبلغ يوازي راتب الشرطي ، سنة او سنتين ... وكان ذلك شر عون على زيادة الفوضى في صفوف العرب

وايضاً ذهبت النصائح الثمينة أدراج الرياح ولماذا لا يفعل الشرطي ذلك ، وهو كل يوم يسمع ان الجيوش العربية آتيـــة ، وان فيالقهم زاحفة ، وما هي إلا ايام حتى يصبح جندياً في إحد جيوشها وفاتحاً ...

وهكذا كانت الاماني العذاب

غياب المسؤولين الكبار

ان وجود القائد بين ظهراني جنوده ، خير معوان على ثباتهم وصمودهم .. والعكس بالعكس تماماً لقد كان وجود زعماء اليهود ، وعدم مغادرتهم اماكنهم ، سبباً هاماً لصمود اليهود وعدم هروبهم

وكان غياب (أعضاء الهيئة العربية العليا) جميعاً سبباً هاماً لهزيمة العرب وهروبهم وخيبتهم

وزاد الامر خطورة ان أشباه الزعماء ، خافوا على أنفسهم فهربوا ... وان الاغنياء وأشباه الاغنيـاء هربوا كل هذا وذاك اثر كثيراً على معنويات العرب . فها نحن نشاهد هنا الرحيل في كل يوم وماذا نفعل ؟

ليت (الكبار) خاضوا المعركة واقفلوا الحدود ، ومنعوا الرحيل وقالوا كما قال طارق بن زياد حينما احرق السفن العدو من امامكم ، والبحر من ورائكم ، ولا ينجيكم الا الصبر او الموت ...

اذاً لانتصر العرب

ولكنهم وجدوا ارضاً يأوون اليها ... وشجعهم على ذلك الزعماء ... وحماس (اكابر) العرب ، وتصريحاتهم ، التي لو انقلبت ناراً لا حرقت الدنيا ، بسمائها وأرضها

ميلاد الرسول ﷺ

أي يوم هذا ؟ انه ليوم ميلاد سيد العالم محمد بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه

لقد كنا في السنوات الماضية نقيم الاحتفـالات ، وننصب الرايات ، ونجمع الجموع ، ونضيء الشموع .. وكان يوماً من اكبر اعيادنا بل عيد أعيادنا فيه نجدد الشباب ، ونجدد العهود ...

فأين العيد اليوم اننا في معارك مع اليهود ، ان كل واحد منا في مأتم ، وفي حزن عميق

فكيف تبتسم الثغور ، وكيف يظهر الفرح والحبور وكيف نحتفل ...

لقد طاف علينا (ضابط الارتباط الأخ صلاح) واخذ من بعضنا كلمات لتنشر في جرائد فلسطين بمناسبة هذا اليوم العظيم

فكانت كلمتي يابني السلام والقوة

من خواطر المولد

يابني السلام والقوة لقد ناديت إلى السلام ، ودعوت الناس إلى المحبة ، وآخيت فيما بينهم ، وجعلت خيار الناس اولئك الذين يألفون ويؤلفون ، وجعلت شرار الناس اولئك الجبابرة العتاة الفراعنة القساة

يابني السلام : لقد جعلت المحبة أساس الوجود الذي قامت به السموات والأرض ، وجعلت المحبة الرباط القوي الذي يربط الناس بعضهم مع بعض ، حتى لا تنفصم عراهم ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، واقسمت بربك فقلت والذي نفسي بيده ، لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا وناديت بالسلام والايمان ، حتى دعي دينك بالاسلام والايمان ودعي اتباعك بالمسلمين والمؤمنين — ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ، وعمل صالحاً ، وقال انني من المسلمين — ؟

يابني القوة لقد أدركت الحقيقة ادراكاً لم يسبقك اليه عالم أو فيلسوف . وسبرت غرائز الناس ، وعرفت طبائع البشر ، معرفة لايدري مداها ، وعرفت فيما عرفت ، أن الناس ليسوا سواء في الدعوة إلى الخير ، فمنهم من يجيب الداعي اذا دعا بالحكمة والبرهان ، أو أثار العاطفة والوجدان ، ومنهم من لا يجيب ولا يسمع ، الا هززت له القناة ،

ولمحت له بالسيف ، اسمعته صوت القذيفة ، وأزيز الرصاص ، **إلى هؤلاء** الناس شرعت لهم شريعة القوة ، وناصبتهم الحرب ، وجاهرتهم بالعداء ، وكان مما أنزل الله عليك **وقاتلوهم كافة كما يقاتلونكم كافة واقتلوهم حيث ثقفتموهم**

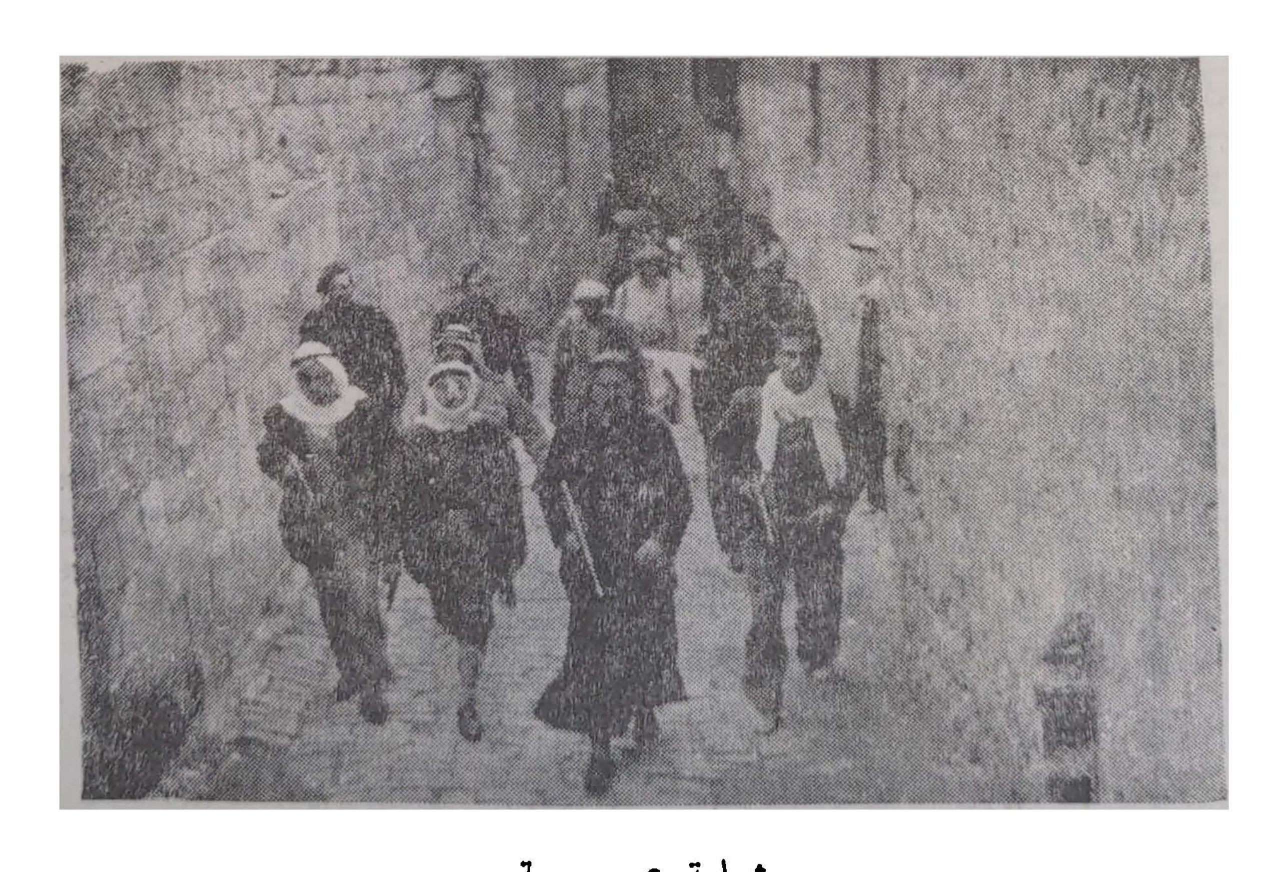
يابني القوة لقد عرفت الناس ، **وعرفت أن منهم من لايرتدع إلا** إذا قوبلت سيئته بالسيئة فكان من شريعتك (**وجـــزاء سيئة سيئة** مثلها) ، وشرعت الجهاد ، وجعلته ركناً **من أركان الاسلام فقلت :** الجهاد سنام الاسلام وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا

ياسيف محمد ما أمضاك وما أحلاك ، **ما أجمل بريقك** وما أحسن ضياءك ، ما احوجنا اليوم اليك (ياسيف محمد) لقد **عرفنا بالتجارب** أنه لن تنفعنا الدعايات ، ولن ينفعنا شيء إلا أنت **ياسيف محمد**

ياسيف محمد : أنت أملنا المنشود ، وأنت عدتنا في الحاضر والمستقبل ، وفيك يا نبي القوة ويا صاحب السيف نعتز وننتصر . **ياقوم يقول الله تبارك وتعالى « ان كنتم تألمون فانهم يألمون كما تألمـون ، وترجون من الله ما لا يرجون »**.

والعاقبة لنا والله اكبر .

* * *



شهامة عربيـــة

المناضلون العرب ينقلون الجرحى والمرضى من يهود الحي القديم اخذت الصورة بين حارتي الارمن واليهود



يهود الحـــي القديم

في مدينة القدس ، يستسلمون بعد سقوط حيهم بيد العرب

في ٢٨ أيار ١٩٤٨

من مذكرات

الطبيب رشدي التميمي

يسرني ان اثبت فيما يلي مذكرات صديقي الدكتور رشدي التميمي. وهو من ابناء حيفا الابرار . وقد سلم الي هذه المذكرات من عشرين سنة مضت واليوم اضعها في مكانها . وقد اذن الله تعالى له بالظهور في طبعته الثانية .

٢٩ – تشرين الثاني ١٩٤٧ – نحن في الحمة هرعنا قبيل فجر اليوم الى المقهى ، فأيقظنا صاحبه لنتوصل الى سماع المذياع . وانصتنا الى لندن التي تتكلم عن قرار هيئة الامم المتحدة بشأن الوطن الغالي ، فلسطين . فتجرعنا مرارة المصيبة القادمة انهم قرروا التقسيم . وعدنا الى حيفا مسرعين

٢ – كانون الثاني ١٩٤٧ – دعي اعضاء الجمعية الاسلامية والجمعية المسيحية لعقد اجتماع مستعجل في نادي الجمعية الاسلامية مساء اليوم للمباحثة في الوضع الحاضر حضرت الاجتماع بصفتي عضواً في الاولى وبصفتي رئيس الجمعية الطبية العربية في اللواء الشمالي ، كان الجمع خليطاً من رجال الاعمال والتجار وبعض رجال الدين واخذ كل من الحاضرين

يبدي رأياً فاتراً وكان يتخلل المناقشات كثرة الطلبات التلفونية للحاضرين من التجار وازعــاج الخدم في جلب القهوة والسجاير فكنت اقف على اعصابي من هذا الفتور الذي نقابل به الكارثة القادمة وعندما جـاء دوري للكلام وقفت بعصبية بادية وطلبت اولاً اخراج التلفون واطفاء السجاير ، والانتهاء من شرب القهوة حتى اذا تم ذلك قلت للخادم اغلق علينا الباب ولا تدخل علينا احــداً ثم ألقيت بكلمتي التي لم انطق بأصدق منها طيلة حياتي ، قلت لهم ان قرار التقسيم هذا الذي فاز به اليهود هو صك الاعدام الصحيح لنا نحن العرب في فلسطين ، فوعد بلفور لم يكن شيئاً بالقياس الى قوة هذا القرار فنحن بصريح العبارة قد حكم علينا بالخروج من ديارنا . ولذلك يجب ان نعير الامر بالغ الاهمية ، نظراً لأنه يعني اننا – على الأرض نحن عرب حيفا – سنطرد من المدينة في ساعة شدة بحيث اننا سوف نلجأ للهرب الى الشرق فلا نجد منفذاً فنضطر للجوء الى الشاطىء ملتمسين اي زورق او اي مركب لنهرب عليه من حديد اليهود ونارهم ، سوف تركض نساؤنا في الشوارع كالمجانين ناسيات اطفالهن في سررهم حذر الموت ، سوف ينهب اليهود كل ممتلكاتنا من منقولة وغير منقولة ولن يبقوا منا في هذه المدينة نافخ نار ، كل ذلك سيحدث آجلاً او عاجلاً اذا استمررنا في مقاومتنا على اسلوبنا القديم المتوكل على الاحتجاج والصراخ والاستناد الى الدول العربية ، والى عدالة الامم المتحدة . فلكي نجنب انفسنا مثل هذه الكارثة اقترح عليكم ما يلي وأرجو ان تدون كلماتي في ضبط الجلسة للتذكرة التاريخية

اولا – نعلن النفير العام في مدينة حيفا ، وندعو للتجند جميع الذكور بين سن ١٨ – ٥٠

ثانيا – نقبل بدلاً نقدياً ممن لايريد التجند فيجتمع لدينا من هذه

البدلات ما يقرب من نصف مليون جنيه بمعدل ٢٥٠ جنيهاً عن كل من ٢٠ الف مكلف يدفع البدل ويتجند للخدمة الفعلية ٢٠ الفاً حالاً

ثالثاً تذهب بعثة من ثلاثة اشخاص الى الخارج لابتياع السلاح من هذا المبلغ وتعود به بالطائرات الى ارض عربية قريبة من حدود فلسطين

رابعاً تذهب بعثة الى الدول العربية المجاورة لتتعاقد مع ضباط عرب يوافوننا حالاً للبدء في تدريب الجنود وتنظيم التجنيد وينصرفون لتدريبهم الاولي ريثما تصل الاسلحة

خامساً - نخلي المدينة من النساء والاطفال الذين نرسلهم الى البلاد العربية المجاورة

سادساً نقلب جميع البيوت الواقعة على حدود الاحياء العربية الى قلاع يصمد فيها حرسنا العربي بأسلحته ليمنع استيلاء اليهود عليها والتغلغل في الاحياء العربية ، هذا هو رأيي ، وانني احذركم من ان تتكلوا على الدول العربية فما حك جسمك مثل ظفرك وان الامة التي لا تساعد نفسها اولاً لايمكن ان يهب الغير لمساعدتها ، وبما ان سائر مدن فلسطين ستتعرض الى مثل المصيبة التي نحن مواجهوها فإنني أدعو بشدة واصرار الى ان نضرب لهم المثل في الدفاع الذي يجب ان يلجأوا الى مثله ، فاذا ما عمل مثلنا اهل كل مدينة فلسطينية استطعنا ان نلغي قرار التقسيم ووعد بلفور ايضاً وان نجعل من كليهما قصاصة ورق

كنت اقول كلمتي بحماس وايمان واتفرس في وجوه القوم لارى بارقة تأييد ، فلم اظفر بشيء من هذا ، بل انبرى لي احد الحاضرين بصوت جهوري متهكم وقال يا دكتور ، انت واهم جداً بقوة اليهود فهم اضعف

وأخساً من ان يتغلبوا علينا وقد بلونا امرهم طيلة ربع القرن الماضي وصرنا خبيرين في كيفية تقليم اظافرهم اكثر منك ، فكما انت خبير في جس النبض للمريض نحن ايضاً نعرف كيف نعالج امرهم ، فالمرجو منك ان تقتصر على مرضاك !

فنهضت حالاً من مكاني وقلت لهم اذن استودعكم الله فانا في خدمة الامة كطبيب وارجو قبول استقالتي من الاعمال غير الطبية وانسحبت من الجلسة

١٥ كانون الاول ١٩٤٧ - بدأت اضطرابات خطيرة في البلاد تظهر بشكل مناوشات فردية بين العرب واليهود ويشتد الحماس عندما تتواتر اخبار الصراع الدائر بين الفريقين في انحاء البلاد الجنوبية

٢٧ كانون اول سنة ١٩٤٧ - قتل اليهود اليوم جارنا البحري عبد شركس وهو رب عائلة من سبعة اولاد وامهم ووالديه وهو عامل فقير يكاد يعجز عن تدبير الخبز الحاف لأطفاله . الرجل جارنا الملاصق واعرف حاله الرقيقة منذ خمس سنوات اقامها بجوارنا طفت على بيوت الحي فجمعت زهاء خمس ليرات اعانة حتى استطعنا دفنه ، وجمعت مبلغاً آخر سددت به رمق العائلة الثاكلة . فالى رحمة الله ورضوانه هذا الشهيد الحزين

٥ كانون ثاني ١٩٤٨ — أخذ اليهود يعملون متكتلين وأخذوا يطبقون برنامجاً رهيباً لأفناء العروبة ، انهم اخذوا ينسفون البيوت العربية بالمتفجرات ليلا على رؤوس اصحابها فلم يعد في مستشفى الحكومة الضخم مكان خال لجريح . وقد شاهدت صباح اليوم سيارة شحن عربية كبيرة تمر أمام بيتنا متجهة إلى المستشفى وفيها نسوة تندب عدة قتلى محمولين إلى المستشفى . لم اقصد المستوصف الاسلامي اليوم بل ذهبت إلى مستشفى الحكومة لاستطلع خبر القتلى . انها اسرة عربية من عشرة أنفس قوض

اليهود عليهم الدار 'بالديناميت فأتى 'باشلائهم قطعاً' إلى المستشفى وعاد إلى ذاكرتي منظر القتلى بالعشرات التي كانت تؤدي بهم قنابل اليهود الجهنمية في اضطرابات سنة ١٩٣٦ – ١٩٣٨ إن اليهود اخذوا يعملون بجد لإفنائنا .

وألاحظ ان حركة رهيبة من الهجرة العربية اخذت تبدو هرباً من الارهاب اليهودي

٢٠ كانون ثاني ١٩٤٨ – تعاونت الجمعية الاسلامية مع جمعية السيدات العربيات ففتح مستشفى لجرحى الطوارىء في جوار المستوصف الاسلامي وبذلنا الجهد المضني لإخلاء العمارة من ساكنيها وقد اهديت المستشفى منضدة العملية المعدنية كما اهديته براداً كهربائياً لأجل حفظ البنسلين للجرحى وسمي المستشفى بمستشفى الأمين وأخذنا نحن بضعة الاطباء الباقين الثابتين نتناوب على إدارة هذا المستشفى .

٢٢ ك ٢ ١٩٤٨ – وصل الى بيتي سائق شاب يقود سيارة اسعاف طبي كبيرة مكتوب عليها الجمعية الملكية الطبية العراقية وعلى جانبيها شارة الهلال الاحمر وتحمل الي من عمان بعض مواد طبية وبعض الآلات الجراحية انها مرسلة من معتمد الهلال الاحمر العراقي في عمان فوضعت السيارة وما فيها لأمر مستشفى الامين

٣ شباط ١٩٤٨ وصلتنا سيارة اسعاف طبي جميلة الشكل على طرفها الهلال الاحمر ومكتوب عليها هدية الجمعية الطبية في وادي النيل الى الجمعية الطبية العربية بحيفا

٤ شباط ١٩٤٨ ازداد عدد الجرحى من منكوبي العرب وبرزت الحاجة لفتح مستشفى للطوارىء في القسم الغربي من المدينة فدعوت جمعية الهلال الاحمر النسائي والقيت عليهم خطاباً حماسياً بعد ظهر اليوم في بيت رئيسة الجمعية فقررت فتح مستشفى سريع في حي الالمانية وسرعان

ما وافقت الجمعية الاسلامية على مدهم بالسرر والفرش وتعهدت باسم الجمعية الطبية العربية بتجهيز المستشفى بما يلزمه من عقاقير وادوات طبية .

٦ شباط ١٩٤٨ امتلأ المستشفى الجديد بعشرين جريحاً وكان وقوف سيدات الهلال الاحمر لخدمة الجرحى ليلاً ونهاراً مثار اعجابي اليوم فكل منهن ربة بيت ولها اولاد صغار ومع ذلك فقد تركن بيوتهن وهرعن لخدمة المستشفى .

٢٩/ك ٢/١٩٤٩ هاجر سكان الحي الذي اسقطت فيه قنبلة أمس ، فلم يبق هناك إلا قليل من السكان ، وهكذا بدأ اليهود يعملون كل ما باستطاعتهم لارغام العرب على ترك الديار[١] .

يوم هدنة

مضت أيام على (حيفا) لم يذق سكانها للنوم طعماً ، وكانت كأنها لهيب من النار ، لكثرة ما أطلق من الرصاص من العرب واليهود ، وكثرة القتلى والجرحى ، وخاصة في الشوارع والطرقات ، مما دعا حكومة الانتداب ان تصدر أوامرها لكلا الطرفين بلزوم ايقاف اطلاق النار

وكان هذا ولا شك من مصلحة العرب لقلة سلاحهم ، وقلة عتادهم وبهذه المناسبة اصدرت اللجنة القومية البيان التالي رقم ٧

بيان هام رقم ٧

اللجنة القومية بحيفا الساهرة على مصلحة الوطن إلى أقصى حد ،

---

(١) من مذكرات الدكتور رشدي التميمي .

تكبر عمل شهدائها الابرار ، وتودعهم إلى فسيح الجنان ، متمنية من الله تعالى الشفاء لجرحانا الابطال .

وقد رأت اللجنة ، أن المصلحة الوطنية تقضي الآن ، بوقف إطلاق النار ، وعودة جميع الاخوان العرب إلى أعمالهم كالعادة على أن يبقوا مستعدين وعلى يقظة مستمرة لرد العادية ، وللسير مع قافلة الامة العربية، التي قررت انقاذ البلاد نهائياً من الصهيونية والاستعمار .

اللجنة القومية بحيفا

* * *

مقتبسات من مصرع حيفا

تتمـــة

مقدمة

ارسل الي الأخ صلاح العباسي المحامي مذكراته المخطوطة عن مصرع حيفا ، فرأيت تتميماً للبحث ان أقتبس بعضاً منها ، مما يهم الاطلاع عليه ، أو يكون متمماً للبحث[1]

---

(١) اخي الحبيب

تحيات طيبات وقبلات معطرات وبعد وصلتني رسالتكم المؤرخة ١١ / ٢ / ١٩٥١ يوم امس فأرسلت خبراً للسيد عبد الله السلمان مختار الطيرة ولغيره من مناضلي الطيره لأخذ المعلومات اللازمة وحالما احصل عليها سأبعث لك بها على جناح السرعة .

٢ – مذكراتي اذا لم تجد لها مكان في اثرك النفيس ارجو الاحتفاظ بها لطبعها في كتاب على حدة مع ما لديك من مذكرات وسيكون ولا شك كتاباً لا بأس به . كنت ارغب في طبعها ولكني ويا للأسف لا املك ما يؤمن عشر مقدار نفقات الطبع لأني جاد الآن لسد الرمق . فإن تكرمت =

١ – ٢٨ / ١٢ / ١٩٤٧ المعارك محتدمة منـذ يومين بشكل عنيف القى اليهود في الميدان اكبر عدد ممكن من مسلحيهم تساقط ابطالنا صرعى كأوراق الخريف نفدت ذخيرتنا تداعينا للاجتماع عقدت اللجنة القومية اجتماعـاً حضره ثلثا الاعضاء وقت الاجتماع دخلت امرأة تصيح بدنا سلاح ! بدنا سلاح ! لادنا قتلوا ! يا له من منظر يفتت الأكبـــاد !! هل يسمع المسؤولون ؟ إنهم في طغيانهم يعمهون قاعة الجمعية ازدحمت بالأهالي يريدون سلاحاً شطر اليهود حيفا الى شطرين سلاحنا بنادق افرنسية قديمة أكل الدهر عليها وشرب . كل طلقـة تكشف عن مكان مطلقها كل طلقتين او ثلاث يتمزق غلاف الرصاصة (الفشكة) داخل الماسورة فتتوقف عن العمل الحـــالة خطيرة ! ...

= وطبعت هذه المذكرات فتكون قد اضفت فضلاً لا علي فحسب بل وعلى القضية التي ناضلت وجاهدت وكافحت من اجلها . في المذكرات المرفقة بهذا التحرير او بالمغلف الذي يتبعه ستجد تفصيلاً عن مصرع المرحوم محمد الترك وشيئاً عن اعمال السيد يونس النفاع .

٣ – لم اتمكن من الاتصال بالأخ العزيز نديم بك لتغيبه عن البلدة سأحاول بعد عودته للحصول على ما طلبت من معلومات .

٤ – ان السيد محمود المنور يعمل (بضايا) مع وكالة ([illegible]) لديه الكثير من المعلومات يمكنك اخذ ما ينفع منها ،

٥ – لا تؤخر علي ملازم كتابك اذ قد تكون هناك امور غابت عنك ولم تغب عني فأقدمها اليك حالاً .

٦ – لا تبعث الي بشكرك فيما بعد لأن هذا يحـــز بنفسي . خاطبني بقولك « اكتب لي ، او ابعث لي يا صلاح كيت وكيت » .

٧ – سأستمر بأرسال مذكراتي مع الجزء الباقي من الفصل الأول من كتابي تحت عنوان « اوراق » .

وأخيراً اقدم تحياتي كما قدمتها بمستهل رسالتي .

المخلص

٢ – ٢ / ١ / ١٩٤٨ في الساعة السابعة والنصف من مساء اليوم بينما كانت سيارة الحرس الوطني تجتاز ساحة الحمرة اطلق عليها النار ولما ترجل الحرس لمعرفة مصدر الطلقات إذا بالرصاص ينهال عليه فأجاب بالمثل ودام تبادل اطلاق النار مدة وأسفر عن اصابة ضابط بريطاني برتبة (ميجر) بجراح ، وفي الساعة الثامنة مساء اشتبه رجال الحرس الوطني في شارع ستانتون باثنين يمران عند درج البرج يلبسان الثياب العسكرية ، ولما كان رجال الحرس الوطني على منتهى اليقظة ، وعلى الاخص بعد حادث البرميلين المملوأين بالمتفجرات اللذين وضعهما اليهود بالاحياء العربية وهم يرتدون لباس الجند البريطاني ، انتهرهما فلم يجيبا فأطلق عليهما النار ، ففرا إلى حيث كانت ترابط مصفحة للجيش ، وبعد أن بلغاها وتسللا إلى داخلها ، اقتربت إلى مكان الحادث الاول ومن غير سؤال اخذت في اطلاق النار من مدافعها السريعة الطلقات على المنازل والبيوت العربية ، فاخترقت الابواب والنوافذ ، وأصابت الجدران. هذه اعمال حكومة الحياد إلهي أرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، وتجعلهم كعصف مأكول آمين اللهم آمين .

٣ – ٣ / ١ / ١٩٤٧ في الساعة السابعة صباحاً كلمني فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب بالهاتف طالباً إلي الحضور إلى بيته حالاً ، لأن فرقة من الجيش البريطاني قد طوقت ساحة الحمرة ، وأخذت بتفتيش الاحياء العربية المجاورة ، على اثر حادث مساء امس حيث جرح (الميجر) البريطاني ، وإن استمرار التفتيش معناه خسارة كبيرة بالسلاح والعتاد ، في وقت نحن باشد الحاجة اليه وان المناضلين قد قرروا الحيلولة دون تغلغل الجيش البريطاني في الاحياء العربية ، مهما كلف الأمر ، وانهم قد وجهوا انذاراً للجند البريطان بالتوقف عن التفتيش خلال عشر دقائق وإلا سيصلونه ناراً حامية اسرعت في مغادرة البيت ، وصلت الممر

المؤدي إلى بيت الشيخ عمر أفندي وإذا بي اصطدم بالدبابات والمصفحات والجند الشاكي السلاح يسدون منافذ الطرق ، منعني الجند بادىء بـدء ولكنه لما رأى شارة « ضابط ارتباط » على كتفي سمح لي بالمرور ، دخلت دار الاستاذ فوجدته وقد اكفهر وجهه ، المسدس بيمينه يعطي اوامره وتعليماته للحرس الوطني وهنا وهناك المناضلون خلف المتاريس ينتظرون اشارة اطلاق النار وبينما كان الاستاذ يخبرني بالواقع دق جرس التلفون ، واذا بقيادة حامية لواء حيفا العربية تعلمنا أن مدافع الهاون قد صوبت إلى مقر دوائر البوليس ، وثكنات الجيش ، وان الجنـد المحاصر لساحة الخمرة قد طوق بالمناضلين ، الهب الخبر نفوسنا حماساً وقررت والاستاذ خوض المعركة ، افترقنا ليأخذ كل منا مركزه ومـا هي إلا دقائق حتى دعينا للهاتف ، المتكلم مـدير البوليس الانجليزي ، أعلمنا أن الاوامر أعطيت للجيش بالانسحاب انسحب الجند وعدنا إلى مراكزنا جلسنا نتناول طعام الافطار وإذ بقرع على الباب ، كان الزائر ضابطاً بالجيش البريطاني برتبة (ميجر) وبرفقته مدير البوليس الانجليزي شاركونا فطورنا قال الميجر احب طعام العرب فقلت له وقتل العرب ايضاً وأردف الاستاذ قائلاً وشرب دمهم أيضاً . تحدثنا عن تحيز الانجليز لليهود فقال الميجر ؟ أنا عسكري انفذ ما أؤمر به قلت حتى ولو كان في قتل الابرياء . بعد الطعام ذهبنـا أربعتنا لزيارة الميجر الجريح بالمستشفى الطلياني انـه إيرلندي اعترف أن الحق كان عليه بحادث جرحه اعتذر لنا واقفل البحث بهـذا الموضوع ذهب من حضر معنا وبقيت والاستاذ عند الميجر الجريح قال الميجر انه يخشى الله في كل عمل ، وجل ما يرجوه أن يرجع إلى بلاده ، لأنه يرى أن السياسة البريطانية لا تتفق والشرف العسكري ، انها فرصة طيبة للدعاية لم يقف الاستاذ عند هذا الحد ، بل أخـذ يعظ هذا الضابط الجريح قال عسى الله أن يهديه وهو في هذه الحالة

والغريب ان العظة قد أثرت بالضابط ولكنه قال سأدرس قواعد الدين الاسلامي ولكني سأظل على ديني ، رجانا الضابط ان نزوره مرة أخرى ودعناه وخرجنا

٤ – ١٣ / ١ / ١٩٤٨ المعارك محتدمة على طول الجبهة ، والقنابل تتفجر في كل مكان ، المطر غزير ، حاول اليهود اقتحام حصون وادي النسناس ، ولكنهم ردوا على اعقابهم ، جر اليهود قتلاهم بالحبال ، إلا واحـــداً تمكن العرب من جره ولدى تفتيش جيوبه وجدت معه هويتان ، لقد وصل فلسطين من بولونيا قبل عشرين يوماً ، اسمه يدل على أنه روسي ، احدى الهويتين مصدرها طبريا ، وعليها توقيع القائمقام اليهودي فيها والثانية مصدرها حيفا وعليها توقيع غير مقروء .

٥ – ١٤ / ١ / ١٩٤٨ لقد احضرت مصفحة جيش بريطانية فتى يهودياً وأنزلته أمام دار القيادة طالبة من العرب قتله والفتى في سن الخامسة عشرة تلميذ مدرسة ، قال انه كان واقفاً امـام بيته بجي الهدار حينما مرت المصفحة واختطفته واحضرته إلى هذا المكان ، كان ينتفض هلعـاً ويبكي ، أخرج من جيبه كتاب جبر باللغة الانجليزية ، وقال كنت اقصد مدرستي ، بعـد نصف ساعة جاءنا خبر أن اثنين من العرب اختطفتهما مصفحة بريطانية واتجهت بهما نحو الاحياء اليهودية ، ولم تمض خمس دقائق حتى ورد خبر آخر عن اختطاف ثلاثة آخرين من العرب ، عندنا يهودي وعندهم خمسة ، ما العمل ؟ اتصلت (بأحمد الخليل) وافهمته عن قصد الانجليز في مثل هذه اللعبة الخسيسة الدنيئة ، وعدني أنه سيتصل بالسلطات اليهودية ، بعد نصف ساعة كلمني (احمد) وقال ان السلطات اليهودية على استعداد لاعادة العرب على أن نعيد الفتى اليهودي ، وقد احضرنا له ما طلب من طعام وبعد أن أكل أرسلناه الى دائرة البوليس ، وهناك سلمناه واستلمنا الخمسة العرب ، هذه بريطانيا وهذه أعمالها ..

كان ضغط المناضلين بشارع (هاشومير) شديداً للغاية قصد استرداد دار عربية تخص السيد عبد الكريم الزيناتي ، كان سكانها قد نزحوا عنها واحتلها اليهود وجعلوها وكراً لهم ، ولما شعر اليهود ان الدار لا بد ساقطة بيد العرب طلبوا سيارة لنقل معداتهم منها وقد شوهدت السيارة آتية من(الهادار) ثم وقفت امام دار الزيناتي وأخذ اليهود بنقل معداتهم التي كانت بداخل العمارة وكان الحرس الوطني يراقب ذلك وما أن امتلأت السيارة واستقلها صبيان (الهاغاناه) حتى فوجئت بقنبلة هاون تنفجر في منتصفها واذا بالالغام التي فيها تتفجر والاشلاء تتطاير ، وقد سمع دوي انفجارها من جهات عكا والقرى المجاورة لحيفا ، وتحطم زجاج المنازل في جهات بعيدة من المدينة ، وقد اصبحت السيارة وما عليها من شواظ جهنم أثراً بعد عين ، كما أن العمارة المجاورة لها قد تهدمت وتشعث عدد كبير من المنازل العربية واليهودية ، وظهر أن خمسة عشر داراً يهودية قد أصيبت باضرار بالغة بينما أصيب أربعة منازل عربية باضرار بسيطة

انتقام

قام الجيش البريطاني بعد ظهر اليوم بتطويق منطقة وادي النسناس ، واجرى فيها تفتيشاً واسعاً ، ثم أخذ في ازالة الحواجز الموضوعة في الشوارع التي وضعها الحرس الوطني ، والغريب ان الجيش يقوم بازالة هذه الحواجز المقامة للوقاية من الاعتداءات اليهودية التي تكررت ، ومن اعتداءات الجيش نفسه ، وكان الجيش في معاملته خشناً ، فحطم الابواب والخزائن ، كما سرق ما صادفه من النقود ، كأنما مهمته السلب والنهب والترويع ، وقد اعتقل عشرة اشخاص ، وصادر بعض الاسلحة الدفاعية ، ولم يكتف بكل هذا ، بل عمد الى وضع المتفجرات امام منزل السيد (شبلي الجدع) وفجرها ، فأحدثت تصدعاً بالعمارة المؤلفة من طابقين ، وفي بعض العمارات المجاورة

٦ – ٥ / ٢ / ١٩٤٨ على أثر معركة ليلة الامس ، قام الجيش البريطاني اليوم باجراء تفتيش واسع النطاق في الاحياء العربية ، واستعمل حسب عادته القسوة والشدة في تفتيشه وأما النهب ، فلم يعد مجال لذكره ، لانه اصبح طبيعياً مألوفاً لم لا يفتشون الاحياء اليهودية مع أن اليهود في اكثر المعارك يكونون البادئين بالهجوم ؟ السبب عند بريطانيا عند اليهود يجدون ما لذ وطاب ، من مال ونساء وشراب ...

٧ – ١٣ / ٢ / ١٩٤٨ وقد وصف مراسل جريدة فلسطين في حيفا بجريدته ما جرى ليلة أمس حيث قال

قضت حيفا ليلة أمس وأزيز الرصاص يهدر من كل صوب ، وأصوات القنابل تتجاوب من كل ركن ، وأصداء المتفجرات تعكر سكون الليل وتهز المنازل هزاً ، ودروس التأديب يلقنها المناضلون العرب الذين أبوا أن يذوقوا طعم الراحة طوال ليلة أمس ، فأبلوا البلاء الحسن ودكوا حصون الخصوم ، ومكامنهم وأوكارهم ، ونسفوا سيارات كانت مشحونة بالمؤن والدمار وكالوا لهم بنفس الصاع

وحدثنا ضابط شهد المعارك في الحرب الاخيرة بأن معارك ليلة أمس ذكرته بمعارك (**ستالنغراد**) إذ كانت حرب شوارع ، استعمل فيها أحدث أنواع السلاح والمتفجرات ، ومنها مدافع الهاون السلبند ، وقنابل مولوتوف وكان اليهود أقاموا مكامن لهم من الاسمنت ، في منطقة (الحليصة) ليتصيدوا المارة من العرب ، ويلقوا بالحمم والمتفجرات على المنازل العربية المجاورة ، فلم يكن من المناضلين العرب ، إزاء ذلك إلا أن يردوا هذا العدوان ، فاتبعوا خطة عسكرية منظمة ، حيث أشغلوا الخصوم بنار حامية أصابتهم من كل صوب ، مما جعلهم في حيرة ، وبينما هم مشغولون في تفادي ما يمكن تفاديه اذا بالقنابل تنهال عليهم ،

فتراجعوا واندفع المناضلون نحو مكانهم ، فما تركوا فيها حجراً على حجر ولا طوبة على طوبة ، واستمروا في هجومهم ، فاسترجعوا البيوت العربية التي كان المجرمون اليهود قد احتلوها اثر جلاء اصحابها ، وقد قتل وجرح عدد كبير من اليهود

وأبى رجال الجيش البريطاني أن يتظاهروا على الاقل بحيادهم ، فدخلوا بسيارة مصفحة حوالي منتصف الليل الى (وادي النسناس) من جهة شارع الجبل ، محاولين اجتياز الحواجز التي أقامها الحرس الوطني صيانة للأرواح من الغادرين ، فنزل جندي منهم يحاول زحزحة البراميل ليفسح للسيارة مجالاً ، فصرخ الحرس الوطني به أن يبتعد ، فأجيبوا أنهم انكليز يريدون تفتيش المنطقة ، فلم يأبه الحرس لأمرهم واخبروهم أنهم يستطيعون التفتيش في الصباح ، وان دخولهم المنطقة في هذه الساعة يهدد الاطفال والنساء بالازعاج ، وهدده الحرس بأن الأوامر التي لديهم تقضي باطلاق النار على كل قادم مهما كانت هويته ، فتقدم الجندي محاولاً الدخول واطلق الحرس الوطني النار عليه فأرداه قتيلاً ، وعندئذ أخذ الجند باطلاق النار على المنازل وأجابهم الحرس بالمثل وأصلاهم ناراً حامية »

* * *



المرحوم السيد رشيد الحاج ابراهيم رئيس اللجنة القومية بحيفا وقد تردد ذكره اكثر من مرة

من مذكراتي الخاصة عن حيفا

الفصل الخامس عشر

سفري الى دمشق

١ – لقد رأيت لزاماً علي بعد ان تحرجت الحالة الى هذا الحد ، وأصبحنا ولا من سميع ولا من بصير ، ولا من نصير ، أن نسافر الى الشام لإطلاع المسؤولين على حقيقة الوضع في حيفا ، وانها اصبحت جحيما لا تطاق

إياك ان تظن – أيها القارىء الكريم – اني أنا الرسول الاول الى المسئولين بل أنا الرسول الواحد بعد الألف ، بل لقد كنت الرسول العريان .. كان ذلك في (١٥ شباط سنة ١٩٤٨) . وكان أول من قابلته الاخ الكبير (معين بك الماضي[1]) ابن حيفا البار

٢ – وافضيت اليه بكل ما عندي من أخبار ومعلومات عن حالة حيفا ، وحراجة موقفها ، فكاد يتفطر أسفاً وحزناً

لقد كان (معين) معيناً ونصيراً حقاً لكل فلسطيني ، ولكل من

---

(١) توفاه الله بدمشق سنة ١٩٥٥ وسنفرد له ترجمة خاصة رحمه الله وغفر له .

كان من حيفا او من قضائها ... ولكن ماذا يفعل والعرب في واد وأهل فلسطين في واد آخر لقد صدق من قال

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيهـــا

نحن هناك نتلقى النيران ، ونحن هناك نجالد الاعداء في الليل والنهار ، وقادة الدول العربية يظنون الأمر هزلاً

السلاح يرد على اليهود كل يوم ، بالاضافة الى ما عندهم من المهلكات والمدمرات ، حتى من اصناف الطائرات

و (جامعة الدول العربية) تظن ان القضية تحل ، والارواح تسلم ، بتصريح من كبير ، او تهديد من أمير

ثم ماذا ؟ ثم هذه (اللجنة العسكرية) التي لا تعرف عن دخائل اليهود شيئاً ، او ربما عرفت فقدرت ان بامكان اهل فلسطين ان يقاوموا اليهود بهذه البنادق العتيقة ، وهذا الرصاص المبرد ، او بهذه الذخيرة التي ربما كانت وبالا على اصحابها

إنهم حفظهم الله ينتظرون السلاح من (ليبيا) ذلك السلاح الذي خلفته الحرب العامة الثانية

لقد كان العربي المقاتل امـام اليهودي المقـاتل كصاحب مدية من (تنك) أمام صاحب مدفع جبار

٣ – قمت اليوم مع السيد (معين) بزيارة فخـامة رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي ، وشرحنا له الحالة بكل تفصيل لقد اوعز الى أحد أعضاء اللجنة (العسكرية) بأن يساعدنا ما أمكن ، كما قمنا بزيارة اللجنة وأعضائها واحداً واحداً وأطنبنا في شرح الحـالة ورجونا لحيفا مزيد العناية ، ومزيد المدد بالسلاح

٤ – اليوم تسلمنا الكمية المخصصة لنا وسلمت كل ذلك للأخ (أبو علي دلول) لارسالها الى حيفا

٥ – لقد سارت القافلة وانتهجت طريقاً غير مألوف واطمأننت عليها (بالهاتف) الى ان وصلت حيفا بالسلامة

٦ – لقد انتهت اليوم (مهمتي) فأخذت مـا امكن من السلاح وبلـّغت ما امكن من البلاغ ، وأنذرت ما امكن من الانذار ... إذن فلأسافر الى حيفا على بركة الله

يالله لقد تعسرت السبل امامي جميعها فالطريق الى بيروت عن طريق (ظهر البيدر) مغلقة من الثلج والطائرات لا تطير لرداءة الجو ، وكثرة العواصف ولم يبق إلا الطريق عن (مرج عيون) وهي ثماني ساعات الى بيروت . فصممت على سلوكها مهما كلفت من مشقة ...

وعبثاً حاول اصدقائي اثناء عزيمتي فلم يفلحوا وكنت اقول لهم ان نفسي تحدثني اني ذاهب الى منيتي وان قدراً في الطريق ينتظرني

٧ – وركبت السيـــارة بعد العصر بقليل ولكن الهواجس لم تفارقني لقد سافرت كثيراً ، ولكني لم اكن كاليوم متشائماً قط .. فكيفما التفت أرى الرصاص يكاد يصم أذني ... لقد حاولت ان اصرف هذه الخواطر فلم أفلح

٨ – وصلت (صيدا) في ساعة متأخرة من الليل وحللت في بيت صهري الحاج (محمد الحسن) وما ان مضى سواد الليل حتى ارسلت في طلب سيارة تقلني الى حيفا وحاولوا كذلك ان يثنوا عزمي عن السفر فصممت فسرت ...

٩ – ركبت السيارة وكنت بقرب السائق . لقد وقفت السيارة قليلا فاراد الركوب فيها رجـل من اهالي البلدة ، فحاول السائق منعه بكل

وسيلة وكل حيلة فلم يكَن من (صاحبنـا) الا الاصرار على الركوب والاغرب من هذا كله انه تنازل عن السفر في سيارة اخـرى كان قد وضع متاعه فيها وابى ان يسير الا في سيارتنا

١٠ - سرنا على بركة الله ، ولكن الهواجس لم تفارقني ايضاً ورأيت لساني لا يتحرك الا ببيتين للامام علي كرم الله وجهه وهما

اي يومي من الموت أفر ؟ يوم لا يُقدر ام يوم قـُدر ؟
يوم لا يُقـدر لا ارهبـه ومن المقدور لا ينجو الحذر

لقد كان السائق انيساً جداً ولكن خواطري سودت أمامي كل شيء ونسيت كل شيء الا هذين البيتين .. لقد وقع في قلبي ان امراً ينتظرني في الطريق وان خطراً كامناً امامي لقد تعودت من قلبي انه لا يحدثني بشيء الا صدقني فيه وفراسة المؤمن وحديث قلبه يكادان يكونان من الوحي ويكادان يشقان أستار الغيب شقاً

ايها الغيب اكشف لي عن وجهك

١١ - وصلنا (الناقورة) وهي محطة للتفتيش على المسافرين وجوازات سفرهم ، فاعطيت السائق جواز سفري كما هي عادتي من قبل لتوضع عليه السمة . ولكن السائق رجع الي واخبرني بلزوم مقابلة المسئول في الدائرة فتعجبت كثيراً من هذه المعاملة الشاذة وهممت بالنزول وسرت خطوات فاذا بالمسئولين يغادرون الدائرة لملاقاتي والاعتذار الي بكلام معسول جميل.. وكاد يطيب خاطري لولا سؤال (المسؤول الكبير) عن عنوان منزلي في حيفا هنا وقع الريب في قلبي فقلت ان سؤالك غريب في بابه ... انا ذاهب الى بلدي واسأل عن نزلي ؟؟ فتلجلج المسئول مرة ثانية واعتذر بكلام لم يدر كيف زوّره

١٢ – رجعت الى السيارة ولكن الريب قد ازداد وخواطري السوداء قد ازدادت ايضاً لقد تيقنت ان (مؤامرة) تحاك بالخفاء وان (عمّال) اليهود قد احكموا الخطة

١٣ – لم اجد وسيلة سوى التفويض الى الله تعالى ، وما من شيء يريح الضمير ويزيل الاكدار سوى التوكل على الله وهنا حضرني قول الشاعر

واذا لم يكن من الموت بد فمن العار ان تموت جبانا

وماذا عساني ان افعل ؟ لقد كان معي (مسدس) صغير فقلت هذا وقت الحاجة اليه فأخرجته وأصلحته وهيأته للضرب ، ثم وضعته مكانه وها انا انتظر قضاء الله

فماذا كان ؟؟

* * *



اربعة من المجـــاهدين الفلسطينيين

في قطاع جنين واليك اسماءهم من اليمين الى اليسار :

١ – الشيخ محمود ابو جعب .

٢ – فضل الجابي .

٣ – سهو ابو زعرور (استشهد في القتال) .

٤ – مجاهد مغربي .

قرب حيفـــا

مؤامرة اليهود ومحاولة اغتيالي

وسارت بنا السيارة تنهب الأرض نهباً ، وخلفنا عكاء وراءنا وها نحن قادمون الى حيفا

ما أجملك يا حيفا انت عروس الشرق بل زينة الدنيـــا ففيك الجبل ، والوادي ، والسهل . وتحت ارجلك البحر . وعلى جانبك النهر .. وأنت منثورة هنا وهناك كانتثار كواكب السماء في السماء

وأخذت أنظر من خـلال زجاج السيارة الى حيفا تارة والى جبلها الذي امامي .. وتارة الى مروجها الخضراء عن جانبي آنه مرج ابن عامر .. انها أرض السعادة .. انها منبت الريحان ، والنرجس الوسنان ...

* * *

وبينما أنا حالم بهذه المناظر وإذا بسيارة يهودية غادرة تمر بسرعة البرق حتى إذا حاذت سيارتنا تماماً اطلق ركابها علينا ما يقرب من الف رصاصة من مدافع سريعة الطلقات كانوا يحملونها معهم وانصب الرصاص علينا كانصباب المطر

يا لطيف

وانطلقت من فمي صيحة داوية من غير اختيار مني – يالطيف يا ستار –

وهكذا فقد تجلى اللطيف بلطفه ، والستار بستره وعفوه

ووقفت (سيارتنا) لأنها تهشمت وتناثر زجاجها من فعل الرصاص ..

ونظرت الى خلفي فاذا صاحبنا (المجذوب) يسيل من رأسه الدم كأنه نبع فوار ، من فعل رصاصة اخترقت جمجمة رأسه عليه رحمة الله ..

ونظرت الى السائق (محسن) فاذا الدم يسيل من رأسه ووجهه وصدره

ونظرت الى نفسي فاذا الدم ينبع من كتفي الايسر ويسيل من داخل يدي اليسرى

وإذا يدي اليسرى مشلولة لا تتحرك ..

وإذا بي أدفع باب السيارة دفعاً واخرج المسدس من جيبي .. وأردت الاستلقاء على الارض ، وهنا صاح بي السائق ! ماذا تريد يا استاذ ؟

قلت اريد المقاومة قال يا سيدي : هم ضربوا وهربوا ... اسرع بالركوب لعلنا نفلت من ايديهم قلت أو تستطيع السير ؟ قال سأحاول ...

وركبت ثانية ، وهنا الهمني الله تبارك وتعالى — وله الحمد والشكر — أن أرفع العمامة عن رأسي وسارت السيارة ولكن ببطىء شديد شديد .. وتلفت امامي وخلفي فلم أر غادياً ولا رائحا وخلت الطريق من كل سائر وهي الطريق الوحيدة التي لا تخلو دقيقة بل ثانية من مرور السيارات فيها فعلمت انها خطة احكمت .. وحيلة نفذت فسارت السيارة والقتيل وراءنا يتخبط بدمه من (حلاوة الروح) كما يقولون ، ولدمه شخير وصفير

وسارت السيارة حتى أتت الى المفرق ، وهناك دائرة عظيمة بين طرق ثلاثة (١) طريق بلد الشيخ ، (٢) طريق عكاء بيروت ، (٣) طريق حيفا

ولاحت مني التفاتة فاذا بالمجرمين اليهود يرابطون في الطرف الآخر في الدائرة المؤدي الى بلد الشيخ ورأيت احدهم ماداً رأسه من نافذة السيارة

لست أدري ما الذي منعهم من ان يجهزوا علينا والطريق خالٍ ، وما الذي منعهم من اطلاق النار وليس بيننا وبينهم الا امتار معدودات ..؟

ولكنها عناية الله التي ما فارقتنا قط وسارت السيارة بطيئة بطيئة . والسائق يقول لقد انتهيت ، لقد تصفى دمي

وانا اشجعه وأقول : ها هي حيفا على بعد امتار .. ها نحن اصبحنا على ابواب البلدة ها هي عمارات حيفا تطل علينا

واشجعه وأقول ها هو دمي ينزف اصبر قليلاً

حقاً لقد كان شجاعاً فما خار ، وصابراً فما جبن ، ولم يفقد قواه العصبية ولم يفقد شيئاً من اتزانه وإدراكه

أما انا فاني آمنت اني ميت لا محالة لما رأيت من غزارة الدم وشدة النزيف ... وأيقنت ان رصاصات دخلت الى جسمي ... ولكن هي الروح لا تزال تتعلق بهذا الجسد الى دقائق أو ساعات

وسارت السيارة وأنا اشجع السائق تارة واصبره تارة وامنيه بالوصول تارة اخرى الى ان كاد ان يغمى عليه ، واصبح لا يستطيع الحراك

وهنا كنا وصلنا الى أول شارع الناصرة في حيفا ورأيت بعض العرب فأشرت اليهم فأقبلوا نحونا مسرعين ...

وما أن رأوا السيارة وزجاجها المحطم وحديدها المثقوب حتى ادركوا ان اليهود المجرمين فعلوا فعلتهم

وتصايح الشباب وتجمعوا من كل صوب فأسرعوا وحملوني الى سيارة اخرى وأشرت اليهم ان يتداركوا السائق ، والقتيل الشهيد

وسارت بنا (السيارة) والشباب في الامام والخلف والجوانب ، حتى وصلنا الى مستشفى الأمين . وتطاير الخبر بسرعة البرق في حيفا وقضائها ..

* * *

حيا الله الاخوان ، فلقد قاموا بالمستحيل فحضر الطبيب الأخ السيد (احمد كمال) مع الممرضات وقصوا الثياب بالمقص ، وأجروا الاسعافات الأولية حتى تمكنوا من إيقاف النزيف

ولا أدري بعد ذلك ماذا كان فقد استيقظت بعدها على اصوات الجموع الغفيرة التي جاءت مستفسرة عن الخبر

فما أرى إلا دموع الوفاء ، ولا احس إلا بقبلات الاخاء ، ومن هنا وهناك اصوات الدعاء

وأقبل الليل فاذا هم ينقلونني الى مستشفى الحكومة الكبـــير واذا بالجراح الكبير (الدكتور حمزة) ومعاونوه يجرون عملية جراحية لاخراج الرصاص الذي اخترق كتف اليد اليسرى واستقر بعضه تحت عظم الرقبه وبعد ساعات من الليل يرجعون بي ثانية الى (مستشفى الأمين) ...

ها هم بعض الاخوان يأتون إلي ملطخون بالدماء ، مدججون بالسلاح ، انهم برُّوا بقسمهم ، فهم لا ينامون عن اخذ الثار ...

وكان يوماً مشؤوماً على اليهود ، ولأترك بقية الحديث يرويه مراسل جريدة الدفاع الغراء

* * *

جريدة الدفاع تتكلم

خــــبران

واليك ما نشرته جريدة الدفاع في العدد (٣٨٨٨) بتاريخ الجمعة في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٦٧ – ٢٠ شباط سنة ١٩٤٨ في هذا الصدد

– ١ –

اصابة فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب في اعتداء غادر
يهود يلاحقون السيارة التي كان يمتطيها من حدود لبنان

حيفا – بينما كان فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب عضو اللجنة القومية عائدا في الساعة العاشرة والنصف من صباح امس من دمشق عن طريق الناقورة اللبنانية في احدى سيارات العلمين ، ولدى وصول سيارته لمحطة قرية (موتسكن) على طريق خليج حيفا مرت بالقرب منها سيارة يهودية صغيرة ، واستمرت السيارة اليهودية الجانية في سيرهـــا بمحاذاة سيارة فضيلته حتى منعطف السيارة ، حيث خففت من سرعتها وتراجعت الى خلف سيارة العلمين وشرع ركابها باطلاق النار على ركاب السيارة العربية فأصيب السيدان (عمر المجذوب) بجراح خطرة و (محمد محسن فخر الدين) بجراح طفيفة واصيب فضيلته بثلاثة عيـــارات نارية في كتفه وحالته غير خطرة

وقد نقل الجرحى في الحـال الى مستشفى الامين حيث اجريت لهم الاسعافات الاولية ونقل فضيلة الشيخ محمد نمر الى مستشفى الحكومة .

وقد ظهر من التحقيق ان السيارة اليهودية الجـانية قد تعقبت سيارة العلمين من الحدود اللبنانية الى مدخل حيفا

* * *

وقالت جريدة الدفاع الغراء

– ٢ –

احتلال مراكز استراتيجية لليهود في حيفا
مواصلة الزحف الخاطف على الاوكار وضرب مواصلات الخصوم

حيفا – شدد المناضلون في الليلة الماضية زحفهم على الاوكار اليهودية مصوبين نيرانهم الثقيلة على تحصيناتهم ولم يعودوا حتى دكوهـا دكا

واستمروا في إطلاق النار من اسلحتهم المختلفة حتى ساعة متأخرة من الليل ، وتمكنوا من احتلال عدة مراكز استراتيجية كان اليهود قد اتخذوها سابقاً اوكاراً لاصطياد المارة من العرب ..

قتيل وجريحان

وفي صباح أمس البـاكر عاد المناضلون الى الرد على رصاص الغادرين فاسكتوها بعد ان قتلوا (يعقوب هدسكوب) وأصابوا آخـــرين بجراح مختلفة

هياج بعد اعتداء

وحوالي الساعة الحادية عشرة والنصف وقع هياج في المدينة ، واستعد

المناضلون للهجوم على اثر الاعتداء الاثيم الذي وقع على فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب عضو اللجنة القومية ، فما ان وصل النبأ الى مسامع المناضلين والسكان حتى هب الجميع وحملوا سلاحهم وخرجوا الى المكان الذي اعتدي به على فضيلته ، ورابطت السيارات تقل المناضلين الى خارج حيفا

الثأر من سيارة يهودية واصابات

وعندها مرت سيارة (باص يهودية رقم ١٤) فأمطرها المناضلون برصاص مدافع برن وتقول المصادر العربية ان عدداً من اليهود قتلوا واصيب آخرون بجراح

مهاجمة سيارتين واصابات مختلفة

وفي الوقت نفسه مرت سيارة (تكسي يهودية) فوجه المناضلون رصاصهم الشديد الى ركابها فأصيب بعض ركابها بجراح مختلفة

ومرت ايضاً سيارة (تكسي يهودية) فأمطرها المناضلون وابلاً من رصاصهم فصرعوا واصابوا عدداً من ركابها . وقد حضرت في الحال سيارات الاسعاف اليهودية ونقلت جميع المصابين

قتلى وجرحى

وكمن في الوقت نفسه عدد من المناضلين الى السيارات اليهودية التي تمر من جادة الكرمل فصوبوا نيران بنادقهم السريعة على ركاب باص يهودي (رقم ٦) كان يمر من هناك فقتل عدد من ركابه وهم — شتيرنك وشؤول ليفي وبارلوفتش وهوركلنر — كما اصيب آخرون بجراح

ضرب قافلة وتعطيل سياراتها

وكمن أيضاً فريق من مناضلي القري المجاورة في طريق حيفا – يافا للسيارات اليهودية المسافرة الى تل ابيب والمستعمرات المجاورة ، فمرت بتلك الأثناء قافلة مؤلفة من (٤ سيارات شحن) فأطلق المناضلون عليها النار من مدافع برن فتعطلت السيارات عن السير ولم يعرف حتى هذه الساعة مصير السواقين اليهود الأربعة

زحف جارف على استحكامات اليهود

وبعد الساعة الثالثة بقليل عزز المناضلون مراكزهم في المدينة واستعدوا لمهاجمة المعتدين فزحفوا من استحكاماتهم في شارع هاشومير وباشروا بالقاء القنابل واطلاق الرصاص على اليهود فأصيب كثيرون بجراح وفي الحال اقفرت الشوارع والاحياء اليهودية من المارة والسكان ، كما توقفت نيران اوكارهم

وقد مني اليهود يوم أمس بأفدح خسارة في الأرواح والممتلكات بعد ان سيطر المناضلون سيطرة تامة على جميع أنحاء المدينة

ولا يزال المناضلون حتى هذه الساعة المتأخرة من الليل يتقدمون في زحفهم على الاوكار والاستحكامات اليهودية للقضاء عليها قضاء تاماً مستعملين في هجومهم المدافع الثقيلة والخفيفة والبنادق السريعة الطلقات والقنابل المحرقة

* * *

جريدة فلسطين تتكلم

تتمة الخـــبر

وقالت جريدة فلسطين الغراء في العدد ٢٩٨ تاريخ ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٦٧ هـ المصادف ٢١ شبـــاط سنة ١٩٤٨ م في الصفحة الاولى منها ما يلي

حيفا شعلة من نار في جحيم معركة كـبرى استمر اوارها مستعراً ٣ ساعات مساء امس

مقتل ٨ من اليهود واصابة كثيرين بجراح عندما اطلقت النار والقذائف في حي « الهادار » اليهودي وأجاب العرب عليها بالمثل

٨ قتلى و ١٢ جريحاً من اليهود ايضاً في حـوادث حيفا وفي مهاجمة قوافلهم بالشمال والجنوب

أنباء المصادر العربية الرسمية

شعلة من نار

حيفا في ٢٠ شباط — لمراسل فلسطين الخـاص — في كل مرة يبدأ اليهود العدوان فيها على المدينة ولكنهم يلقون من المنـاضلين العرب ناراً حامية وهجوماً عنيفاً يعيدهم الى اوكارهم خاسرين

ولقد انقلبت المدينة اليوم من الساعة الرابعة حتى السابعة مساء الى جحيم مستعر شمل المدينة كلها من أقصاها الى اقصاها فقد استعملت جميع انواع الاسلحة والمدافع والقنابل التي أحالت المدينة الى شعلة من نار

ففي الساعة الرابعة من بعد الظهر بدأ اليهود اطلاق مدافع الهاون على الاحياء العربية وذلك في أثناء عودة العمال الى منازلهم فانفجرت قنبلة بجانب جامع الاستقلال قرب شارع الناصرة وقنابل اخرى في غيره من الشوارع ، وأصابت عدداً من المـارة الآمنين فهب المناضلون العرب الى الاوكار اليهودية المجرمة ووجدوا ان ستة منـازل عربية في الجهة الشرقية على الحدود بين العرب واليهود ، قد احتلتها العصابات اليهودية وحصنتها ونصبت فيها المدافع فشددوا عليها الخناق وأخذوا يمطرون المجرمين بوابل من النار والقنابل ومدافع الهاون والبرن وتقدموا من تلك المنازل وقضوا على البقية الباقية فيها ممن لم يستطيعوا الفرار واحتلوها واستولوا على ما فيها من ذخائر وأعتدة

هجوم آخر

وفي شارع ستانتون تقدم العرب من المنـاطق اليهودية يردون هجوماً بدأه اليهود من جهة البرج وتعقبوهم الى حدود الهدار كرمل وتوغلوا الى الحي اليهودي « الهادار » حيث تقع سراي الحاكم وعمارة البلدية وأخذوا يطلقون مدافع الهاون جاعلين هدفهم أواسط « الهادار » ففر اليهود من بيوتهم الى داخل الحي ، وبينما كان المناضلون يصلون المجرمين اليهود ناراً حامية تدخل الجيش « المحايد » كما هي عادته ضد العرب فعاد المناضلون الى اماكنهم سالمين

خسائر اليهود

وفي شوارع الحليصـــة وصلاح الدين والعـراق العربية وابن عابربول وهاشومير وغيرها تقدم المناضلون العرب ودكوا أوكاراً يهودية اقامهـــا المجرمون حديثاً وكالوا لهم الصاع صاعين .

وتقول المصادر العربية ان عدد القتلى اليهود بلغ ثمانية اشخاص حسب

التقديرات الاوليـة كما ان كثيرين من اليهود سقطوا جرحى ولم يعـرف عددهم بالضبط بعد ، وان عرف انه بلغ رقماً كبيراً

في ساحة الخمرة

وفي ساحة الخمرة تقدم المناضلون العرب محيطين بالمركز التجاري القديم والقوا عليه بعض القنابل والمتفجرات بعد ان بدأ المجرمون اليهود اعتداءهم على المارة العرب هنـاك ، وقد اصيبت بعض العمارات بأضرار مختلفة

في المركز التجاري الجديد

وفي المركز التجاري الجديد القى العرب ثلاث قنابل ضخمة سمع لها صوت انفجار هائل والاضرار كبيرة لم نتمكن من معرفتها بدقة بسبب الظلام واستمر تجاوب اطلاق النـار في شوارع يافا واللنبي وستانتون ساعتين من الزمن بصورة اصمت الآذان وتحطمت من جرائه واجهـات المخازن ونوافذ الدور في الجـهات المجاورة وخلت الشوارع من الناس واقتصر الميدان على المناضلين الاشاوس الذين لا يزالون حتى ساعة ارسال هذا البكم يلقون على المجرمين اليهود دروساً صارمة

ويظهر مما تقدم ان المناضلين توغلوا في الهادار « الحي اليهودي » بينما لزم اليهود اوكارهم يطلقون النار من بعيد بعيد

اصابات العرب

واستشهد في شارع الناصرة ثلاثة هم السادة عبد الكريم عويس وفهد محمود ابو حويد ، والحـاج سليمان ابراهيم الحاوي . واصيب بجراح كل من توفيق احمد زكور ومحمد سليمان عيسى واحمد حسن الصالح وجوهر محمد عبد الحي من بيتا وهو بوليس اضافي ونقلوا الى مستشفى الأمـين وشاكر موسى ابو سريس من عنبتا ، ومعروف بن خضر ، ونادر سلامه

وحسن احمد اسماعيل ، واحمد جابو عبد ، وفهمي توفيق الصفدي وابراهيم حمد ابراهيم ، وتوفيق محمد الصفدي ، وصدقي ابراهيم عيسى ، وحسن سعيد شتيوي ، وعبد الحفيظ سعيد شتيوي ، وحمد صالح مصطفى ، وحسن بدوي حسن ، واحمد مصطفى ، وسيف الياس ، وابراهيم الاحمد ، ومحمد وحسين وعبده ابو صوان ، وصفوت ابراهيم ، وحسن نصر عارف ، وتيسير حمد لحام ، ومحمد علي الترك ، ووحيد سليم حسن ، حيدر وفاطمة فريد شعبان ، واحمد الخالد اليمني وحمد عارف الزفري ، والشيخ محمد ابراهيم المصري ، ومحمود حسين سمور ، وامال محمد علي شعبان ، ونوال محمد علي شعبان ، وحفيظة حاج سمور . واسعف في الحال عدد كبير منهم بينما بقي ١٥ جريحاً في مستشفى الأمين للمعالجة وحالتهم حسنة

في البيان الرسمي

وجاء في البيان الرسمي ما يلي

قتل اربعة اشخاص واصيب ٥٠ شخصاً بجراح عندما اطلقت النار في حي « هدار الكرمل » في حيفا حوالي الساعة الخامسة من بعد ظهر امس وقد وجه اليهود نيران مدافع الهاون الى شارع العراق وشارع ستانتون وسقطت بعض القذائف في محطة السكة الحديد الشرقية وداخل ساحة رئاسة البوليس فأصيب كونستابل اضافي بجراح وعلى الأثر بدأ اطلاق النار في شدة بين المناطق اليهودية والعربية وعرف حتى الآن ان ٤ اشخاص قد قتلوا وان خمسين قد اصيبوا بجراح ولا يزال اطلاق النار مستمراً

وصدر بعد ذلك البيان التالي كانت الاصابات في حوادث اطلاق النار في حيفا التي بدأت الساعة ٦,٣٠ من مساء أمس كما يلي : قتل ثلاثة من العرب بقذائف الهاون والرصاص واصيب ٣٦ عربياً بجراح

١٣ قتيلاً وجريحاً

وقتل بعد ظهر امس الاول على طريق النبي يوشع – المنارة « قضاء صفد » ثلاثة من اليهود واصيب عشرة آخرون بجراح

ففي الساعة الرابعة بعد الظهر كانت قافلة يهودية مؤلفة من ثلاث تراكات وجرارة تتجه نحو مستعمرة المنارة فعمدت جماعة من العرب مسلحين يتراوح عدد افرادها بين ٣٠ و ٤٠ الى مهاجمتها بالقرب من الكيلو ٣ الى الشمال من النبي يوشع وقد تمكن (تراك) من الوصول الى المنارة وترك (التراكان) الآخران واختفى المهاجمون في اتجاه قريتي قدس والمالكية .

ويدعى القتلى اليهود بوكوبري من المنارة اسحق اميلا وموشيه مالكوفتز من رامات نقولي

واصيب حايم نورمبرغ وزفي درومي بجراح خطرة في حين اصيب ثمانية بجراح طفيفة

وجرح وقتيل يهود

واطلق مجهولون في الساعة ١١ من صباح امس النار على بول بولوك في شارع شابيرو في حيفا فأصيب بجرح بسيط ونقل الى مستشفى هداسا وفي الوقت نفسه اطلقت النار في الشارع المذكور على مردخاي تشنرغاند فأصيب بجرح غير خطر ونقل الى مستشفى الحكومة

واطلقت النار الساعة ١٢,٢٠ من ظهر امس على اليهودي رحمان يوبرت في حي « أبو كبير » في يافا فقتل

وقتل في شارع صموئيل في القدس الساعة ١٢,٣٠ من ظهر أمس يهودي يدعى الياهو ياهوشا برصاصة اطلقها القناصة العرب .

وأطلق مجهولون الساعة ٢,١٠ من بعد ظهر امس النار على سيارة تاكسي يهودية كانت تسير عند الكيلو ١٧ على طريق ديران – غزة فقتل من ركابها ثلاثة هم موشيه راخستاين ، وزيبورا فايش ويعقوب موشيه شوشلوفيت

١٩ شباط

(بينما كان الشيخ نمر الخطيب قادما من بيروت قابله عدد من اليهود بسيارة مسرعة واطلقوا عليه النار من اسلحتهم الاتوماتيكية ولما علمت مدينة حيفا بذلك اشتعلت بالنار ، وهاجم العرب اليهود وقد أدى ذلك الى وقوع بعض الجرحى ، اذ كان الاستاذ محبوباً من ابناء حيفا **وخصوصاً عند الطبقة الكادحة فيها)** .

(من مذكرات السيد حسن شبلاق)

تحرج الحالة في حيفا

لقد تحرجت الحالة في حيفا حرجاً شديداً ، (كما رأيت) وذلك بعد ان اطلق اليهود الغادرون النار علي فهؤلاء المناضلون توزعوا فى كل جهة طلبا للثأر ، وانتقاماً من هؤلاء الاشرار وهذا القائد (محمد الحمد) قد وضع مدافع الهاون والسلبند على الاماكن المرتفعة والبيوت العربية العالية ، وأخذ يصب على اليهود القذائف والحمم وهذا صديقنا (سرور) قد زاد حماسه

وبلغ الحال ان أمرت القيادة العربية بوضع المدافع والاستحكامات فوق مستشفى الأمين الذي أنا فيه وبذلك اصبح المستشفى بين نيران كثيفة ، فمقر القيادة الملاصق له مافتر عن اطلاق النار والمدافع المنصوبة فوقه مافترت عن اطلاق النيران

وقد أخذ اليهود (نتيجة لهذا الضغط عليهم) يضربون حيفا بالمدافع المختلفة الألوان من قلعهم وحصونهم العالية وزاد الأمر خطورة ان نصب اليهود المدافع على البرج ، وأخذوا يقصفون المستشفى ومقر القيادة منه

هأنذا أرى الرصاص يدخل الى الغرفة التي أنام فيها .
وهأنذا أرى فعل الرصاص بالحيطان والنوافذ

وهنا رأى المسؤولون ان ينقلوني الى دار « الحاج محمد العوا » الملاصق للمستشفى والذي الحق به أخيراً

وأصبحت حيفا شعلة من نار في جحيم كما روت ذلك الصحف العربية .

السفر الى بيروت

وهنا اجتمع بعض أعضاء اللجنة القومية وجماعة من المحبين والاصدقاء وقرروا فيما بينهم ان أغادر حيفا ان لم يكن رحمة بي فرحمة في البلدة ومستقبل البلدة وبهذا الاسلوب استطاع الاخوان أن يقنعوني بمغادرة بلدي التي أحببتها وسفكت فيها دمي

كيف أغادرك يا حيفا ؟؟:

وكان لا بد لي من الرضوخ الى أوامر الاخوان ، والنزول عند رغبتهم وقد شاهدت بعيني ، وسمعت بأذني ما حل في حيفا

فحماس الاخوان لم ينقطع ولن ينقطع مادمت في حيفا
فرحمة بهؤلاء الشباب وفي سبيل حيفا ، فلأغادر حيفا
سأغادرك يا حيفا ولم تطأ قدماي منزلي وبيتي
سأغادرك يا حيفا قبل أن تكتحل عيناي بمنظر أولادي الصغار .
سأغادرك يا حيفا على الرغم مني ...

يقضى على المرء في ايام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

سيل من العواطف

ما أعظم هذه الامة العربية .

أنا مؤمن انها خير أمة أخرجت للناس . ولكنها ويااللاسف لم تجد بعد القائد الحكيم والمرشد الكريم الذي يخرج مكنوناتها وخيراتها ويدفعها نحو المجد والعلا

اذن لفتحوا العالم

اذن لأعادوا بدراً واليرموك والقادسية وحطين

اذن لانبتوا خالداً وابا عبيدة وطارقاً وصلاح الدين

اذن لأعادوا المعجزات والكرامات فان هذه الأمة أمة الوحي وأمة العزة والاعجاز والكرامة

انا شاعر من صميم فؤادي ، اني لم أفعل شيئاً تجاه وطني وأمتي

ما فعلت إلا أقل القليل من واجب محتم وامر مفروض

وهل أنا إلا جندي صغير من جنود هذا الوطن الكبير

ثم ما هذه القطرات من الدماء التي سالت من جسدي الصغير على جسد هذا الوطن الكبير ، وهل هي الا بعض مائه ، وبعض غذائه

وطن سقاني ماءه كل هذه الاعوام ، وسقى آبائي وأجدادي من قبلي من تربته الصافية ، ومن نبعه الفياض ، أفيضن عليه بأن أسقي تربته الحبيبة قطرات من الدم ؟؟ .

ويح نفسي لقد تمنيت ان تختلط ذراتي بذراته وحبات قلبي بحباته

لقد تمنيت ان التحق بالركب الميمون ركب المجد والعزة ، الذي اطلقه محمد بن عبد الله من المدينة وغرس رياحينه في فلسطين .

لقد تمنيت أن أكون احد أفراد تلك القافلة ، قافلة الاسراء ، من فرسان زيد وأسامة وخالد وصلاح الدين

واحسرة نفسي قد وقفت على باب الجنة وكدت ان أصافح رضوان وان تبتسم لي حور الجنان

كدت ان انال شرف الشهادة ومرتبة الشهداء ، ولكن هو حظي لا أدري الشقي أم السعيد ارجعني ثانية الى هذه الدنيا دار الأكدار والهموم . وعلى رغم ما أشعر به من ضآلة ما قدمت من خدمات لهذا الوطن فها هي الأمة العربية في احرج ساعاتها تسأل عن أحد جنودها ، وعن أصغر ابنائها .

ها هي الوفود الكريمة لم تنقطع دقيقة بل ثانية

وها هي الهواتف لا يكاد ينقطع جرسها ولا يقف نفسها

وها هي البرقيات تحملها اسلاك الحب ، وحبال الاسلام والعروبة ، جياشة بالعاطفة ، مترعة بالود ، فياضة بالاخلاص .

إيه يا أمة التنزيل ، يا أمة البطولة ، لقد أصبح من حقك علي أن اسفك آخر قطرات دمي في سبيل مجدك وعزك وان أخرج آخر انفاسي في ميدان الشرف لرفعتك وجعل رايتك الراية الخفاقة وحدها ، لقد أربت عواطفك على ما فعلت ، وأرجو الله أن أقوم ببعض هذا الواجب . وان اوفق لرد هذا الجميل قريباً

وقبل أن أغادر حيفا كان يطلعني الاخوان حفظهم الله على تلك البرقيات والرسائل الأخوية التي كانت تنهمر على مستشفى الامين ومستشفى الحكومة والجمعية الاسلامية واللجنة القومية ، وها أنا ذا اسجل بعضها تسجيلاً لجميلهم وعرفاناً لفضلهم

القاهرة — اسبغ الله عليكم ثوب العافية

المرشد العام للأخوان المسلمين

القاهرة محمد عبد اللطيف دراز **مدير الازهر** يسأل عن صحته ويدعو له بالشفاء

دراز

القاهرة تهانينا بسلامتكم

يوسف عبد الرزاق — المدرس بكلية أصول الدين

القاهرة طمنونا عن صحتكم

احمد معبد — مدير الجوازات بالداخلية

نابلس شلت يد المجرمين ابقاكم الله للعروبة والاسلام

محمد هاشم الخطيب — قاضي نابلس

عكاء اصابتكم برصاص العدو الغادر أغضبت الجميع ففي سبيل الله ما لاقيت

اسعد قدورة — مفتي صفد وقاضي عكا

عكاء حفظك الله ورعاك — المحامي ابو سلمى

يافا شلت ايديهم الاثيمة نهنئكم بلطف الله الذي حفظكم

ناجي الصلاح مدير الأوقاف

طبريا شلت يد الآثمين نحمد الله على سلامتكم وفي سبيله ما يلقى العاملون

صدقي الطبري — مدير بنك الأمة العربية

طولكرم هاجت النفوس للحادث العدواني الأثيم على فضيلتكم فنهنىء

انفسنا بسلامتكم عدتم للجهاد المقدس سالمين

عن جمعية الاعتصام — يوسف سمارة — وعبد الرحيم

عكاء نحمد الله على سلامتكم — اللجنة القومية بعكا والقضاء

عكاء سررنا لنجاتكم النصر للأمة بأمثالكم . رد الله كيد المعتدين.

حلمي المحتسب — محمد مفلح — حسن الخطيب

صيدا نتمنى لكم شفاء عاجلاً محمد خليل — توفيق رستم

دمشق في سبيل الله والوطن ما اصابكم اهنئكم بالسلامة . طمنوني

باستمرار معين الماضي — عضو الهيئة العربية العليا

مصر حفظكم الله من الاعتداء الاثيم ، لتبقوا ذخراً للعروبة

أديب الزين واخوانه

بيروت لاعاشت اليد الغادرة شفاك الله وعافاك . وادامك ركناً لوطنك . عزيز العبدي

اربد هذه ارادة الله .جميعنا فداك ـ محمود باشا المحمود

القاهرة جزعنا لاصابتكم وسرورنا لنجاتكم ـ علي سيد جعفر

حلب اضطرب الاخوان لاصابتكم يسألون نصراً وحفظاً وشفاء .
الرئيس ـ عبد القادر السبسبي

دمشق ارجو لفضيلتكم شفاء قريباً وحياة طيبة ـ احمد عثمان

غزة شلت يد الأثيم في سبيل الله والوطن كل ما تلاقونه . حمداً لله على سلامتكم طمنونا ايرتاح الشعب العربي على صحتكم
رشدي الشوا ـ رئيس بلدية غزة

غزة شلت يد الآثمين ، سلامتكم ربح عظيم للوطن . طمنونا عن صحتكم ليطمئن الشعب اللجنة القومية بغزة

يافا : شلت يد الآثمين ، حفظكم الله ذخراً للوطن ـ ابراهيم الطاهر واخوانه

نابلس : شفاكم الله وعافاكم . ورد الله كيد اليهود الغادرين الى نحورهم
لجنة نابلس القومية

نابلس الويل للاعداء الانذال عاشت حيفا : وابنها البار نتمنى لكم عاجل الشفاء . حمدي المصري

طولكرم الاجيال بجهادكم المجيد جراحكم ستكون قبساً للشباب في ميادين الشرف شلت يد العدو عافاك الله وابقاك للوطن ذخراً . حسني نجيب

طولكرم شلت يد المعتدي الأثيم . وفي سبيل الله والوطن .
مؤيد حسن ـ قائمقام طولكرم

القدس صدمني نبأ الاعتداء على فضيلتكم . ففي سبيل الله ما لاقيتم .
والله نرجو ان يعجل بشفائكم — يوسف النجار

جنين ان يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله كلنا للوطن
برهان الدين العبوشي

عكاء لعظيم سرورنا بسلامتكم نهنئكم ونهنىء انفسنا والوطن على
ما منحكم الله به من طيب السلامة لتقوموا باتمام جهادكم
المقدس فدم يانسل الأمجاد والكرام الميامين سالماً
يوسف صالح خير واخوانه من ابو سنان

القاهرة اثنان يعلمان ما في نفسي انت الثاني في سبيله ما لاقيت .
اسماعيل الشيخ حسن

سمخ في سبيل الله والوطن ما لاقيت . تهنئتي الخالصة وتمنياتي الصادقة
احمد الامام

القاهرة حمداً لله الذي نجاكم من كيد المجرمين وعدوان المعتدين
نرجو من الله لكم الشفاء العاجل
بعثة جمعية الاعتصام بالازهر الشريف

حلب اكرمنا الله بشفاكم ونصركم طمنونا
مصطفى السباعي — عمر الاميري

دمشق شلت يد المعتدين حمدنا الله على سلامتكم طمنونا
نديم العطار

القاهرة شلت ايديهم وسيعلمون اي منقلب ينقلبون !
صبحي الخضراء

جنين ـ يعبد : هالنا نبأ اصابتكم شلت ايدي الجبناء . عشت للذود
عن بلادك وستبقى كذلك حتى النصر
آل الطاهر ـ آل حداد . فريد مفلح

من دمشق

ان محاولة الاعتداء الصهيوني اللئيم قد هزت الأفئدة هزة الاخاء والوفاء وهو بالنسبة لكم برهان من الله على انهم وان اجتمعوا لم يضروك بشيء لم يكن قد كتبه الله عليك فيه مثار للعزيمة وقربى من الله ، وتحقيق لوعده « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » وان الرجاء يقرب الشفاء وتمامه وان نلقاكم بخير ونسمع اطيب الخبر . وللعداة ما وعدهم الله « ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » كتب الله لكم النصر ، وأراكم بهم ما يسوؤهم مما يسر ، وجعل لكم في ذلك فضلاً وذخراً وذكراً

جمعية التمدن الاسلامي

القدس

اما بعد فان نبأ اصابتكم كان اسوأ نبأ تلقاه المسلمون شلت تلك اليد الأثيمة الغادرة وفي سبيل الله والوطن ما لقيت ، وان هذه الاصابة الغادرة لتزيد المسلمين قوة وتصميما على نضالهم في سبيل الجهاد ، وتطهير بلادهم من تلك الجراثيم الوحشية باذن الله . ونسأل الله ان يشفيكم ويعافيكم آمين . وأرجو تطميننا عن صحتكم واقبلوا الاحترام .

نسيب البيطار – قاضي القدس الشرعي

جنين

لقد هلعت قلوبنا للخبر الأليم ولكن الحمد لله الذي قدر ولطف . والمؤمنون أشد بلوى نسأل الله لكم الحماية وللبلاد النصر المبين .

عبد الرؤوف العبوشي

* * *

هذه نماذج من عواطف الاخوان الكرام ، وهي تعبير صحيح عما تأصل في طبع الأمة العربية من نبل وكرم وإباء وشمم

* * *

وداعاً يا حيفا

وكان لا بد من النزول على رأى الاخوان « كما قلت » فأعدت القافلة، وكانت قافلة مؤلفة من

١ – سيارة اسعاف نمت فيها وحولي كرام من المجاهدين المسلحين على الجانبين ، أبوا إلا مرافقتي .

٢ – سيارة الدكتور الكبير السيد رشدي التميمي

٣ – سيارة كبيرة مملوءة بالمجاهدين لحراسة القافلة وقد زودت بالأسلحة الاوتوماتيكية والمدافع الرشاشة

شعوري

لقد كان ألمي شديداً لفراقي هذه البلد الحبيبة الى نفسي والمتغلغل حبها في سويداء قلبي لك الله يا قلبي على فراق هذا البلد

لقد كان شعوري عجيباً في تلك الساعة لقد هبطت ادراج مستشفى الامين محمولاً كما يحمل الميت ، وهااناذا لا أرى من حيفا الا سقف السيارة التي وضعت فيها . ايكون هذا انذاراً لي اني لن أرى حيفا بعد اليوم ؟

ليكن يا إلهي ما تريد « ان لم يكن بك عليَّ غضب فلا ابالي ، لكن عافيتك اوسع لي » وسارت بنا السيارة على بركات الله

وعلى الرغم من الحيطة الشديدة وكتمان خبر سفري حتى عن اقرب المقربين فقد تقاطر الناس والمحبون لوداعي

٢٣ شباط سنة ١٩٤٨

« أتي اليوم الى مستشفى الأمين بصديقي المؤمن الشيخ نمر الخطيب وقد اصابه اليهود برصاص بينا كان عائداً من بيروت وعلى مقربـة من مدخل المدينة ففتت الرصاص مفصل الكتف الأيسر وحطم أعلى عظم العضد وهرعنا الى المستشفى لعيادته وقد اكبرت فيه الشجاعة والايمان واعجبني بنـوع خاص بسمته وابتسامته المطمئنة على الرغم من خطورة الاصابة . الشيخ سند قوي للمجاهدين في المدينة وأصبحت خائفاً من تضعضع في جبهتنا اذا ما حرمنا من حماسه وايمانه »

اليوم

« وقع اليوم اشتباك كبير بين مجاهدينا واليهود في المنطقـة المجاورة لمستشفى الامين فلم ينقطع أزيز الرصاص طيلة اليوم »

٢٦ شباط سنة ١٩٤٨

« لم يكن من الميسر تأمين راحة صديقي الشيخ نمر والرصاص يلعلع حوله فاضطررنا الى نقله لمستشفى بيروت وجهزت له سيـارة الاسعاف المصرية وحملته اليها على نقـالة وتبعته الى بيروت على سيارتي اتفقده واطمئن عليه وأتفقده كلما وصلنا الى محطة في الطريق وأودعته مساء اليوم في امانة المستشفى الاسلامي في بيروت[١] »

في بيروت

لقد كانت الحفاوة البالغة التي لقيتها في أثناء الطريق من حيفا الى بيروت كفيلة بأن تنسيني أحزاني وآلامي

---

(١) من مذكرات الدكتور رشدي التميمي



في الصورة المؤلف مع الدكتور محمد بك خالد بعد أن أطلق اليهود
عليه النار سنة ١٩٤٨ في حوادث فلسطين

ووصلنا بيروت في ساعة متأخرة من الليل وحللنا في مستشفى المقاصد ذلك المستشفى الذي لن انسى ما حباني به من كرم وما خصني به من عناية ، انني لن انسى تلك الجهود الجبارة التي بذلها اطباؤه الكرام وعلى رأسهم ذلك الجراح الكبير مفخرة العروبة الدكتور محمد بك توفيق خالد

وحيا الله اهل بيروت اهل الرجولة والمكرمة فما ان تسامعوا بوفادتي حتى هبوا لزيارتي فكنت أرى الوجوه السمحة التي لم اكن قد حزت على شرف التعرف بها من قبل ، وانما دعاها حب تكريم الجهاد والدفاع عن الوطن الى الاجتماع بي وإكرامي

ها هم شبان بيروت ، وها هم « فتيانها » بشواربهم العنتريه المفتولة وبعيونهم النفاذة يأتون افواجاً افواجاً

وها هم شيوخ البلدة وعلماؤها الكرام وعلى رأسهم سماحة مفتي الجمهورية الشيخ توفيق خالد لا ينقطع فضلهم ولا مددهم

وها هو رئيس الوزارة اللبنانية يأتي مستفسراً مستوضحاً مبدياً اهتمامه وعنايته

وهذا وفد فخامة رئيس الجمهورية السورية السيد شكري بك القوتلي يبلغني تحيات الرئيس ، وبالغ تأثره ، ويدعوني لدمشق

وها هم الاخوان يحيطونني بالرعاية ويشملونني بالفضل .

حتى لقد شعرت تماماً انني بين اهلي وفي بلدي وقومي

وهل ديار العروبة إلا دار واحدة ؟ وهل العرب الا امة واحدة ؟ وبني اب واحد ؟ وعند النوائب تتجلى الروابط بأجلى معانيها



المؤلف بعد أن أطلق اليهود عليه النار بين حيفا وعكا والصورة تمثله وهو في مستشفى المقاصد الاسلامية في بيروت . وقد قام على العناية به الطبيب الانسان الدكتور محمد بك خالد

فهرست المواضيع الهامة

فهرست الصور

المطبعة التجارية

بيروت – تلفون ٢٢٤٧٣٩